



خالد أمين

إنهم يأتون ليلا

THEY COME AT NIGHT





الفصل الأول

القمر كان مكتملًا وسط السحب المظلمة.. ترجلت ناردين من سيارتها وسارت ببطء تجاه بنايتها وهي تنظر إلى القمر في افتتان.. لشدَّ ما كانت تحب ناردين القمر المكتمل! البعض ينظر إليه ويتخيل أغاني عمرو دياب ومحبوبته.. والبعض ينظر إليه ويتخيل مستقبله، أو يتذكر ماضيه.. ناردين كانت تنظر إلى القمر وتتخيل مصاصي الدماء، ومسخ فرانكنشتاين وأمنا الغولة.. وكان هذا بحكم طبيعتها ككاتبة قصص رعب.. ابتسمت ناردين لأفكارها، وتجنبت النظر لانعكاسها في مرآة المصعد وهي تقف وحيدة.. لم تكن ناردين تحب المرايا.. منذ تلك المرة وهي طفلة عندما دلفت لغرفة نوم أخيها لتجد أنه يهذي وهو يتصبب عرقًا بينما والدتها تبكي بحرقة بجواره ووالدها يقف واجمًا.. أخوها كان يقيء دمًا.. ولم تدرك الطفلة سوى بعد فترة أن أخاها المراهق كان مدمن مخدرات.. فقط هي تذكر هذا اليوم، وتذكر أنها نظرت إلى انعكاسها في المرآة وسط الفوضى والصراخ، وأدركت أنها تبكي وترتجف في خوف، ولوهلة خُيِّل إليها أن المرآة تبتسم لها



في تَشَفٍّ ووحشية.. بعدها اختفى أخوها، وقال لها والدها ذات يوم وهو يرتدي حُلة ويبدو رسميًّا إن أخاها في مصحة لعلاج الإدمان.. كان يرتدي الحُلة ويبدو رسميًّا لأن هذا يوم طلاقه من والدتها.. اليوم الذي رحل فيها والدها هو الآخر.. ترجلت ناردين من المصعد، ودلفت لشقتها وهي تصفر في هدوء.. كانت ترتدي فستانًا رماديًّا طويلًا، وتعقص شعرها الأسود للخلف.. في منتصف الثلاثينات تعيش وحيدة شديدة الثراء من عائد مبيعات كتبها.. ولم ترفض ناردين حياتها الوحيدة.. كانت تعيش وسط شخصياتها الخيالية، وعوالم إدجار آلان بو، وبرام ستوكر، ولافكرافت.. هؤلاء الكتاب بشخصياتهم ووحوشهم أكثر منطقية من البشر وأفعالهم الغريبة.. لماذا يدمن أحدٌ المخدرات؟ ولماذا ينفصل والداها؟ لا يوجد منطق في هذا.. على الأقل هناك منطق في رغبة دراكولا في أن يمص الدماء، أو في تحول جيكل لهايد في قلب الليل.

أغلقت ناردين باب شقتها، وسارت بإرهاق تجاه المطبخ.. كانت تتضور جوعًا.. فنظامها الغذائي اللعين يجبرها ألا تأكل إلى آخر اليوم.. تستيقظ مبكرةً فتمارس الرياضة، وتعدو في النادي قبل أن تتناول الكثير من



القهوة وتخرج مع أصدقائها، أو تذهب لتعطي ورشة كتابة قبل أن تعود وتكتب طيلة اليوم.. أحيانًا تسافر للإسكندرية أو الغردقة وتقضي عدة أيام قبل أن تعود.. عادتها الوحيدة التي لم تتغير هي عادة قداحة الحظ - كما كانت تسميها بينها وبين نفسها- عندما تصل للفصل الأخير من أي رواية تكتبها كانت تحضر شمعة.. وتضع قداحتها الفضية أمامها.. تنتهي من الرواية فتشعل الشمعة بقداحتها، وتتأمل النيران المحترقة وهي تتآكل أمامها، كانت تحاول دومًا أن تحافظ على حياة ما لنفسها؛ لملء الفراغ والوحدة، وبشكل ما كانت الروايات والأفلام عائلتها الوحيدة التي تساعدها لمجابهة تلك الوحدة.. منذ سنتين فحسب كانت تمتلك عيادتها، وتمارس عملها الأساسي كمحللة نفسية، ولكن مع مبيعات كتابها الأخير «ليلة في الجانب الآخر».. وجدت نفسها تتفرغ بشدة للكتابة.

وقفت ناردين في المطبخ تعد لنفسها بعض المعكرون والهوت دوج بينما موسيقى «باير ماكريري» تدوي في أنحاء الشقة.. كانت تبتسم، ويختلج قلبها مع الموسيقى، وتتمايل وترقص يمينًا ويسارًا وهي تُعد العشاء.. على الأقل هناك ميزة في الحرية والعيش بمفردك؛ بإمكانك أن تفعل أي شيء مجنون دون أن ينظر إليك أحد كأنك



معتوه.

لم ترَ ناردين ظل الرجل الذي يتحرك في شقتها.. كان يختبئ أسفل الأريكة في منتصف الصالة، وتدحرج ببطء من أسفلها قبل أن يقف في منتصف الصالة وهو ينظر إلى ناردين المولِية إياه ظهرها.. وجهه مليء بالشحم الأسود والدماء كأنه كان يتصارع مع الشيطان قبل اقتحامه شقتها.. يرتدي معطفًا قماشيًّا ممزقًا أسفله سروال وقميص أسود مهترئان.. فارع القامة صلب البنية، وعيناه السوداوان ترتكزان على ناردين.. يرتدي قفازين لا يبرزان سوى أصابعه فحسب.

تنهدت ناردين وهي تقف أمام حلة المعكرون بعد أن توقفت عن الرقص وانطلقت بخيالها الجامح تفكر.. تخيلت للحظة لو لم تكن تعيش وحيدة.. وأن فارس أحلامها يزورها كل ليلة دون أن تدري ويراقبها.. يأتي فقط ليطمئن عليها ويرحل.. ملاكها الحارس.. ابتسمت لنفسها وهي تغمغم: هكذا ستكتبين قصصًا رومانسية يا فتاة.. عودي لصوابك. ولكنها واصلت أفكارها على كل حال وابتسمت في هدوء.. فكرة أن يكون معها شخص ما يهتم ويعتني بها.. نعم هي مستقلة وقوية الشخصية، ولكنها لن تمانع الشعور نفسه.



نرى الرجل يستل سكينًا حادة منحنية من غمدها ملوثة بدماء وأحشاء أحدهم ويقترب من ناردين الغافلة في أفكارها.. نرى وجهه الغارق في الشحم الأسود.. نسمع ناردين وهي تقول لنفسها: حسنًا لن أمانع المغامرة.. ليأتِ هو فقط.. يقترب منها الرجل في صمت هادئ.

مدت ناردين يدها وهي تحمل الشوكة لتقلب المعكرون عندما شعرت بأنفاس أحد على مؤخرة عنقها قبل أن تنسل لأنفها رائحة كريهة كأن هناك شيئًا ما يتعفن في الشقة.. تصلَّب جسدها وقد أدرك عقلها ما يحدث على الفور.. هناك شخص ما يقف وراءها.. وليس هذا جزءًا من خيالها.. إنها الحقيقة.. الواقع البغيض بأسنانه النخرة قرر أن يوقف خيالها، ويستولي على اللحظة.. هناك شيء أو شخص ما يقف وراءها الآن.. كلا.. شخص.. هذا هو الواقع ولا توجد أشياء أو كائنات من الموجودة في رواياتها.. فقط مسوخ آدمية تتظاهر بأنها بشر.. تبًّا لتلك اللحظة اللعينة! دقات قلبها تتزايد.. تريد أن تلتفت وراءها ولكن الخوف أصاب جسدها بالشلل.. يمد الرجل يده ويضعها على كتف ناردين.. تشهق في فزع وتلتفت للوراء رغمًا عنها.. لا تعلم أهو قد لكمها أم أنها الصدمة، ولكن الرؤية تذهب بعيدًا، ويظلم كل شيء، وتسقط الفتاة



أرضًا..

يعود وعي ناردين وتفتح عينيها لتجد أنها جالسة في صالة شقتها على كرسيها المفضل وقد كبل الرجل يديها وقدميها بالكرسي وكمم فمها.. كان يجلس قبالتها على الأريكة في نوع من الإرهاق وينظر إليها في صمت.. لقد كان يراقبها وهي فاقدة الوعي.. لم تتساءل الفتاة عما سيفعله بها.. التساؤل وحده يكاد يجعل قلبها يتوقف.. بإمكانها أن ترى نفسها من أعلى.. عيناها تتسعان فزعتين، والكحل ينسل على وجنتيها.. كانت تبكي.. لم يكن من حقه أن يفعل بها هذا.. أن يقتحم شقتها ويقيدها كأنها شيء ما يملكه.. لم يكن من حقه أن يغير مجرى حياتها على هذا النحو ويسيطر على كل ما يحدث.. الآن حياتها بيده.. هو سيقرر إن كانت ستموت أم تحيا.. ومقدار الأذى الذي سيُلحقه بها.. لم يكن هذا عدلًا.. ولو نجت منه فهي تعلم أنه سيزورها في كوابيسها للأبد.. لقد ترك بصمته في حياتها لدقائق معدودة.. كانت تشعر بالحرقة والخوف والغضب في الآن ذاته، ووجدت نفسها تنهنه بشكل أقوى.. ثم حاولت أن تتماسك قليلًا.. هيا يا فتاة أنتِ ذكية ذات عقل تحليلي.. على الأقل حاولي فهم ما يحدث.. لكنها كانت تعلم أنه لا يوجد منطق مع البشر..



هم يفعلون أشياء خرقاء غير منطقية؛ مثل إدمان المخدرات، أو قتل بعضهم البعض.. لقد درست علم النفس، وعملت كمحللة نفسية للإجابة عن سؤال واحد: لماذا؟.. لماذا يؤذي أحدهم نفسه أو غيره؟ هناك الكثير من النظريات.. الاحتياج النفسي أو الدوافع المادية.. ولكنها لم تجد إجابة مُرضية.. كل ما توصلت ناردين إليه هو أن واحدًا زائد واحد مع البشر يساوي ثلاثة وليس اثنين؛ ولهذا وجدت المنطق في خيالها ورواياتها.. الخيال أكثر منطقية من الواقع كما قال أحدهم يومًا ما.. عادت مرة أخرى لواقعها وهي تنظر للرجل الذي لم يرفع عينيه عنها للحظة.. تُرى فيمَ يفكر وهو ينظر إليها الآن؟ أيفكر في شيء فلسفي؟ أم يتذكر طفولته؟ أم أنه لا يمتلك تلك المشاعر؟ أيتخيل لحظة تعذيبها أو قتلها؟.. تقلصت أحشاء معدتها وأتتها رغبه في القيء.. كلا لن تفكر في هذا.. ستحاول أن تنجو.. عليها أن تحاول أن تنجو.. لقد مرت إحدى بطلات قصصها بموقف مشابه في رواية «أبناء الجحيم».. عليها فقط أن تتجاهل أن بطلة روايتها ماتت بعد أن مزق أبناء الجحيم أحشاءها وأكلوا ذراعها، وأن تتخيل نهاية مختلفة للموقف.. تبًا تبًّا تبًّا..

- أريدكِ أن تسمعيني..



صوت الرجل كان هادئًا وهو يتكلم.. مرهقًا وغير مُبالٍ.. هذا رجل قد خسر كل شيء ولم يعد شيء يعنيه.. واصل الرجل كلامه: لقد كنت أتابع رواياتك منذ سنين.. لم أحب القراءة للدرجة، ولكن أختي كانت قارئة نهمة لك.. كانت شديدة الإعجاب بك.. وكانت تتواصل معكِ في جلسات علاج نفسي منذ خمسة أعوام.. لا أعلم إن كنتِ تتذكرينها أم لا.. كانت تحبك للغاية، ولم تكف قَط عن الحديث عنك.. أختي أصغر مني بعامين.. وكنا مقربين للغاية أنا وهي.. بخلاف السائد عن علاقة الأخ بأخته؛ الابتعاد والمشاكل وخلافه.. لم نكن كذلك.. والحقيقة أنكِ ساعدتيها في جلساتها معك.. كانت تعاني من خلل التعاطف.. تضع نفسها أكثر من اللازم في وجهة النظر العاطفية للآخرين فتشعر بأفراحهم وآلامهم فيخل هذا بتوازنها العاطفي، وقدر إنتاجها في حياتها.. على أي حال.. توفيت أختي في حادث سيارة، ولم يتبق لي منها سوى القليل.. ومن هذا القليل كانت رواياتك.. قرأتها.. وعليَّ أن أعترف بأن أسلوبك جيد.. أنتِ تصوغين عوالمك الخاصة وشخصياتك بعناية.. كما أنكِ عنيفة ودموية رغم أنك امرأة، وكان هذا بالنسبة لي أمرًا غير معتاد.. أحببت رواياتك.. لا أعلم إذا كنتُ هنا الآن لأنك



كاتبة روايات رعب أم لأنك محللة نفسية، لكني بحاجة لتفسير، وأعتقد أنكِ أقدر مَن بإمكانه توفير هذا التفسير لي.. ربما تفسيرك يكون علميًا بحكم كونك محللة نفسية، أو ربما يكون التفسير الآخر.. بحكم رواياتك.. لا أعلم.. أنا فقط أريد منك أن تسمعي حكايتي.. وبعدها بإمكانك الحكم بنفسك.. ربما تعتقدين أني مجنون.. أو مختل.. لن ألومك.. كل ما أريده هو أُذُناكِ.

فور أن قال الرجل الجملة انتقلت عينا ناردين تلقائيًا إلى السكين في يده، فابتسم في إرهاق متابعًا: كلا.. لا أريد قطع أذنك.. يا لخيال الكتَّاب هذا! أرادت ناردين أن تقول له: حقًّا.. خيال الكتَّاب.. تقتحم شقتي وتختطفني من مطبخي وأنا أعد العشاء وتكبلني كالشاة ثم تلومني على إساءة فهمك بينما السكين اللعين في يدك.. ولكنها لم تستطع قول شيء بسبب فمها المكمم.. فقط أصدرت بعض الضوضاء المعترضة، وواصل الرجل: بعد أن أقص عليكِ حياتي ستقولين لي: لماذا حدث ما حدث؟ أنا بحاجة لتفسير.. لمنطق ما.. لا بد أن هناك سببًا ما لكل شيء يحدث.. أليس كذلك؟

نظرت إليه ناردين في صمت فأردف: هناك قواعد بسيطة لا تحاولي أن تخالفيها وإلا...



ولوَّح بالسكين في يده بهدوء مكملًا التهديد:

أول قاعدة: الاستماع.. استمعي إليَّ بعناية وأصغي لكل تفصيلة.. التفاصيل مهمة للغاية في حكايتي.

ثاني قاعدة: في حالة الاستماع الجيد سأزيل الكمامة من على فمك، ولو صرختِ سأقطع لسانك.. أنا بحاجة إلى تفسيرك، ولكن بإمكانك أن تكتبيه، لا يجب أن تقوليه؛ ولذا أنا لست بحاجة إلى لسانك.. أو بإمكاننا تجنب كل ذلك.. فقط لا تصرخي.

ثالث قاعدة: لو كنتِ ملتزمة ومطيعة فسوف أحل قيودك، وبإمكاننا التحدث كأناس متحضرين، ولكن على أن أثق بك في البداية.

رابع قاعدة: لو خالفتِ أي قاعدة من قواعدي فسوف أفعل بكِ كما فعلتِ أنتِ بشخصيتك الرئيسية في رواية «الذئاب».

ارتجفت ناردين وهي تنظر إليه.. رواية الذئاب تلك.. لشدَّ ما تمقتها.. لم تعلم لماذا كتبتها من الأساس! لم تعلم بالتحديد أي مشهد قتل في الرواية يقصد، ولكنها تعلم أن كل شخصياتها ماتوا بشكل مأساوي ووحشي؛ ولذا لن يهم أي مشهد.

طرقع الرجل بأصابعه ليعيد تركيزها إليه وقال: هذا



ما أقصد بالاستماع.. أنتِ تفكرين كثيرًا، وتستطردين في أفكارك.. أنا بحاجة إلى تركيزك.. استمعي لما سأرويه.. التفاصيل.. أنا بحاجة لإجابة.. متفقان؟

ظلت تنظر إليه.. لا يوجد أمامها بدائل كثيرة.. والحقيقة أن هناك فضولًا لعينًا بداخلها لتعرف ما الذي سيرويه.. أومأت برأسها له موافقة وهي غير مصدقة أنها أعطت الرجل أول خطوة من التواصل معه.. إلى حين تلك اللحظة كانت تنظر إليه كأنه غير حقيقي.. ولكنها الآن تومئ له برأسها.. هو حقيقي.. وفي شقتها الآن.. هذا ليس كابوسًا.. وعليها أن تقدم له منطقًا.. إجابة وتفسيرًا.. هي -دون كل الناس- عليها أن تستمع لتفاصيله.. أومأت برأسها له مرة أخرى.. وبدأ الرجل يحكي.

الفصل الثاني
الرجل يحكي

اسمي صلاح.. أعمل محقق تأمين في شركة خاصة.. لا داعي كي تعرفي الكثير عن حياتي.. يكفيكِ أن تعرفي أني وحيد منذ أن رحلت أختي وعلاقتي بأسرتي هشة..



خطبت ذات مرة ولكنها تزوجت آخر؛ لأنه يمتلك ما لا أملك من سيارة وشقة تمليك وخلافه.. لن يهمك أن تعرفي أين أعيش، وكيف أشعر، وتفاصيل شقتي الصغيرة ذات الجدران البيضاء اللامبالية، والأثاث الجاف الذي ينظر لي في تعاطف لمقدار وحدتي.. كل ما يهمك هو ما حدث في الأول من مارس العام الماضي.. هذا اليوم اللعين الذي غيَّر مجرى حياتي للأبد..

بدأ الأمر كمأمورية عادية.. دلفت لمكتب مديري أشيب الفودين.. كان رياضيًّا في شبابه، ولكن الترهل بدأ يزور جسده.. قال لي وهو يزوم كعادته كلما بدأ يفكر: سيدة البحيرة.. هذا هو الاسم الذي تطلقه الصحافة على تلك القضية اللعينة.. رحاب عبدالعزيز.. فتاة في العشرين اختفت بجوار بحيرة في قرية اللوتس بالساحل الشمالي.. الفتاة مؤمَّن عليها بمبلغ باهظ.. والدها عبدالعزيز السلدان الممثل التونسي المشهور.. ويبدو أننا سندفع مبلغ التأمين.. أريد منك الذهاب للوتس.. أريد منك أن تحاول أن تجد الفتاة المختفية.. حاول أن تجد ثغرة ما.. أنت أفضل واحد لدينا في إيجاد تلك الثغرات.. لديك حدس ما يصيب عادةً في قضايا الاحتيال.. وأنا أعتقد أن اختفاءها أمر مدبر منها هي ووالدها كي يحصلا على مال التأمين.. فقط



حاول أن تجد ثغرة ما..

تكررت جملة المدير في عقلي وأنا أقود سيارتي الـ١٢٨ متجهًا للإسكندرية.. حاول أن تجد ثغرة ما.. احتيال.. توقفت بسيارتي عند استراحة على جانب الطريق وتفحصت ملف عبدالعزيز السلدان وصور ابنته وأنا جالس في الكافيتريا.. عبدالعزيز السلدان ممثل تونسي تألق في السبعينيات والثمانينيات في السينما قبل أن يتجه للتلفاز وهو في العقد الرابع من عمره.. نجم نمطي نوعًا ما، تغيرت أدواره من دور البطل زير النساء شديد القوة للرجل الحكيم الذي يمثل القيم والمبادئ، وهو نمط تحول أي ممثل سينما تقليدي للتلفاز.. تزوج عدة مرات.. له ابنة واحدة هي رحاب.. نصف مصرية ونصف تونسية، توفيت والدتها وهي تلدها.. رحاب درست سياسة واقتصاد.. كانت بطلة تنس أرضي في الجامعة.. لا يوجد الكثير عن تفاصيل حياتها الشخصية سوى أنها ذهبت مع أصدقائها لقرية سياحية في الساحل الشمالي للمصيف، وفجأة لم تعد هناك.. الفتاة التي لم تكن.. اختفت فجأة دون مقدمات بجوار البحيرة، ومن هنا أطلق عليها الرأي العام والإعلام لقب «سيدة البحيرة».

نظرت إلى صورة رحاب.. فتاة في العشرينات نحيفة ترتدي العوينات، لها أنف طويل وشعر أزرق قصير.. لا



أعلم لونه الأصلي لكنها تصبغه أزرق في جميع صورها.. كان بها شيء جذاب للغاية ولم أعلم ما هو.. لكنها حركت خيالي وأنا أنظر إليها.. وضعت الملفات جانبًا واحتسيت من قدح قهوتي ونفثت دخان سيجارتي قبل أن أتجه لسيارتي.

تنهب عجلات السيارة الأرض نهبًا وأنا أفكر في رحاب ووالدها.. الصحف تقول إن الممثل المشهور كان يعاني من ضوائق مادية مؤخرًا إثر ديونه المتراكمة إزاء طليقاته.. ومن هنا كوَّن مديري نظريته عن نظرية الاحتيال للحصول على مال التأمين.. رحاب بالنسبة إليَّ كانت شخصية غامضة لم أستطع فك طلاسمها من الصور.. عند بوابة القرية السياحية اتصلت بمديري ليكلم مسئولًا ما ليسمح لي بالدخول.. لم يبدوا متحمسين وهم يسمحون لشاب في أواخر العشرينات من طبقة متوسطة بدخول القرية السياحية بسيارته الـ١٢٨، ولكنهم سمحوا لي بالدخول على أي حال.

ترجلت من سيارتي وسرت باتجاه البحر وأنا أتجاهل النظر للفتيات رائعات الجمال برداء البحر في كل صوب.. وقفت أمام البحيرة وأنا أفكر.. ما الذي حدث لكِ يا رحاب وأين أنتِ؟.. طيلة عمري كنت مولعًا بالأسرار..



لم أكن شخصًا عمليًّا ينظر للحقائق فحسب.. كنت أتمنى دومًا وأنا طفل أن يكون هناك مجهول.. شيء لا نعلمه.. الغموض شيء رائع، ألا تتفقين معي؟.. وهأنذا الآن أقف أمام البحيرة أحاول فك طلاسم سر ما.. أين ذهبت رحاب؟

الأسرار.. إن الناس يتحدثون.. لا يحفظون أسرارًا.. عندما تقول لأحد شيئًا وتؤكد عليه ألا يقول لأحد فكن واثقًا من أنه أو أنها في لحظة وهن بعد منتصف الليل سيقولون لأحد.. لملء فراغ محادثة، أو للحديث لمجرد الحديث، أو لأنهم يشعرون بالوحدة.. أغلب البشر يشعرون بالوحدة.. أن تجد أحدًا كي يصغي إليك أمر ليس سهلًا هذه الأيام.. إن الناس يتحدثون، ويحرفون بعض الأحداث.. تلك هي الطبيعة البشرية.. لا يوجد أحد يؤْثر الصمت والكتمان هذه الأيام.. إلا هؤلاء الذين يقبعون في قاع تلك البحيرة التي أقف أمامها الآن.. الشمس كانت تحتضر في السماء، والجو كان بلا شخصية.. لا أستطيع تحديد إن كان باردًا أم حارًّا.. كان يبدو لي مرهقًا من تقلبات مزاجه، وقرر أخيرًا أن يأخذ استراحة.. لا ريب أنه أصيب بالاكتئاب أخيرًا من شخصيته الهوائية متقلبة المزاج.. كنت أرتدي قميصًا أسود وسروالًا في نفس لونه.. رأيت انعكاسي على سطح مياه البحيرة.. الإرهاق



يبدو على ملامحي.. أشعلت لفافة تبغ.. بطرف عيني تجولت في مشهد الطبيعة الخلاب من حولي.. الجنائن والأشجار.. الحقل الأخضر الضخم.. البحيرة المستديرة الراقدة أمامي تعدني بأسرار لن أستطيع كتمانها.. انحنيت على ركبتي ونفثت دخان لفافتي وأنا فعل هذا، ونظرت للبحيرة وأنا فعل هذا، وقلت: ما الذي رأيتيه؟ ما الذي حدث لرحاب في هذا اليوم؟ احكي لي.. وسأحتفظ بأسرارك.

لم تجبني البحيرة.. وقفت مرة أخرى وتنهدت قبل أن أستدير.. ذهبت للشاليه الذي قطنته رحاب مع أصدقائها.. كان خالي من السكان ولم يمانع أحد من دخولي لحديقته.. في البدء كنت أبحث بحرص ثم أخذت راحتي عندما تأكدت من عدم وجود قاطنين.. كنت أعلم أن الشرطة بحثت، ومن المفترض أن عبدالعزيز السلدان بحث هنا أيضًا، وأصدقاءها بحثوا بنهم وحماس عن أي دلائل لاختفائها.. ولكني كنت أبحث بطريقة مختلفة.. شيء واحد تعلمته من أختي قبل أن تودي الحادثة بحياتها، وأعتقد أنها تعلمت هذا الشيء منك؛ وهو الخيال.. الخيال يجعلك تفكر بشكل مختلف.. أي شيء من الممكن أن يحدث.. حاولت أن تتخيل رحاب جالسة وحيدة في حديقة الشاليه في قلب



الليل بينما أصدقاؤها يمزحون ويضحكون بالداخل.. تدوي أصوات ضحكاتهم من بعيد في أذنيها وهي جالسة وحيدة متربعة كالقطة تفكر.. ترى فيمَ كانت تفكر؟ أم أنها كانت بالداخل تضحك معهم.. الشاليه كان من طابقين والحديقة الخضراء تحتضنه بشكل مستدير بالخارج.. انحنيت على ركبتي وبدأت أبحث في نجيلة الحديقة.. أنا دومًا أتبع حدسي، وهو قال لي أن أبحث في الحديقة ليس داخل الشاليه...ربما شخصية رحاب أعطتني انطباعًا أنها تحب الطبيعة والخضرة وأنها ستفضل الجلوس في الحديقة.. والدها فنان بعد كل شيء، ولا بد أن مخيلتها قادتها للجلوس وحيده تفكر – ولو لمرة – في الحديقة.. ربما ستضحكين مما سأقوله الآن ولكني بدأت أشمشم في الأرض.. أحاول التقاط أي رائحة.. لو رأتني أختي الآن لضحكت وقالت في سخرية إنني أقلد شيرلوك هولمز.. واصلت البحث وأنا أسير على أربع فوق أرض الحديقة.. لم أجد شيئًا.. فقط وجدت ساقي أحد أمامي.. رفعت رأسي بهدوء لأجد رجلًا عجوزًا يقف وينظر إليَّ قبل أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله! شباب تلك الأيام.. ما الذي تتعاطونه بالضبط؟.. كان يتحدث بهدوء ولكنَّ أذنيَّ التقطتا النبرة الحادة في صوته التي بدأت تتحول لنبرة غاضبة،



فاعتدلت واقفًا وقلت وأنا أحاول أن أبتسم كي أبدو لطيفًا ورائعًا: اسمي صلاح، وأنا أعمل كمحقق.. أنا هنا بشأن قضية الأستاذة رحاب سلدان. نظر إليَّ لوهلة في شك ثم قال وهو يشد على يدي: آسف لو أسأت الظن بك يا أستاذ.. مادمتَ تقوم بعملك فلا غبار عليك.. اسمي رأفت.. أنا أقطن في الشاليه المجاور.. وأشار للشاليه وهو يتحدث فسارعت بالرد كاذبًا وأنا أتظاهر بأني قرأت عنه في ملف القضية لإرضاء غروره: آه أستاذ رأفت طبعًا.. كنت أنوي المجيء والحديث معك فور أن أنتهي.. لا بد أنه عجوز يعيش وحيدًا في الشاليه بعد أن تزوج أبناؤه جميعًا.. جلد وجهه كان غريبًا كأنه مشدود.. غالبًا تقاعد عن العمل ويأتي الصيف كله ليقضيه هنا في الساحل.. ويزوره أبناؤه بين حين وآخر هنا مع زوجاتهم أو أزواجهن.. في الأغلب يعاني الوحدة ورغمًا عنه أصابه داء النميمة.. العجائز يلاحظون الأشياء دومًا.. كنت أعلم أن بعض الإطراء سيجعله يتحدث ويحكي لي الكثير.. عليَّ فحسب ألا أجعله يستطرد في الكلام عن الحياة في القاهرة، والأيام الخوالي، وتغير الأسعار، وأن أجعله يحكي لي رأيه الحكيم عن عبدالعزيز السلدان وابنته.

قال لي وهو يجلس في حديقة الشاليه الخاص به



ويرشف من قدح الشاي خاصته: لم أتعامل مع الأستاذ عبدالعزيز كثيرًا، ولكن ابنته كانت تأتي مع أصدقائها كثيرًا.. جميعهن فتيات لا يوجد صِبية وإن كانت تقابل بعضهم.. أنا لا أحب التدخل في حياة الآخرين ولكني رأيت أكثر من شاب ذات مرة يوصلها للشاليه.. قاومت أن أقاطعه وأقول له إن أي أحد سيقول إنه لا يحب التدخل في حياة الآخرين لهو بطبيعة الحياة شخص فضولي يدس أنفه دومًا في حياة الآخرين.

تابع الرجل: كانت تجلس في الحديقة كثيرًا.. وأحيانًا كانت تبكي. لم أهنئ نفسي على براعتي في التوقع، واكتفيت فحسب بأن شكرته وأنا أقوم فقال: هل تريد دخول الشاليه؟ معي المفتاح.

تركني الرجل ورحل بعد أن عدت لشاليه السلدان، نظرت إلى الحديقة مرة أخيرة ثم دخلت البيت ذا الطابقين.. قابلني مطبخ مُطل على الصالة، وسلم يقود للطابق الثاني، وغرفتا نوم تجاورهما الصالة.. بحثت في المكان بهدوء.. لم يكن منظمًا.. فتيات يقضين الوقت معًا في المصيف لا يجب أن تتوقع منهن النظام دومًا.. صعدت للطابق وسرت في الردهة.. لم يكن هناك سوى الصمت.

اتجهت لغرفة وحيدة مغلقة.. هناك رائحة كريهة



للغاية في الغرفة، انحنيت بتوجس ونظرت من ثقب الباب، لوهلة ظننت أني رأيت أحدًا يتحرك داخل الغرفة، تراجعت للوراء متعجبًا، قبل أن أنحني وأنظر مرة أخرى.. لا شيء سوى السكون، اعتدلت واقفًا وفتحت بابها لتصدم أنفي رائحة الموت الكريهة التي شممتها من قبل في المشرحة وأنا أقف بجوار جثة أختي.. داخل الغرفة كان عبدالعزيز السلدان -أو ما تبقي منه- رأسه كان فوق منضدة بجوار الدولاب.. جسده كان بجوار رأسه.. ولم يكن في مكان واحد.. ذراعه كانت بجوار الفراش بينما ذراعه الأخرى سبقت أختها فوق الفراش.. باقي جسده كان ملقًى بإهمال بجوار المنضدة.. ولكن ساقه لم تكن هناك.. سرت للأمام مشدوهًا فتعثرت في ساقه المستلقية أمام الباب.. لوهلة ظللت واقفًا وأنا أرمق المشهد بينما الدماء تزين الأرض والحائط من حولي.. شيء غير لطيف دار ها هنا.. أحدهم مزق الرجل تمزيقًا ورحل ولم ينسَ إغلاق الباب وراءه وهو راحل.. يا له من ضيف مهذب وغير ثقيل! لم تكن تلك أول مرة أرى الموت ولكنها كانت أول مرة أراه بتلك الطريقة.. بهذا الأسلوب.. الأسرار.. هناك سر ما.. رحاب اختفت ووالدها يبدو كأنه احتضن قطارًا سريعًا.. تراجعت للوراء كي أرحل لتنزلق



قدمي فوق الدماء اللزجة فأطير في الهواء للحظة قبل أن يصطدم رأسي بقوة بالأرض.. تناثرت الدماء فوقي وأنا مستلقٍ على ظهري.. تذكرت مديري وهو يقول: عليك أن تجد ثغرة ما.. لا أعتقد أن الحماسة قد وصلت بعبدالعزيز لدرجه تمزيق نفسه كي يحصل على مال التأمين.. اعتدلت وأجبرت نفسي كي أسير باتجاه جثة الرجل.. تجاهلت النظر لرأسه.. عيناه تنظران إليَّ وأنا أسير كأنه على وشك قول شيء ما.. لماذا يرتدي الرجل معطفًا غريب الشكل كهذا؟ لم أعلم لماذا، لكني انحنيت ودسست يدي في جيب المعطف القماشي الذي كان يرتديه.. وجدت الكثير من الملفوفات والأوراق.. لفها الرجل بشكل يدوي بخيط.. لا أعلم لماذا، لكني أدركت أن تلك المخطوطات مهمة.. دسست يدي في جيب المعطف الآخر فوجدت رزمة أخرى.. المعطف يحوي الكثير من الأسرار فيما يبدو.. نظرت لرأسه وقلت: لا أعلم من فعل بك هذا.. لكني سأحاول أن أجد ابنتك.. أنا لست رجل شرطة.. أنا مواطن عادي يعاني الوحدة وأحب أن أشغل نفسي بمشاكل الآخرين.

كنت أحدث رأسه وأنا آخذ المعطف من فوق جسده.. كنت أعلم أني لو حملت المعطف فوق كتفي ستسقط رزم



الأوراق الكثيرة التي بداخله فارتديته ورحلت.. كلا لن أبلغ الشرطة ولن أدخل في دائرة استجواب لا طائل منها.. ليكتشفوا هم ما حدث.. أتمنى فحسب ألا يذكر الأستاذ رأفت –هذا الجار الفضولي اللطيف– اسمي لهم لأجدهم على عتبة بابي.

خرجت من الشاليه وأنا أسير بهدوء واضعًا كلتا يدي في جيوب المعطف.. رائحة المعطف كريهة.. رائحة تعفن وموت.. والدماء تزين بعضًا منه ولكن لونه الغامق لم يظهرها.. توقفت مرة أخيرة أمام البحيرة.. ثم رحلت.. بعد ثلاث ساعات وصلت القاهرة.. توقعت أن تتعطل سيارتي المتواضعة في الطريق، أو أن يحدث أي سوء حظ، ولكن شيئًا لم يحدث.. لم أعلم لماذا ارتديت معطف الرجل ولماذا قررت أنه واجبي أن أجد ابنته، ولكني فسرت هذا بوحدتي وافتتاني بالأسرار والمجهول.. مررت بجوار البنايات في القاهرة العجوز بينما أفكاري تنساب للإسكندرية اللعوب.. نوافذ بنايات القاهرة تنظر إليَّ كأنها عيون يائسة.. كم من حياة وأسرار تختبئ بداخل تلك البنايات في هذا الشارع الطويل! الأسرار والطبيعة البشرية.. أمامي مرت امرأة ترتدي الكثير من الطلاء الذي لا تحتاجه وتتظاهر بأنها جادة.. من الصعب أن تتظاهر بالجدية أسفل هذا الكم من



مساحيق التجميل.. تُرى أتخفي هي الأخرى أسرارًا؟.. ابتلع الظلام المرأة وواصلت السير بهدوء.. من بين كل الأسرار هناك حقيقة واحدة يجب أن أكتشفها.. لماذا اختفت فتاة شابة بجوار البحيرة؟.. كأنها لم تكن.. سيدة البحيرة.. ما الذي حدث لك؟ بشعرك الأزرق القصير ونظرتك الحالمة.. أين أنتِ؟ أعلم أنك لست في قاع البحيرة.. لقد بحث عنك الغواصون هناك.. نظرت إلى انعكاس ظلي على الأرض.. هل أنا أريد حقًّا أن أعرف ما الذي حدث لها.. تذكرت ما الذي حدث لوالدها.. هو الآخر كان يريد أن يعلم ويبحث عنها.. كنت أعلم أن الحقيقة ستقودني في طريق مظلم ترتجف قدماي من مجرد فكرة السير به.. ولكني واصلت السير.

في شقتي جلست أنظر للمعطف الماثل أمامي في هدوء.. لقد اكتسب المعطف قوًى نفسية كاسحة.. أخرجت رزمة الأوراق من جيوبه وبدأت أقرأ.. ما وجدته كان مقتطفات من مذكرات لأناس عديدين.. وخطابًا كتبه عبدالعزيز السلدان.. بدأت بقراءة الخطاب.

الفصل الثالث

خطاب عبدالعزيز السلدان



إلى من يهمه الأمر.. أو من يجد هذا الخطاب..

اسمي عبدالعزيز السلدان.. لقد رأيت الكثير من العجائب في حياتي.. لقد سافرت للهند وشرق آسيا.. جلست مع قبائل البدو في صحراء العرب، وسمعت الكثير من أساطيرهم.. أنا دومًا مغامر ورحالة وإن اعتقد العامة أني مجرد ممثل مزواج يأخذ من الحياة ما يستطيع من متعها.. أنا أحب المغامرة.. كما أحب الفن والتمثيل.. كنت دومًا مولعًا بالإخراج والكتابة وليس التمثيل فحسب.... ولكني أيضًا أحب ابنتي.. هي واقعي وقلبي الذي يدق.. لقد أخذوا ابنتي وهم قادمون من أجلي الآن.. أنا لا أعلم من هم.. ربما هم ليسوا مجموعة.. ربما هو فرد واحد.. لا أعلم.. ولكني أعلم أن حادثة اختفاء ابنتي لم تكن الأولى.. أنا أعلم أن هناك شيئًا ما مظلمًا يحدث من حولنا ونحن لا ندركه.. بدأ الأمر منذ عام بالضبط.. كانت هناك تلك المجزرة الشهيرة على مشارف الإسكندرية في المبنى الخاص بالاتصالات.. هذا المبنى المعزول عن المدنية والحضارة.. يطل على البحر فحسب.. مخرج شاب متحمس أراد أن يحول أحداث المجزرة لفيلم سينمائي، وأنا كنت بحاجة للعودة للسينما مرة أخرى وترك التلفاز،



وهكذا ذهبت للمبنى وبدأت أتقصى وأسأل عن ضحايا المجزرة لعلي أجد شيئًا ملهمًا في تحضير الجو العام للشخصية.. المخرج كان أخرق على أي حال وبحاجة لنصائحي وخبرتي.. ما توصلت إليه بعد رحلتي للمبنى أن شيئًا بشعًا قد حدث هناك.. وما يلي جزء من مذكرات ضحايا المبنى:

جزء من مذكرات أحمد عدنان:

كلنا مرهقون ولا أحد منا يثق بالآخر.. هناك شيء ما معنا.. لا أحد يفهم شيئًا.. ولا أعتقد أن أحدًا منا سينجو.. أنا فقط أترك هذه الرسالة لمن قد يجدها يومًا ما.. العالم ليس مكانًا آمنًا.. ونحن لسنا لوحدنا.. الوحوش موجودة.. المسوخ والغيلان ليسوا أساطير.. هم بداخلنا.. طيلة الوقت.. وأحيانًا ينتصرون.. واحد منا أصبح منهم.. وهو معنا الآن.. أسمع الخطوات تقترب في قلب الليل بينما الصقيع يداعب عنقي.. عليَّ أن أترك مذكراتي الآن وأذهب لأرى مَن الطارق..

....

جزء من مذكرات سلمى الخطاب:

هأنذا أجلس وحيدة في الغرفة والرياح تعصف بالخارج بينما أمواج البحر تستشيط غضبًا.. أتصبب عرقًا



وأحاول ألا أجعل يدي ترتجفان وأنا أكتب ما قد يكون آخر شيء أكتبه في حياتي.. أنا أترك هذا الكلام لمن قد يجده بعدي يومًا ما.. الشيء حقيقي.. وقد أثبت لنا جميعًا أن البشر هم المسوخ الحقيقيون.. ما حدث في الأيام السابقة هو الهول بعينه.. أنا لا أعلم من هو ولكني أعلم أنه واحد منا.. أنا أرى ظلًّا يتحرك ورائي على الحائط، وهذا الظل ليس ظلي.. أشعر بضلوعي تنقبض داخل صدري وأفشل تلك المرة في أن أجعل يديَّ تكفان عن الارتجاف.. إنه قادم..

....

جزء من تسجيل صوتي لمحمود عبدالعال على هاتفه الجوال:

لا أعلم كيف أصف ما حدث مع تلك المرأة في المستشفى.. كان هذا آخر يوم لي في المشفى قبل أن أنتقل للعمل كطبيب مقيم في مبنى الاتصالات في الإسكندرية.. ولكني أعتقد أن ما حدث معها كان نقطة البداية لكل الأحداث المروعة التي تلت.. عندما أتذكر أُصاب بحالة حادة من الغثيان.. أنا طبيب وقد رأيت الكثير من الأشياء.. ما هي الكلمة؟.. لن أقول أشياء قاسية أو دموية، ولن أقول إني رأيت الموت أكثر من مرة، عندما يشحب



المريض ويصفرُّ لونه وتدرك أنه رحل، كلا ليس هذا هو التعبير، سأقول إني رأيت الكثير من الأشياء القذرة في حياتي.. رأيت المريضة المراهقة التي تحتضر دون سبب، ورأيت المسنة العجوز التي تتظاهر بالمرض لأنها تشعر بالوحدة بعدما هجرها أولادها وتأتي كي تتسامر مع الأطباء في الوحدة، رأيت أهالي المتوفى الغاضبين وهم يبحثون عن الطبيبة المسئولة ليفتكوا بها، ورأيت لامبالاة وروتينيات المسئولين تجاه معاناة البعض.. لقد رأيت الكثير، وهذا الكثير كفيل بأن يجعلني شخصًا غير مُبالٍ أو شخصًا يفقد عقله تدريجيًّا، ولكن ما رأيته في هذا اليوم كان أمرًا جديدًا، غير مألوف، وبشعًا.. في هذا اليوم كنت قد انتهيت من نوبتي في العمل.. كنت أسير في ردهة المستشفى وأنا أجفف يدي عندما مررت بجوار عنبر الأطفال حديثي الولادة.. توقفت عندما رأيت تلك الأم وهي تبتسم في حنان ورضيعها بين يديها.. كنت بحاجة كي أقف وأرى هذا المشهد.. بعد كل تلك المعاناة والألم واللامبالاة كنت بحاجة كي أدرك بشكل ساذج أن الإنسانية والرحمة لا تزالان موجودتين؛ ولذا توقفت ونظرت إليها مبتسمًا.. أم في الثلاثينات ممتلئة قليلًا تقف منهكة ومرهقة وتحتضن رضيعها.. أراها تتشمم رائحة شعره.. رائحة



شعر الأطفال المنعشة تلك تتخلل إلى روحك وتشعرك بالسعادة.. رأيتها تغمض عينيها وهي تتشمم رائحة رأسه وتبتسم.. كانت وحدها في عنبر الأطفال ولم أُرِدْ أن أزعجها أو أفسد عليها اللحظة، ولكني ظللت واقفًا أنظر إليها وأنا أشعر بالهدوء النفسي.. رفعت الأم يدها ووضعتها برفق على رأس طفلها.. بدأت تمسح بيدها على رأس الرضيع ابن البارحة.. اختلج قلبي وأنا أنظر إليهما.. لشدَّ ما كنت محتاجًا أن أرى شيئًا كهذا! ترى فيم يفكر الرضيع وهو نائم في حضن أمه.. في حياته القادمة، فتاته التي سيحبها، وظيفته التي ستتصارع مع روحه، أحلامه التي ستتصارع مع أهداف المجتمع العملية.. ترى أسيتخلى عن أحلامه أم سيحتفظ بروحه؟.. المدرس الذي سيصيبه برهبة في المدرسة وهو يزجره.. أم المدرسة التي سوف تفتن عقله وتطلق خيالاته وهو مراهق؟.. ابتسمت مرة أخرى وأنا أنظر إليهما.. أمامك الكثير من المغامرات يا فتى.. لعل الحياة ليست بهذا السوء بعد كل شيء.. لعله لن يشعر بالوحدة ويبكي وحيدًا.. لعل أقاربه لن يزوروه وهو طفل ويحاول أن يبقى وحيدًا بعيدًا عن الجميع؛ لأنهم لن يفهموه.. لعل والده ووالدته لن يفسدا طفولته.. لعل الصبية في المدرسة لن يحيلوا حياته جحيمًا



لأنه مختلف وهادئ وخجول.. لعل الفتاة التي ستسرق قلبه ستبتسم له إزاء نظراته البلهاء إليها كلما رآها.. لعل الحياة لن تقيده وتفتك به ببطء وتبتسم في وحشية إزاء عجزه ومعاناته.. عدت من أفكاري وكففت عن تخيل وجه الرضيع المبتسم ويد والدته تداعب رأسه وظللت واقفًا أنظر إليهما.. لا تزال تمسح بيدها على رأسه في حنان وهي تحتضنه.. ثم رأيتها تضغط بيدها على رأسه.. كلا.. لم تضغط.. قبضت بيدها على رأسه في بادئ الأمر ثم بدأت تضغط بقوة.. لثوان أصابني الشلل وعدم الفهم.. نفس حالة الشلل التي قد تصيبك عندما ترى حافلة تصدم قطًّا في الشارع لو كنت من محبي القطط.. ما الذي يحدث؟ ولماذا؟ وكيف؟.. بدأت تضغط بيدها على رأسه تدريجيًّا، رأسه الناعم الواهن الذي لم يكمل يومًا في عالمنا هذا، بكى الطفل في ألم، وتعالى بكاؤه المروع عندما برزت أجزاء من مخه وهي تعصر رأسه عصرًا، قبل أن ينقطع صوته تمامًا.. بعدها رمت الأم جثة الطفل.. لم تنظر حتى إليه وهو هامد الحركة على الأرض.. فقط التفتت إليَّ ببطء لن أنساه ونظرت إليَّ وقالت بوجه جامد كأنها لا تراني: إنه قادم.. الشيء قادم..

والآن هأنذا أجلس أسجل ما قد يكون آخر لحظات لي



وأنا أسمع الرياح تعوي بالخارج والبحر يثور وأنا في تلك الغرفة اللعينة.. الآن قد فهمت نوعًا ما قصدته المرأة.. الأحداث المروعة التي وقعت أمام عيني في الأيام السابقة في مبنى الاتصالات جعلتني أدرك أننا نحن المسوخ.. هو معنا الآن.. هو واحد منا لكننا لا نعلم من هو.. الشيء.. أسمع خطوات أحدهم تقترب.. كنت أشعر بالوهن.. الخطوات الرتيبة تقترب.. أتسمعونها معي.. كلا.. لن أنظر ورائي..

....

عوده لخطاب عبدالعزيز السلدان:

تلك هي مذكرات أحمد عدنان وسلمي الخطاب ومحمود عبدالعال.. أو جزء من مذكراتهم.. جميعهم تحدثوا عن هول قادم إليهم.. عن شخص ما بينهم ليس كما يبدو عليه.. عن شيء ما.. لم يفهم أحد ما حدث في المبنى وما هو سر المجزرة التي وقعت هناك... والمخرج والسيناريست كان لديهما تفسير ما طفولي لما حدث ينويان أن يقدماه في الفيلم.. لعل تفسيرهما يخدم الدراما بشكل ما لكنه لم يناسبني.. والآن هأنذا أبحث كالمحموم عن حقيقة ما حدث في المبنى، لم أجد إجابات.. فقط الكثير من الأسئلة، إلى أن أتى هذا اليوم الذي وجدت فيه



كتيبًا صغيرًا لمذكرات سلمى الخطاب.. مذكرات كاملة لما حدث في المبنى.. قرأتها وفهمت كل شيء.. لقد أعدت صياغة مذكرات الفتاة لأقدمها للسيناريست لتصبح الفيلم المنتظر.. ما كتبته هو بالضبط ما كتبته الفتاة ولكني كتبته بوجهه نظر حيادية.. والآن أريد أن أقول شيئًا لأي كان ممن يقرأ الخطاب الآن.. اقرأ الكتيب.. أنا فهمت ما حدث وأدفع حياتي ثمنًا لهذا الآن.. ولكن لا تزال هناك فرصة لابنتي.. أنا لا أعلم من أنت أيها الغريب.. أعرف أنك تقرأ خطابي الذي أكتبه في لحظة موتي، ولعل هذا يقرب بيننا بشكل ما.. لعلك أنت أقرب شخص إليَّ رغم أني لم أرك قط لأنك تراني في لحظة ضعف ووهن دون تظاهر، عكس جماهيري التي رأت دومًا ما أريد أنا أن يروه.. اقرأ الكتيب لعلك تفهم.. وحاول أن تجد ابنتي.

....

وهكذا انتهيت من قراءة خطاب عبدالعزيز.. ودونت عندي في مفكرة أسماء هؤلاء الأشخاص الذين تحدث عنهم.. سلمى الخطاب وأحمد عدنان ومحمود عبدالعال.. بحثت في الإنترنت عن مجزرة مبنى الاتصالات في الإسكندرية، كنت قد سمعت عن الأمر كثيرًا فور حدوثه عندما كان ضجة إعلامية كبيرة قبل أن يتناسى الجميع ما



حدث، ستة موظفين وجدوهم مقتولين بشكل وحشي في المبنى، هذا هو ملخص المجزرة.. لا دلائل ولم يتم العثور على القاتل.. لا يوجد تفسير ولا دافع للجرائم.

نظرت إلى الكتيب وأعددت لنفسي بعض الشطائر والشاي وجلست آكل وأقرأ.

الفصل الرابع
«شقة ناردين»

....

-ها هو ذا يرى الوريد يتأجج في عنقها الطويل..
من قلب الممر الطويل بصقه الظلام لنا..
انظر إليه وهو غاضب.. انظر إليه وهو قادم..
ليصرخِ الأطفال ويبكِ الرجال.. فهو قد أتى..
الشيء قادم.. لترقص نافورة الدماء في مجون..
الشيء هنا..

....

كان صلاح يترنم بتلك العبارات وهو مغمض العينين جالس أمام ناردين المقيدة في مقعدها ثم فتح عينيه ونظر



إليها.. كانت تصغي إليه وتعطيه تركيزها التام.. التفت يمينًا ونظر إزاء المطبخ ثم قال: كنتِ تعدين طعام العشاء عندما اقتحمت خلوتك.. أنا آسف..

- مممممم..

لم يصدر من ناردين سوى تلك الضوضاء وهي مكممة الفم ولكنها أرادت أن تقول له: واصل الحكاية ودعك من الطعام الآن.. فضولها كان يقتلها لمعرفة الجزء القادم، وعقلها الثائر لم يكف عن تحليل كل تفصيلة كان صلاح يرويها.. نظر إليها في حيرة ثم قال: أريد أن أزيل الكمامة من على فمك ولكن كيف أضمن أنك لن تصرخي؟

أغمضت ناردين عينيها في قوة مطمئنة إياه أنها لن تصرخ فقام في تردد وأزال الكمامة من على فمها.. شهقت الفتاة في قوة وكادت تصرخ بالفعل كأنما إزالة الكمامة من على فمها أعادت إليها واقعها.. هناك مقتحم مختل نفسيًّا معها الآن.. ولكنها تمالكت نفسها.. لتترك الواقع الآن.. صلاح مختل عقليًّا بالفعل لكن حتى المختلون بحاجة إلى أحد يسمعهم، وتلك هي وظيفتها بعد كل شيء.. حقيقة إنها ليست في مكتبها الآن ولا ترتدي قميصها الأبيض المفضل وهي جالسة في جلسة علاج



نفسي.. لكن تلك شكليات بعد كل شيء.. لا يهم إن كنتِ مقيدة في كرسي أم جالسة بحريتك.. كانت تريد أن تصرخ.. لكن شيئًا بداخلها منعها من ذلك.. كأنها تعلم أنها لو صرخت فهي لن تسمع باقي حكايته.. نظرت لصلاح وهي تهم بالحديث وتختار كلماتها بعناية في الآن ذاته؛ لأن هذا أول شيء ستقوله هي له وهي تعلم أن لديه توقعات كثيرة بشأنها.. لا تريد لسؤالها أن يكون مخيبًا للآمال أو غبيًّا فيصاب الفتى بخيبة أمل في الكاتبة الشابة ويقوم ويذبحها.. لا تخيب أبدًا ظن قارئ وتجيب عن أسئلتهم بعناية.. تكلمت فخرج صوتها متحشرجًا إزاء صمتها فتنحنحت وقالت: دعني أرتب كل ما قلته.. أنت ذهبت في رحلة بحث عن رحاب عبدالعزيز.. فتاة البحيرة أو سيدة البحيرة مع أنها لا تزال فتاة شابة.. وهناك وجدتَ جسد أبيها ممزقًا.. ووجدت مذكراته التي تضم مذكرات آخرين.. ملخص ما كتبه الرجل أن اختفاء ابنته ومصرعه نتيجة فضوله لمعرفة سر مجزرة مبنى الاتصالات في الإسكندرية.. إذن كل شيء بدأ هناك.. أنت تجلس أمامي الآن وترتدي معطف عبدالعزيز السلدان على ما أعتقد.. حسنًا.. دعني أرتب أفكاري فحسب.. مبنى الاتصالات في الإسكندرية والمجزرة الشهيرة.. رحاب



اختفت في الساحل.. الإسكندرية مرة اخرى.. أنا أعلم من الصحائف أن رحاب لا تزال مختفية إلى لحظتنا تلك؛ ولذا أعتقد أنك لم تجدها.. لدي كثير من الأسئلة لكني بحاجة أن أقرأ الكتيب الذي أعاد عبدالعزيز صياغته عن لسان سلمى الخطاب..

ابتسم صلاح وهو ينظر لناردين.. كانت تتحدث في حماسة وشغف وانفعال وقد نسيت تمامًا أنها مقيدة في مقعد.. كان هذا ما يتمناه بعد أن قرأ رواياتها وسمع عنها من أخته.. أن تندمج معه فيما يرويه، وتفسر له ما يحدث.. أو على الأقل تساعده في ذلك.. ولم تخيب الفتاة ظنه.. إزاء ابتسامته عقدت ناردين حاجبيها ثم أدركت أن الجملة التي كانت تختارها بعناية لتقولها للفتى تحولت لخطبة طويلة فصمتت في ارتباك.. تنهد صلاح قبل أن يقول لها: أنا لست مجنونًا.. ولكن أحدًا لن يسمعني.. أنا بحاجة لتفسير.. لمنطق.. رواياتك.. ليس فقط رواياتك.. جلساتك مع أختي.. أنتِ ساعدتيها كي تجد منطقًا في حياتها وتفسيرًا لاكتئابها.. أنا بحاجة إليك كي تفعلي نفس الشيء معي.. أنا آسف لتهديدك ولكن لم يكن هناك طريقة أخرى..

ظلت ناردين تنظر إليه في صمت قبل أن تهتف: يا



للجنون! أنا أريد أن أساعدك.. أن أصدقك..

وضع صلاح السكين جانبًا وقام بهدوء مقتربًا منها.. اقشعر بدن ناردين وهو ينحني تجاهها، ولكنه فك قيدها وجلس مرة أخرى على الأريكة.. حركت ناردين ساعديها بصعوبة مع عودة تدفق الدماء إليهما بعدما كانا مكبلين لفترة طويلة.. نظرت إلى الفتى في صمت.. أشار للسكين قبل أن يزيحه تجاهها وقال في إرهاق: خذيه.

بتوجس نظرت ناردين للسكين ثم نظرت إليه.. ربما يكون هذا اختبارًا، وفور اقترابها من السكين سينقض عليها ويفتك بها.. كلا.. لو أراد أن يفتك بها لكان فعل هذا بالفعل.. الجملة أهانت كبرياءها لكنها كانت حقًّا بلا حول ولا قوة.. ولكن ربما هو يستمتع بتلك الألاعيب العقلية.. تنهدت ناردين وأخذت السكين.. أغمض صلاح عينيه وأرخى رأسه للوراء كاشفًا عنقه لها كأنه يقول: اذبحيني لو أردتِ.. غمغم دون أن ينظر إليها: لو أردتِ الاتصال بالشرطة فتفضلي.. ولكن اعلمي أنك لن تعلمي أبدًا باقي الحكاية.. لو أردتِ الإصغاء فقط قولي لي أن أتكلم..

ومد يده في جيب معطفه وأخرج كتيبًا صغيرًا.. نظرت ناردين للكتيب.. مذكرات سلمى الخطاب.. رفعت رأسها لصلاح: سأتناول العشاء في البدء.. تبدو مرهقًا..



تناول بعض الطعام معي.. وقفت ناردين بصعوبة وحركت جسدها.. كرر صلاح: أنا آسف.. كنت بحاجة فقط إلى أحد كي يسمعني.. أحد يجيد الإصغاء.

كان يتكلم في شرود دون أن ينظر إليها.. ذهبت ناردين للمطبخ غير مصدقة لما يحدث.. هناك غريب في صالتها يروي لها أغرب الحكايات، وهناك الكثير من الشحم والدماء على وجهه.. هي لم تفكر حتى أن تكون حبكة رواياتها بذلك الخيال.. الخيال أكثر منطقية من الواقع.. وصلاح بحاجة لمنطق ما لما يحدث له.. لتفسير.. أن يعرف لماذا.. لماذا اختفت رحاب؟ ولماذا مزق أحدهم جسد والدها؟ لماذا مات ستة موظفين بتلك الطريقة الوحشية في مبنى الاتصالات؟ لماذا أدمن أخوها المخدرات ورحل والدها وهي صغيرة.. الإجابة.. هذا هو ما ينتظره صلاح منها بعد أن ينتهي من حكايته الغريبة..

نظرت للفتى.. لا يزال شابًا.. ولكن الإرهاق وما يرتديه جعلاه يبدو لها في بادئ الأمر كأنه كهل في الأربعين.. أي أهوال رآها وعرفها الفتى كي يتحول لما هو عليه الآن.. يبدو وكأنه متشرد يهيم في شوارع المدينة بعدما ضل طريقه.. عادت إليه بطبقين أخذت واحدًا وأعطته الآخر، وجلست تأكل في نهم كأنه غير موجود..



نظر صلاح إليها في استغراب وهي تأكل بتلك الوحشية، ولم يملك سوى أن يبتسم.. الكاتبة الشابة غريبة الأطوار التي تعيش وحيدة لتقص حكاياتها عن الوحوش والغيلان.. ارتجف قليلًا وهو يفكر.. الوحوش والغيلان.. الشيء.. ثم عاد بأفكاره إليها.. كان يعلم من أخته الكثير عنها.. ورواياتها التي قرأها قالت له الكثير عن شخصيتها.. هي عفوية للغاية، يراها العقلانيون كاتبة ومحللة نفسية مجنونة حادة الآراء.. ولكنه كان يعلم أنها تمتلك تلك الروح الثائرة التي لن تقاوم الفضول.. لن تقاوم الغموض والمغامرة.. مثلها مثل عبدالعزيز السلدان.. ومثله هو – صلاح – ولكن انظر أين هم الآن.. عبدالعزيز دفع الثمن باهظًا بينما هو نفسه – صلاح – قد تحول لمختل فاقد عقله يقتحم شقة فتاة تعيش وحيدة.. لم يكن يفكر كثيرًا عندما فعل هذا.. تذكر لحظات ما قبل مجيئه إليها وأغمض عينيه وارتجف بقوة.. نظر إليها فوجدها تنظر إليها وهي تلوك الطعام بقوة وتنحني برأسها تجاه الطبق..

قالت ناردين بفم ممتلئ بالطعام: أنتَ تريدني أن أتكلم لأقطع حبل أفكارك، أليس كذلك؟.. عقلك يذهب بأماكن لا تريد الذهاب إليها..

– نعم.. أجابها صلاح وبدأ يأكل بدوره.. قبل أن



يكمل: الطعام دافئ.. لقد افتقدت هذا الشعور.. أنا آكل من طعام الناس الطبيعيين..

- خذ راحتك وأنت تأكل.. كلانا يتضور جوعًا على ما أعتقد.. ربما تكون تلك أول وآخر مرة ترى فتاة تنحني تجاه الطبق وتأكل بهذا النهم دون أن تأخذ قطعة فحسب وتقول لك: شبعت..

ضحك صلاح وواصل الأكل.. بعدما انتهى الاثنان نظرت إليه ناردين ثم قالت: بما أنك اقتحمت شقتي في قلب الليل وأنا كنت من كرم الضيافة أعد لك الطعام فستذهب أنت للمطبخ وتعد لنا القهوة.. الكثير منها.. أشعر أن باقي الليلة سيحتاج للكافيين..

وقف صلاح في ارتباك وذهب للمطبخ.. فكرت ناردين في سخرية الموقف.. هي تقضي وقتًا اجتماعيًّا مع مختطفها وتأمره أن يعد القهوة.. قالت لنفسها ساخرة: لا تستهينوا بحقوق المرأة..

عاد صلاح بقدحي القهوة وجلس قبالتها.. ناولها الكتيب بهدوء.. واستلقى على الأريكة وأغمض عينيه.. قال لها: أنا أحفظ كل كلمة بداخله.. أيقظيني عندما تنتهين من قراءته.

- وكيف تضمن أني لن أستغيث بالجيران أو بالشرطة



فور أن تغط في النوم؟

- لأنك كاتبة مجنونة وتريدين معرفة ما الذي سيحدث.. بعدما تنتهين من قراءة الكتيب سأحكي لك ما الذي حدث لي بعد أن قرأته..

- آه.. تلعب على فضول المرأة العتيد.. حسنًا..

لم يجبها صلاح، وظل مغمض العينين.. نظرت ناردين للكتيب قبل أن تفتحه.. لقد كتبه عبدالعزيز بأسلوب سردي جدًّا وهو يعده للسيناريست.. بدأت الفتاة في القراءة.

الفصل الخامس

الجزء القادم هو محتوى الكتيب الذي خطه عبدالعزيز السلدان عن مذكرات سلمى الخطاب للأحداث التي سبقت مجزرة مبنى الإسكندرية:

رفع الرجل على الرمال رأسه بصعوبة، ونظر للمبنى بعيدًا وغمغم: الموت قادم إليكم.

فوق رمال الشاطئ اللامبالية زحف الرجل بصعوبة تجاه المبنى الرابض بهدوء بجوار الشاطئ المهجور.



الوقت: السادسة صباحًا.

المكان: منطقة خاصة تابعة للجيش قرب الإسكندرية.

حاول الرجل أن يرفع رأسه لأعلى، ولكن الدوار الذي يكتنفه منعه.. رؤيته تزوغ، والألم يسري في جسده بقوة عاتية بعدما تسلل بهدوء في بادئ الأمر.. وراءه خط متعجرف جاف من دمائه على الرمال.. عليه أن يصل إليهم.. أن يحذرهم.. عليه أن يواصل الزحف ويصل لهذا المبنى ويحذر قاطنيه.. هو وحده قد عرف الحقيقة.. الحقائق أنواع.. هناك حقيقة قد تعرفها ولا تفرق معك شيئًا.. وهناك حقيقة قد تصيبك باكتئاب.. وهناك هذا النوع الآخر من الحقائق.. ذاك نوع من المعلومات التي فور أن تعرفها يتغير فيك شيء للأبد.. في نظرتك للعالم.. للمحيطات حولك.. في نظرتك للتفاصيل.. كرجل يعيش حياته وعرف مثلًا أنه أصيب بمرض مميت.. فتتغير نظرته للتفاصيل الصغيرة من حوله في أيامه الأخيرة.. يصبح كل شيء صغير مهمًّا وذا أهمية.. هكذا كان الأمر مع صديقنا الزاحف على الرمال.. إلا أنه اكتشف حقيقة مختلفة قليلًا.. لقد رأى وفهم كل شيء، ودفع حياته ثمنًا لهذا.. ولكنه – وبينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة – سيواصل الزحف تجاه المبنى كي يصل إليهم ويحذرهم.. أكانت تلك



عزيمته وإرادته؟.. كلا.. غالبًا لا.. العزيمة والإرادة صفتان لن تجدهما في شخص مثله.. كان العناد هو محركه الأساسي ودافعه.. لن يموت هباء.. حقيقة أنه أضاع حياته كلها هباء في المقامرة والنصب.. ولكن المعرفة التي حصل عليها قبل أن يموت غيَّرت شيئًا ما بداخله.. نظرته تغيرت تمامًا للعالم.. حقيقة أنه لن يمتلك الوقت كي يحيا بتلك المعرفة لكنه على الأقل سينقلها لقاطني المبنى..

ننظر إليه وهو يزحف ببطء ويبصق الرمال التي تخللت فمه بخبث.. أربعيني ممتلئ الجسد أصلع الرأس له وجه مستدير وعينان ممتلئتان بالذعر.. سيصل للمبنى.. عليه أن يحذرهم.. وجد نفسه يغمغم بأبيات شعرية لا معنى لها وهو يحاول أن يتمسك بوعيه:

- أغيثيني يا أمي.. أنا لوحدي يا أمي..
- رأيت ما لم يكن مفترضًا بي أن أراه..
- والثمن كان باهظًا يا أمي..

حاول أن ينفض رأسه.. لن يهلوس الآن.. قبض بيده على الرمال بغضب عندما أدرك أنه لم يزحف قيد أنملة منذ عشر دقائق تقريبًا.. كان يعتقد أنه يزحف ولكنه اكتشف أنه مستلقٍ على الرمال ويحتضر في هدوء..



يعض الرمال كما يقولون.

رفع الرجل على الرمال رأسه بصعوبة ونظر للمبنى بعيدًا وغمغم: الموت قادم إليكم.

قبل أن تهمد حركته تمامًا.

من بعيد نرى سيارة صغيرة تقترب من المبنى.. أخرج الرجل هاتفه المحمول وسجل ما حدث له على برنامج التسجيل الصوتي.. يتمنى أن يجد صاحب السيارة هذا التسجيل ويدرك الحقيقة قبل فوات الأوان.. كانت تلك آخر أمنية للرجل الزاحف على الرمال.. ويا لها من أمنية غريبة! تقترب السيارة أكثر من المبنى.

مبنى التحديث والتطوير.. قرب الإسكندرية.

الزمان: السادسة صباحًا.

بإمكاننا أن نرى المبنى الحكومي حديث البناء يقف شامخًا ومطلًّا على بحر الإسكندرية المشاغب.. المبنى يقع على أطراف المدينة.. معزول وبعيد تمام البعد عن المدنية والحضارة.. تشارك في إدارة المبنى شركة خاصة ومساهمة.. هي نفس الشركة التي أرسلت سلمى الخطاب في مأمورية إعادة تقييم وتوظيف العاملين بالمبنى.

في سيارتها الصغيرة جلست سلمى تطالع بعض ملفات الموظفين مرة أخرى.



محمود عبدالعال: الطبيب المقيم.. وظيفته هي تقييم الحالة الصحية للعاملين والحفاظ على استقرارهم النفسي لما قد تسببه لهم الوحدة والعزلة من اضطرابات نفسية من عملهم لمدة عام كامل في المبنى.. غير متزوج.

أحمد عدنان: مسئول الأمن المنتدب من القوات المسلحة ورتبته رائد.. غير متزوج.

أمجد ميخائيل: خبير استراتيجي للتطوير والتحديث.. عشرة أعوام خبرة في مجاله.. متزوج ولديه طفلة.

ترجلت سلمى من سيارتها واتجهت صوب المبنى متجاهلة نداء البحر متصارع الأمواج.. توقفت الفتاة أمام الباب وأشعلت لفافة تبغ لنفسها ونظرت إلى الصخور غير المبالية أمام الشاطئ.. سلمى متوسطة الطول نحيفة ترتدي قميصًا أبيض وسروالًا أسود وعوينات.. شعرها أسود معقوص للخلف.. نفثت دخان سيجارتها وطرقت الباب ثم رنت الجرس.. لم تحب فكرة أن تصل إليهم في السادسة صباحًا ولكن الطريق من القاهرة كان طويلًا.. مر الوقت ولم يفتح أحد الباب.. تنهدت الفتاة ورنت الجرس مرة أخرى..

- لا بد أنهم جميعًا نائمون ويحلمون بحياة أخرى لا يكونون فيها منعزلين عن العالم لمدة عام كامل في هذا



المبنى الذي باع روحه للبحر..

رنت سلمى الجرس بإصرار مرة أخرى.. بعد وهلة سمعت أقدام أحدهم قبل أن يتحرك الباب ببطء.. مجيبها كان فتًى في العشرينات ضخم البنية.. لا بد أنه يمارس رياضة عنيفة.. له لحية ضخمة وشعر غزير يكاد يلامس ظهره.. ابتسم لها وقال: آنسة سلمى.. لقد كنا في انتظارك، ولكن عندما تأخرتِ توقعنا أنك ستأتين غدًا.

ثم انزاح بجسده كي يفسح لها مجالًا للدخول وأردف وهو يمد يده مصافحًا لها: أحمد عدنان..

أومأت سلمى برأسها له مبتسمة وهي تصافحه قبل أن تقول: سلمى الخطاب.. مسئولة الموارد البشرية.

بدا لها أنه من الحماقة أن تعرِّف وظيفتها له؛ لأنه أعلن لها للتو أنهم يعلمون بقدومها وينتظرونها، ولكن إرهاقها العقلي جعلها لا تهتم بالتفكير المنظم في تلك اللحظة.. كانت بحاجة للنوم.. الكثير منه.

دخلت سلمى المبنى وهي تحمل حقيبتها، ورفضت في أدب تسليمها لأحمد الذي عرض عليها أن يحملها لها.

المبنى من أربعة طوابق.. حديث البناء، وبدا لها أن الهيئة الرقابية والشركة لم تبخلا بشيء وهما تصممانه.. كان قريبًا من مبنى شركتها في القرية الذكية.. أمامهما في



الردهة وقف رجل ممتلئ قصير ناحل شعر الرأس يرتدي حلة لم يعتنِ بها.. كان يقف في مودة مبتسمًا.

أشار أحمد إليه وقال: أستاذ أيمن.. المدير.

ونظر إلى أيمن وقال: أستاذة سلمى.. موارد بشرية.

في بشاشة صافح أيمن سلمى وقال: لا بد أنك مرهقة.. فتاة تسافر وحيدة كل تلك المسافة وتصل في هذا التوقيت.. لقد قلت لزكي -عامل البوفيه والنظافة- أن يعد لك وجبة عشاء عندما سمعت الجرس.. الحقيقة أننا كنا ننتظرك منذ عدة ساعات ولكن عندما تأخرتِ توقعنا أنك ستصلين غدًا.. وعليَّ أن أعترف بأننا جميعًا تناولنا العشاء.. سيرشدك الرائد أحمد لغرفتك -بعد إذنه طبعًا- ويأتي زكي لك بالطعام، وفي الصباح نتحدث.

- شكرًا لحسن ضيافتك..

قالت سلمى الجملة في تكلف.. كانت تكره أن تكون عبئًا على أحد، أو أن يفعل لها أحد شيئًا، لكنها كانت تعلم أنها ستكون في ضيافتهم لمدة أسبوع، وأن هذا عمل، كما أنها كانت تتضور جوعًا. تلفتت حولها وهي تسير بجوار أحمد.. هنالك لوحة ضخمة مرسومة لامرأة ممتلئة ترتدي فستانًا قرمزيًّا يعود للعصر الملكي، البحر والشاطئ من خلفها في اللوحة.. قال أحمد إزاء نظرتها للوحة: اسمها

لوحة «السيدة».. يقال إن فنانًا بوهيميًّا رسمها في الخمسينيات قبل أن ينتحر.. البعض يقول إنهم اغتالوه لأسباب سياسية.. هم دومًا يغتالون أحدًا لأسباب سياسية.. لا أحد يعلم.. البعض يقول إنه لا يزال على قيد الحياة، وإن الشائعات حول موته مجرد تسويق للوحة.. تلك هي لوحته الوحيدة..

مشدوهة سألت سلمى: وما اسم الرسام؟

- شاكر شكري.. لقد ابتاعت راندا تلك اللوحة..

اقتربت سلمى من اللوحة ووقفت أمامها قبل أن تغمغم: روعة..

ابتسم أحمد قبل أن يردف: اللوحة لها هذا التأثير على كل من يراها..

عقدت سلمى حاجبيها فجأة كأنها تذكرت شيئًا قبل أن تلتفت إليه وتقول: أنت قلت إن راندا ابتاعت اللوحة.. لا يوجد ملف لموظفة اسمها راندا هنا..

- آه هه.. راندا خطيبة زكي عامل النظافة..

- آه..

أومأت سلمى برأسها قبل أن تقول مرة أخرى: آه..

ضحك أحمد وهو ينظر إليها قبل أن يقول: أنتِ تفكرين بشخصيتين الآن.. مسئولة الموارد البشرية التي



ترى أنه من عدم الاحترافية أن تزور خطيبة موظف مكان عمله.. والجزء الآخر الروحي بداخلك مولع بمدى جمال وفنية اللوحة..

نظرت إليه سلمى مفكرة.. كانت تعلم أنه بحديثه المازح هذا ينتقل بها من مرحلة الكلام الرسمي لمرحلة الكلام الودي.. فكرت قليلًا.. هم سيظلون أسبوعًا معًا.. لا بأس بقليل من التعامل الاجتماعي.. رغم أنها شخصية بلا أصدقاء تحب أن تكون وحيدة وعملية.. أجابته مبتسمه: ربما..

ثم نظرت إلى اللوحة مرة أخرى قبل أن تتحرك صوب السلم المؤدي للطابق الثاني.. تحرك معها أحمد.. تأوهت وهي تسير بسبب الألم في كتفها وهي تحمل حقيبة سفرها فكرر أحمد: دعيني أحمل لك الحقيبة..

قالها وهو يتلقى الحقيبة من يدها ويسير أمامها ويقول ضاحكًا: أنتِ عنيدة وقوية الشخصية للغاية..

ضحكت سلمى في تكلف وهي تسير وراءه، ولوهلة تذكرت طفولتها عندما كان والدها يقول لها نفس الشيء: أنتِ عنيدة يا صغيرتي، ولكنك ستكونين قوية الشخصية.. كان هذا قبل أن تتوفى والدتها بسبب مرض عضال ويثبت لها والدها أنه لم يكن قوي الشخصية كما يدعي بزواجه



السريع من امرأة أخرى لتعتني ببيته وابنته الوحيدة التي قضت أيام مراهقتها وجامعتها مع زوجة والدها الجافة.. ولكن سلمى أثبتت لنفسها أنها قوية الشخصية عندما تزوجت شخصًا وطُلِّقت منه ووهبت نفسها لعملها..

- لقد وصلنا..

أفاقت من أفكارها وهي تقف أمام أحمد الذي يقف أمام باب غرفتها في الطابق الثاني مبتسمًا.. سلمها المفاتيح وقال لها وهو يرحل: زكي قادم إليك بالطعام الآن..

- شكرًا..

....

دلفت سلمى لغرفتها.. لم تكن تلك أول مرة تبيت فيها خارج بيتها.. المذاق إياه للمكان الغريب الذي سيحتضنك وأنت نائم قد اعتادته جدًّا.. ارتمت على الفراش وهي مرهقة.. قالت محدثة نفسها: تبًّا يا فتاة لكسلك! لم يكن يجب أن أرتمي على الفراش قبل أن أغير ملابسي.. لن أستطيع أن أقوم الآن ولو انتهى العالم.

ولكنها قامت إثر دقات زكي على باب غرفتها.. كانت ترى أنه من غير الجيد أن مسئول النظافة شاب وليس امرأة أو رجلًا عجوزًا؛ لأن الشباب يحدثون المتاعب دومًا مع الموظفين.. كانت دومًا تفكر بطبيعة عملها.. أخذت منه



الطعام شاكرة وجلست تأكل..

....

فور أن دلفت سلمى لغرفتها تلاشت ابتسامة أحمد عدنان وحل مكانها تعبير وجه حزين.. سار وهو يصفر في الردهة الطويلة قبل أن يدخل إلى غرفته.. استلقى على فراشه وظل يحدق في السقف إلى أن غلبه النوم... أيمن المدير كان يجلس في مكتبه يعاني الأرق وينظر من النافذة للبحر في وجوم.. كان يحدث نفسه ويقول:

الوحدة أمر سيئ.. الوحدة أمر سيئ.

تبًّا لهذا المبنى المعزول عن المدينة.. كان يشعر بالعزلة والحصار ويدرك أن هذا سيجعله يفقد عقله قريبًا، خصوصًا مع الأرق اللعين الذي ينتابه.. أمجد ميخائيل كان نائمًا كالأطفال في غرفته.. وزكي عامل النظافة قد عاد لغرفته ونظر إلى صورة رنا خطيبته.. الشيء الوحيد الجيد في حياته.. سيكمل دراسته ويحصل على وظيفة أفضل ويتزوجها؛ وحينئذ تصبح الحياة أفضل..

....

في الصباح الباكر اجتمع الكل على مائدة الإفطار، وتعرفت سلمى على أمجد ميخائيل.. بجواره جلس أيمن وبجوارها جلس أحمد عدنان.. أمجد كان مثقفًا للغاية وحاضر



الدعابة، وضحكت سلمى كثيرًا لدعاباته.. ثم انضم إليهم محمود عبدالعال – الطبيب المقيم معهم – وجلس في صمت.. كان شارد الذهن وحيَّاها في رسمية.

بجوارهم استقرت لوحة الرسام شاكر شكري.. لنلقِ نظرة أخيرة على تلك المجموعة التي لا تعلم المصير البائس الذي ينتظرها.. سلمى.. أحمد.. محمود.. زكي.. أيمن وأمجد.. في مبنى الاتصالات بالإسكندرية..

الفصل السادس

رفعت ناردين عينيها عن الكتيب ونظرت لصلاح وهو نائم ثم رتبت أفكارها: شخص ما يريد تحذير الموظفين في المبنى المعزول من هول قادم إليهم.. الموظفون هم سلمى الخطاب وأحمد عدنان ومحمود عبدالعال.. هؤلاء الثلاثة تحدثوا في مذكراتهم عن «الشيء».. وأنه واحد منهم.. وغالبًا هو الذي قتلهم جميعًا.. هناك أيضًا أيمن المدير وأمجد.. هذان لم يتحدثا عن الشيء.. وهناك زكي عامل النظافة.. حسنًا.. الحقيقة أن عبدالعزيز قد كتب الموضوع بشكل منظم لا بأس به.. ولم يستطع مقاومة إضافة لمسة درامية من عنده وهو



يتحدث عن مصيرهم.. واصلت ناردين القراءة:

....

مر اليوم التالي في المبنى سريعًا حيث جلست سلمى مع طاقم العمل.. لقاؤها مع أمجد استغرق ساعتين.. الرجل لم يكن حاضر الدعابة فحسب؛ بل كان أيضًا رجلًا مجتهدًا وبارعًا في عمله على خلاف أيمن الذي دونت سلمى في تقريرها أنه يعاني من اضطراب واضح في السلوك بسبب العزلة.. انتهت سلمى من لقائها مع أمجد وأيمن وسارت في الردهة.. مر بجوارها أحمد عدنان فحياها مبتسمًا.. يبدو إليها وكأنه أكثرهم نشاطًا وقدرة على التصرف.. وصلت إلى قاعة الطعام، ومن النافذة لمحت الشمس وهي تحتضر في صمت معلنة لحظة غيابها.. وقت الغروب.. لطالما أحبت سلمى الغروب رغم كونها شخصية عملية..

- الصمت.. الكثير منه سيداهمك ها هنا.. الصمت هو شعار المكان.. الصمت والفراغ والوحدة..

نظرت سلمى إلى مصدر الصوت.. محمود عبدالعال.. الطبيب المقيم.. يجلس وحيدًا.. يبدو إليها وكأنه قد رأى شيئًا لم يكن يجب أن يراه..

....

تضع ناردين الكتيب جانبًا وتغمغم: محمود عبدالعال..



هو الطبيب الذي قال في مذكراته إنه رأى أمًّا تسحق رأس رضيعها في المستشفى.. لا ريب أنه مكتئب واجم طيلة الوقت مع سلمى بسبب ما رآه..

عادت ناردين بعينيها للكتيب:

....

يكمل محمود: الوحدة أمر سيئ..

نظرت إليه سلمى ولم ترد.. محمود وأيمن ليسا على ما يرام.. العزلة لم يكن أثرها خفيفًا على روحهم فيما يبدو..

....

في الليل زارت رنا خطيبها زكي – عامل النظافة – كما اعتادت أن تفعل دومًا.. حقيقة أنها تعيش على بعد منهم ولكن جدتها العجوز التي تعيش معها منذ أن رحل أهلها تعتقد أن حفيدتها نائمة في غرفتها طيلة الليل.. تتسل رنا وقت العشاء وتستقل مواصلتين ثم تسير كثيرًا وحيدة إلى أن تصل إليهم.. تريد أن تدخر مالًا وتستخدم هذا البرنامج الخاص بالتوصيل.. أوبر أو أيًّا كان اسمه.. إلى حين أن تفعل هذا عليها أن تسير من أجل لقاء حبيبها.. ربما هي خلقت للمواصلات والإرهاق وهذا الأوبر خاص بالأثرياء فحسب.. لا تعلم ولكنها تتمنى أن يأتي يوم ما



يتزوجها فيه زكي وتكف هي عن السير كل تلك المسافة للقائه في مكان عمله النائي..

تقف رنا بجوار زكي والبحر أمامهما.. يجلس الاثنان على الرمال وتسند رنا رأسها بنعومة على كتف زكي.. تقول له: أنا أحب البحر يا زكي.. أحبه بشدة..

يغمض زكي عينيه ويهمس في أذنها: وأنا أحبك يا رنا.. اللوحة التي أهديتني إياها كلما رأيتها تذكرتك.. يا إلهي لشدَّ ما افتقدك!

تبتسم رنا.. يشهق زكي.. الشهقة كانت سريعة.. كانت تمسك يده في حب ولم تمانع عندما زاد من ضغط يده على يدها.. لم تعلم أنه يتألم.. لم ترَ ما يحدث له على ظلام الشاطئ.. كانت تشعر بطاقة حب لا مثيل لها.. ها هي ذي مع حبيبها على الشاطئ.. لا شيء يهم الآن.. تتناثر دماء زكي فوق وجه رنا فتنظر إليه مشدوهة وتصرخ.. تصرخ بشدة.. أمامها جسد حبيبها بلا رأس.. فقط نافورة من الدماء تتراقص عليها وجسد فقد رأسه يرتجف في عدم تصديق.. رأس زكي قد استقر بعيدًا على الرمال بعدما أطاره أحدهم بفأس حاد.. أمامها في الظلام ترى ظل مهاجمهما.. ترى الفأس في يده.. الفأس الذي أطار به رأس زكي.. تقف رنا وهي تصرخ وتستدير



لتعدو بعيدًا.. يصيبها الفأس في ساقها فتسقط أرضًا.. تبكي.. تشعر بيد قاتلها تقبض على ساقها وتجذبها للوراء بينما الألم الحارق ينساب من ساقها لباقي جسدها بقوة مراوغة.. تصرخ الفتاة أكثر.. يرتفع الفأس لأعلى ليوازي القمر المكتمل قبل أن يهوي على جسد الفتاة.. مرة والثانية والثالثة.. تسمع رنا صوت عظامها وهي تتهشم مع قوة سقوط الفأس عليها.. تنتفض الفتاة وترتجف وتخلل دماؤها الرمال.. يهوي الفأس للمرة الرابعة والأخيرة..

على بعد منهما على الرمال يستقر جسد الرجل الزاحف على الرمال.. عيناه الشاخصتان تنظران بلا روح للمبنى وجسدي زكي ورنا وكأن عينيه تقول لهم أو ما تبقى منهم: لقد أردت أن أحذركم.. سامحوني..

....

تنهدت ناردين.. ووضعت الكتيب جانبًا.. صلاح مستغرق في النوم أمامها على الأريكة.. تلك الأحداث كتبها عبدالعزيز سلدان على لسان سلمى الخطاب فكيف عرفت سلمى بما حدث لزكي ورنا؟.. في أغلب الأمر وجدوا جثتي زكي ورنا على الشاطئ معًا ولم يكن من الصعب على عبدالعزيز توقع ما حدث.. عادت ناردين إلى الكتيب..



....

في منتصف ظهيرة اليوم التالي كانت سلمى تسير على الشاطئ بمفردها والبحر ينظر لها بلامبالاة.. لم تعلم لماذا لكنها تشعر أن قلبها ثقيل.. هناك طاقة حزن تواتيها فجأة دون سبب كأن وجود البحر قد تغلب على طبيعتها العملية وجعلها تفكر في الفراغ الماثل في حياتها.. كان هذا عندما قادتها قدماها إلى جثة الرجل الزاحف على الرمال.. المد قد أخذ جثتي رنا وزكي لقلب البحر بعيدًا كما أراد العاشقان دومًا.. أن يكونا معًا بعيدًا عن العالم.. توقفت سلوى فاغرة فمها أمام جسد الرجل.. يقبض بيده على هاتفه الخلوي كأنه يريد أن يعطيها إياه.. كأنه عاشق يهديها قلبه.. اقتربت منه سلمى في توجس والتقطت الهاتف الخلوي من يده في حرص وهي على وشك إفراغ معدتها.. فور أن أخذت الهاتف التفتت للوراء وعَدَتْ بسرعة تجاه المبنى دون أن تنظر وراءها.. لن تبكي الآن.. لن يستوعب عقلها الآن أنها قد رأت الموت أمامها.. تجري الفتاة بسرعة ثم تتعثر في كومة قش على الشاطئ فتسقط بقوة على وجهها.. تهب واقفة بسرعة.. كومة قش؟ كيف؟ تنظر وراءها فتجد جثتي رنا وزكي بعد أن لفظهما البحر للشاطئ مرة أخرى وقد انتفخ وجهاهما من الماء المالح..



البحر بإمكانه أن يكون شديد القسوة وليس شاعرًا رومانسيًّا فحسب.. حسنًا.. هي لن تبكي فقط الآن.. ستصرخ أيضًا..

....

اندفعت سلمى داخل المبنى وهي تجاهد كي تلتقط أنفاسها.. أمامها كان يقف أمجد واجم الوجه وقال بشكل رسمي لم تعتده منه سلمى: لقد انتحر أيمن.. وجدناه في مكتبه.. شنق نفسه.. لا أعلم كيف بإمكان المرء شنق نفسه.. لا أقصد المقدرة ولكن التفاصيل أقصد.. عادةً سينقطع الحبل أو يختنق فحسب.. لكن الوغد العجوز فعلها وشنق نفسه ببراعة.. اعتقدت أن هذا يكون في الأفلام فحسب.. وترك لنا رسالة.. كتب لنا: الشيء هنا..

نظرت سلمى إلى أمجد وهي تحاول أن تستوعب.. لم يبد أنه لاحظ منظرها.. كان مصدومًا بطريقته الخاصة الوقور من موت أيمن.. أحمد عدنان هو الذي لاحظ أن شيئًا على غير ما يرام بسلمى عندما انضم إليهما وهو عابس الوجه..

- سلمى؛ ما الذي حدث لك؟

تنبه أمجد لحالها إثر جملة أحمد فنظر إليها متسائلًا بدوره.. قالت لهما وهي تستجمع قواها: تعاليا معي إلى



الشاطئ.. وأحضرا الطبيب معنا.. محمود.. يجب ألا يبقى أحد وحده..

....

يقف محمود وأحمد وأمجد وسلمى أمام جثتي رنا وزكي على الشاطئ بعدما تفقدوا جثة الزاحف على الرمال.. يعود الأربعة للمبنى صامتين.. يجلسون في غرفة المكتب مجتمعين حول الهاتف الخلوي الذي وجد له أحمد شاحنًا.. لم تكن هناك كلمات سر.. تتفقد سلمى الهاتف الخلوي وهي تقول لهم: لقد كان يمد يده الحاملة للهاتف تجاه المبنى كأنه يريد أن يرينا شيئًا.. تقول الجملة ويتغير تعبير وجهها قبل أن تقول: ها.. تسجيل صوتي حديث.. اسمعوا..

ينبعث صوت الرجل من الهاتف.. مرتجفًا.. ضعيفًا.. ينافسه صوت أمواج البحر والهواء: ان.. ه.. اسمع.. اسمعوني.. أنصت.. أنصتوا.. اهربووووا من هنا.. هناك.. هناك شيء ما.. أتى من أعماق البحر.. الشيء.. بإمكانه أن يكون أي واحد منكم.. يتجسد في الشكل الذي يريده.. هو طاقة شر خالصة.. حوله الموت والخراب.. اسمعوني بالله عليكم.. الشر حقيقي.. وقد أتى.. هو واحد منكم بالفعل.. في هذا المبنى اللعين.. ارحلوا.

أشعل أمجد غليونه في تفكير، وتبادل أحمد وسلمى



النظر، في حين ازداد الوجوم على وجه محمود.. غمغم أمجد بعد تفكير: غالبًا هي تخاريف رجل يهذي في لحظة احتضاره..

في حنق هتف أحمد: ومن الذي قتل رنا وزكي؟.. لماذا انتحر أيمن وكتب لنا «الشيء هنا»؟.. وهذا الرجل.. الزائر.. يحذرنا من «الشيء».

إزاء تعبير وجه محمود قالت سلمى بشك: أتريد أن تصارحنا بشيء..

بعينين دامعتين وصوت مختنق قال محمود: منذ عدة أشهر قبل أن آتي إلى هنا رأيت امرأة في المستشفى.. كنت مرهقًا.. وسعدت لرؤية امرأة مع ابنها وكأني أرى مشهدًا فيه أمل.. كان هذا قبل أن تقتل الأم ابنها أمام عينيَّ.. بعدها نظرت لي المرأة وقالت: الشيء قادم..

- هذا هراء يرفض عقلي تصديقه..

قال أمجد العبارة بهدوء فازداد حنق أحمد.. محمود بدا مستسلمًا لليأس.. كتفاه المنسدلتان وتعبير وجهه الفاقد للأمل قال لسلمى إن رؤية تلك المرأة تقتل ابنها قد أتلفت شيئًا بداخله للأبد.. أحيانًا نبالي أكثر من اللازم.. ورؤية شيء بتلك البشاعة يقتل الجزء النابض بداخلنا المسئول عن المبالاة.. قالت سلمى قبل أن يتزايد الاحتقان بين أحمد



وأمجد: أستاذ أمجد.. الحقائق المجردة تقول إن هناك ثلاث جثث.. بل أربع جثث معنا الآن.. ثلاثة تم قتلهم والرابع انتحر، واثنان من الأربعة يحذراننا من «الشيء».. تلك هي الحقائق.. التكهنات أن هناك قاتلًا بيننا، وأن هذا ما قصده الزائر بتحذيره عن أن الشيء واحد منا متخفٍّ.

- تقصدين منتحلًا للشخصية.. أحدنا ليس كما يدعي.

- نعم.. هذا هو التفسير المنطقي، ولا أعتقد أن هناك تفسيرًا آخر.. بالتأكيد لا يوجد بيننا كائن شيطاني خرج من البحر.. ألا تتفقون معي؟

في صمت متردد أومأ أحمد برأسه.. وظل تعبير أمجد واجمًا ونظر إليهم محمود في صمت.

الفصل السابع

بصوت قوي يجثم على روحك كررت ناردين العبارة التي قرأتها في الكتيب: أحيانًا نبالي أكثر من اللازم.. إلى أن يتلف شيء بداخلك.. وضعت ناردين الكتيب جانبًا ووقفت قبل أن تسير تجاه الشرفة.. طالعت عيناها القاهرة من وراء الزجاج.



- انتهيتِ؟

قالت دون أن تنظر لصلاح الذي استيقظ واعتدل في رقدته على الأريكة: كلا.. هم يتحدثون عن الشر.. في القدم كان يجلس رجل القبيلة.. الحكيم أو أكبرهم سنًّا.. لا تعلم أهو حكيم حقًّا أم أنه أكبرهم سنًّا فحسب.. لكنه كان يجلس ويروي لقبيلته عن الشر.. عن الدب في الغابة.. أو الذئاب التي تعوي من بعيد.. كانوا يعتقدون في القدم أن الشر شيء خارجي.. يأتي إلينا من المجهول؛ ولهذا انتشرت أساطير القدماء عن الغيلان وأمنا الغولة.. النداهة تقف في الغيط لتنادي الفلاحين.. تسحرهم بصوتها فيلبون نداءها، وفور أن تحتضنهم تتحول لغول يلتهمهم.. أرأيت وجهة نظري؟ تقف في الغيط.. العراء.. الظلام.. المجهول.. في بحري تتحول الأسطورة؛ لأن النداهة هي عروس بحر تنادي على المسحور المختار وتغرقه معها.. أبو رجل مسلوخة.. الموتى يصحون من المقابر لينتقموا من الأحياء.. دراكولا يأتي من رومانيا.. بالنسبة للإنجليز أوروبا الشرقية مكان بعيد ناءٍ ومجهول.. ثم تأتي أسطورة مثل المذءوب.. نحن نتحول لذئب عندما يكتمل القمر.. فيكتور فرانكنشتاين يصنع المسخ الخاص به.. دوريان جراي يحتفظ باللوحة المسحورة التي تحفظ روحه.. ريا



وسكينة جيراننا... هكذا تغير التفكير من القدم للآن عن أن الشر بداخلنا وليس بخارجنا.. نحن المسئولون.. جاء التحليل والتفكير المنطقي ليقول لنا إن الإنسان ليس بداخله واحد بل اثنان يتصارعان دومًا.. أحدهما الخيِّر والآخر الشرير.. الخير في مواجهة الشر.. تلك هي أقدم الحكايات، وتقدم لنا دومًا على اختلاف طريقه السرد.. ولكن ما قرأته في الكتيب يندرج لقائمة الشر القديم.. الشر الخارجي.. شيء ما أتى من أعماق البحر لينشر الخراب.. من هو الزاحف على الرمال؟ وكيف عرف ما عرفه قبل أن يحاول تحذيرهم؟

- أنتِ تتحدثين كأنك في ندوة أدبية.

- لا تنس أنه لهذا السبب أتيت أنت إليَّ.. طريقة تفكيري.

- غرور الكتَّاب هذا.

- ليس غرورًا.

- واصلي القراءة..

مطت ناردين شفتيها وعادت للكتيب:

....

تقف سلمى أمام لوحة السيدة على الحائط في منتصف المبنى.. وراءها يقف أحمد عدنان.. قبل أن يصيح: هيا يا



أمجد.

ثم يردف في حنق: كم من الوقت سيظل هذا الأحمق يعد حقائبه؟ أريد الرحيل من هذا المكان..

لم ترد عليه سلمى.. واصلت النظر للوحة.. وراء السيدة في اللوحة هناك شاطئ مرسوم.. ومن الشاطئ يخرج شيء ما أسود.. تكررت في عقلها كلمات الزاحف على الرمال.. هناك شيء ما.. أتى من أعماق البحر.. نفضت سلمى رأسها من أفكارها وتكرر صوت أحمد وهو ينادي أمجد في حنق..

من ركن بعيد جاءهم صوت محمود وهو واقف بين الظلال: لن يجيبكم أمجد.. لقد ذهب هو الآخر.. الحقيقة أمر قوي.. هي تغير شيء ما بداخلنا.. أمجد لن يأتي.. الشيء واحد منا نحن الثلاثة.. العزلة.. الحصار والشك.. سترافقنا الأيام القادمة.. لقد كنت بالخارج.. السيارات كلها تالفة.. صدقوا أو لا تصدقوا.. شبكة المحمول لا تعمل، وخطوط الاتصال مقطوعة، جربوا هواتفكم لو لم تصدقوني، هاتفي وهاتف أيمن لا يعملان، أيمن لم يحمِ هاتفه حتى بكلمه سر، وكان من السهل لي أن أجرب هاتفه.. لا توجد طريقة للخروج أو الاتصال بالعالم الخارجي.. نحن كما كنا دومًا ولكننا نرفض الاعتراف أو



مواجهة أنفسنا به.. نحن بمفردنا.. ولن يأتي أحد ليساعدنا.. وأحدنا ليس كما يدعي..

....

قال صلاح وهو ينظر لناردين التي بدأت في القراءة بصوت وهي تحتضن الكتيب بين يديها في انفعال كأنه طفلها الصغير: العزلة والحصار والشك.. كلهم سيشكون في الآخر الآن.. أحدهم غريب عنهم.. أحدهم يتظاهر.. الموت يحيط بهم من كل صوب.. والشر في عينيه.. باق.. للأبد..

- عيني من؟

- الشيء..

- وما هو «الشيء» في رأيك.. مسخ شيطاني أتى من أعماق البحر ليندس وسط البشر ويفتك بهم أم سفاح من لحم ودم يمتاز بالذكاء والوحشية؟

نظر إليها صلاح ولم يرد.. تتنهد ناردين وتعود للكتيب مواصلة القراءة..

....

حول مائدة الطعام الضخمة يجلس أحمد ومحمود في صمت.. سلمى تقف في إرهاق وتوتر في الركن.. تريد الابتعاد عنهم لكنها لن تتحمل أن تكون وحدها في تلك



اللحظة.. بقاؤها مع الفريق ربما يكون أكثر أمانًا.. وأليس هذا ما يجب أن يكون؟ بقاؤنا مع فريق ما أفضل من أن نكون وحدنا.. ولكن ماذا لو كنت لا تثق في فريقك؟.. ماذا لو أن هؤلاء الذين معك هم أعداؤك.. الخطر قادم من الداخل وليس الخارج.. لم تعلم سلمى إن كان يجب أن تكون معهم أم بمفردها، ولكن تذكرها لجثتي رنا وزكي جعلها تفضل البقاء معهم. نظرت إليهم.. على الأقل واحد منهم الشيء والآخر معها.. هناك حليف بعد كل شيء، ولكنها لا تعلم من هو.. محمود أم أحمد.. نظرت إلى الاثنين.. أحدكما صادق والآخر كاذب.. ذكرها هذا باللغز القديم عن الطريقين في الغابة أحدهما يؤدي للهلاك والآخر للنجاة وعليك أن تسأل اثنين من المارة عن طريق النجاة، ولكن في جعبتك سؤال تسأله لواحد منهما فحسب؛ ولذا عليك أن تختار سؤالك بعناية؛ لأن أحد الرجلين صادق والآخر لا يقول سوى الكذب.. ولكن لا تعلم الصادق من الكاذب.. سؤال واحد تسأله سيوضح لك من الكاذب وسيؤدي بك السؤال لطريق النجاة.. ولو سألت السؤال الخاطئ فمرحبًا بك في أرض العبث والهلاك، وهذا هو حالها معهما الآن.. عليها أن تدرك من منهما المدعي ومن الحقيقي.. يا لكل هذا الشك والجنون! ماذا لو



كان تحذير الزائر هراء رجل يحتضر؟.. ماذا لو أن رنا وزكي قتلا على يد مجنون ما على الشاطئ وأيمن انتحر لأن العزلة أتلفت خلايا عقله ولا يوجد هناك منتحل ما بينهم؟ كلا.. قانون الصدفة ليس بهذه القوة.. تبًّا؛ هي لا تعلم.. تتنهد سلمى في قوة وهي مستندة على الحائط وتكاد تقول لهم شيئًا لكنها تؤثر الصمت.. لا يوجد شيء فعال يقال.. ليصمتوا قليلًا.. حقيقة أن السيارات بالخارج كلها مهشمة النوافذ وأحدهم أتلف الإطارات.. حقيقة أن شبكة المحمول معطلة دون سبب ولا توجد وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي وأقرب مكان به بشر على بعد.. تجعلها صامتة في صدمة... ينقطع حبل أفكارها قبل أن تهتف لهما: انتظرا.. كيف جاء إلينا هذا الرجل صاحب التحذير؟ لم نجد سيارته.. مستحيل أن يكون قد سار إلينا كل تلك المسافة..

يجيبها أحمد في شك: ربما يكون قد أخذ وسيلة مواصلات..

يتبادل الثلاثة نظرات متسائلة قبل أن يقترح محمود في تردد: لا أعتقد أن هناك وسيلة مواصلات مباشرة إلينا ها هنا.. إما أن تمتلك سيارة وإما أن تسير.. أو تبدل عدة مواصلات قبل أن تسير مسافة طويلة.. لن يسير أحد كل



هذا دون سبب قوي.. رنا فقط كانت تسير تلك المسافة من أجل زكي.. ولكن رنا شابة صغيرة السن.. هذا الرجل كهل.. وليس في حالة بدنية تسمح.. والحقيقة أن رنا كانت تحفظ الطريق، حتى لو حاولنا نحن السير سنضل طريقنا في العراء ونموت ظمأ.. أو مما هو أسوأ.. لا أعتقد أن الرجل سار كل تلك المسافة ليحذرنا..

- نعم.. من المستحيل أن يكون قد سار كل تلك المسافة..

- إذن!

- لا بد أنه يمتلك سيارة..

- لنذهب ونبحث إذن..

- سأنتظركم ها هنا..

- محمود.. من الأفضل أن تأتي معنا.. ليس هذا الوقت المناسب كي تظل وحدك..

- أحدنا ليس كما يدعي.. مادمتم بعيدين فأنا بأمان..

يحتقن وجه أحمد ويكاد يرد عليه ولكن سلمى تجذبه من ذراعه في محاولة لتهدئة الموقف قبل أن تخرج معه تاركين محمود وحيدًا في المبنى..

....

- خطأ.. خطأ جسيم.. لا تنفصلوا يا حمقى..



تهتف ناردين بالعبارة غاضبة قبل أن توجه كلامًا لنفسها متجاهلة صلاح الجالس قبالتها: يجب ألا تنفصل المجموعة وهناك شر ما يهددهم.. هذا دومًا خطأ جسيم..

- ولكن المجموعة لا يثق أفرادها بعضهم ببعض.. أكملي القراءة.. الجزء القادم مهم.. وقد أجاد عبدالعزيز تخيل ما حدث وسرد الحقائق في هذا الجزء بالأخص..

....

تسير سلمى بجوار أحمد بينما البحر ينظر لهما بكسل ويتثاءب من حين لآخر ملقيًا بأمواجه يمينًا ويسارًا.. تتنهد سلمى.. ثم تقول: لا توجد سيارة.. لا توجد سيارة لعينة.. الرجل جاء من العدم.

لا يجيبها أحمد.. يتوقف وينظر إلى البحر.. ينظر في شرود قبل أن يغمغم بصوت تكاد تسمعه سلمى: لقد تركت حياتي في القاهرة وجئت هنا لأن خطيبتي تركتني وقد أحببتها حبًّا جمًّا.. لم أستطع الحياة مع والدتي.. هي كانت سبب الخلاف بيني وبين خطيبتي، واضطررت أن أختار المرأة التي كانت تغير لي كافولتي وأنا طفل، ولكن أنا حقًّا أحببت خطيبتي.. لم أستطع أن أحيا معهم – عائلتي - بعد تركي لها.. أعلم أنهم يقولون إن الحب يموت وإن الزواج يتحول لروتين ولكني لم أؤمن بهذا قط.. هذا



غريب من وجهة نظرك، أليس كذلك؟.. أن تجدي ضابط قوات مسلحة رومانسيًّا.. لا أعلم إن كنت رومانسيًّا أم لا لكني أعلم أني أفتقدها بشدة وأفكر فيها كل ليلة.. وهأنذا الآن مع مجموعة من الغرباء في مكان ناء أواجه خطرًا لا أفهمه.. انظري للبحر.. هو يعرف ما لا نعرفه.

وقفت سلمى بجوار أحمد وقالت وهي تشاركه النظر للبحر: أنت واسع الخيال وذو عاطفة جياشة.. لعل ما أنت فيه الآن من صراحة هو ما يدعونه بلحظة الحقيقة.. أن تدرك أنك قريب من الموت فتصارح غريبًا ما بأسرارك.. ولعل هذا ما سأفعله الآن.. أنت ذو خيال واسع وعاطفة جياشة.. أنا لست مثلك.. أنا عملية للغاية وأحب أن أنظم حياتي، والاحتمالات أمامي دومًا.. أنت خطيبتك تركتك وأنا طُلقت من زوجي ولم يطلقني هو.. لكني لا أفتقده.. كان يخونني باستمرار.. وفعل كهذا.. في أول مرة عدم التصديق.. ثاني مرة الغضب.. ثالث مرة التقبل والخزي.. رابع مرة الاكتئاب.. لقد قاومت هذا الرجل وقاتلته بعقلي وروحي إلى أن استطعت الفرار، والآن أنا أقف معك أمام البحر ونحن معزولان عن الحضارة وهناك رجل أو شيء ما يفتك بنا واحدًا تلو الآخر، ربما نحن نعرف ما لا يعرفه البحر.



- لكنك مخطئة في شيء واحد.. بغض النظر عن تفاؤلك فيما تدعينه أنتِ بلحظة الحقيقة بسبب اقترابي من الموت.. أنا أحب أن أعتقد أننا سننجو من أي كان ما نواجهه.

- خطوات حل المشكلة يا صديقي.. أول خطوة.. حدد وافهم المشكلة التي أنت بصددها قبل أن تقيم وتستكشف الحلول.. علينا أن نفهم في البداية.

- لا يوجد شيء بلا تفسير يا سلمى.. لنعُدْ للمبنى ونفكر في كل ما يحدث في بدايته.. علينا فقط ألا نجزع، ونرتب أفكارنا قليلًا وسنجد حلًّا ما.

- وماذا عن السيارة؟

أشار أحمد بيديه يمينًا ويسارًا للعراء قبل أن يقول مكررًا جملتها: لا توجد سيارة لعينة..

....

محمود يجلس في المبنى وحيدًا عندما يسمع صوت طرْق في الطابق الثاني.. كلا ليس طرقًا.. بل دق.. أحدهم يقف في الطابق الثاني ويدق أو تصطدم قدمه بالأرض بعنف مرارًا وتكرارًا.. يرفع محمود رأسه لأعلى.. يتذكر المرأة في المستشفى وهي تسحق رأس ابنها.. أجزاء من مخ الرضيع على يدي أمه.. محمود بحكم عمله كطبيب



رأى الكثير من الجثث والأجساد البشرية.. رأى ضحايا الحوادث ورأى ما تفعله الحياة بضحاياها ولكنه دومًا يرى تلك الأشياء بشكل علمي ممنهج.. بشكل هو جزء من خطة.. الآن سنعرض جثة في جلسة تشريح.. أو سنعالج مريضًا.. فيتم عرض الحالة عليه.. كل ذلك أمر عادي وجزء من خطة ما.. ولكن رؤية امرأة تقتل ابنها أمامه.. هذا لم يكن جزءًا من أي خطة.. خطة يعرفها على الأقل.. هذا أمر لا نراه كثيرًا.. حادث.. تلك هي الكلمة.. وهو لم يتوقع أن رؤية حادث ستصيب روحه بتلك الدرجة من الاكتئاب، ولكن هذا ما حدث له.. المرأة تحدثت عن الشيء.. عن قدوم الشيء.. والآن هو في هذا المبنى اللعين والناس يتساقطون قتلى من حوله وهناك تحذيرات عن «الشيء»..

يتكرر صوت الدق من الطابق الثاني فيهتف محمود: تبًّا تبًّا تبًّا ليتني ذهبت معهما..

ثم يقف في غضب ممزوج بخوف ويتجه لباب الخروج من المبنى.. يتكرر الصوت مرة أخرى.. يتوقف محمود قبالة الباب ويزفر بقوة:

- حسنًا أيها الوغد.. تعتقد أني خائف.. أنا لست خائفًا.. أنا قادم..



يقول الجملة وهو يستدير صاعدًا للطابق الثاني..
في الطابق الثاني وجد محمود أمجد يقف أمامه..
- أمجد؟!
أشار له أمجد بأصبعه أمام فمه كي يصمت، ثم أشار له أن يتبعه.. يسير محمود وراء أمجد مندهشًا ويدخلان غرفة الأخير.. يغلق أمجد باب الغرفة ويقول بصوت هامس: أعلم أنكم اعتقدتم أني مِتُّ.. ولكن كان عليَّ التظاهر بهذا والاختفاء.. لم أثق بأحد منكم، ولا تأخذ هذا على محمل شخصي، ولكن كان علي التظاهر أمامكم بعدم التصديق.. تلك هي الوسيلة الوحيدة لمواجهته..
- مواجهة من؟
- الشيء.. أنا أعلم من هو الآن.. كان علي أن أدرك من البداية.. لقد راقبتكم جميعًا.. وعندما استدارت سلمى مع أحمد راحلة أدركت أنا أن الأخير بلا ظل.. ألا تفهم؟..
كرر أمجد الجملة قبل أن يهز محمود كتفيه ويصيح: ألا تفهم يا رجل؟! بلا ظل.. كان علي البحث عن العلامات الغريبة.. أحدنا ليس كما يدعي.. أحدنا محتال.. محمود بلا ظل..
- لقد فقدت عقلك يا رجل.. ألم تقل إنك لا تصدق شيئًا من كل هذا؟



- كلا لم أفقد عقلي.. تظاهرت فقط أمامكم بعدم التصديق كما قلت لك؛ لأني لم أثق بأي واحد منكم.. كنت أشك في الفتاة بالذات لأنها غريبة عنا وحديثة الوفود، وكل شيء حدث بعد مجيئها.. ثم اكتشفت أن أحمد بلا ظل.. كل ما يحدث هو ضرب من الجنون.. وعلينا مواجهة الجنون بالتفكير بطريقة غير عقلانية.. خطأ العامة عند مواجهتهم لموقف غير مألوف هو الجزع وفقدان القدرة على التصرف، ولكني لن أقع في هذا الخطأ.. أحمد هو الشيء.. الرجل لا يمتلك ظلًّا يا محمود..

- وما الذي تقترح فعله بالله عليك؟

- علينا أن نقتله.

....

ينفتح باب المبنى ويدخل أحمد وسلمى قبل أن تغلق سلمى الباب.. يتجه الاثنان لصالة الطعام الخالية فتقطب سلمى جبينها وتقول: أين محمود؟

وراءها يقف أحمد في صمت متسائلًا..

- اااااااااااااه

يلتفت الاثنان وراءهما بسرعة قبل أن تهتف سلمى: يا إلهي الرحيم!



أمامهما كان أمجد يقف مترنحًا والدماء تسيل من رأسه:

- أحدهم.. أحدهم ضربني على رأسي.. زاغت الرؤية وفقدت الوعي.. عندما أفقت بحثت عنكم لكني لم أجد أحدًا.. ما الذي يحدث؟.. بالله عليكم أجيبوني..

....

الطابق الثاني:

أمجد يقف مع محمود في الغرفة.. ينظر الأخير للأول قبل أن يقول: تريد أن نقتل أحمد؟

- هذا ليس أحمد.. هذا هو الشيء يا محمود..

ينظر محمود لأمجد في صمت وهو يحاول جاهدا أن يفكر.. تبًّا لهذا الكابوس اللعين! عقله يرفض أن يصدق أن هذا يحدث حقًّا.. يقول لأمجد: لِمَ لا نرحل؟ فقط نرحل ونتركهما..

- ونسير إلى ما لا نهاية..

- أنت تطلب مني أن أشترك معك في جريمة قتل..

- لا يوجد حل آخر يا رجل.. لا تدع الشيء يخدعك.. هذا ليس أحمد.. هذا هو قاتل رنا وزكي والرجل على الرمال.. أيمن انتحر لأنه أدرك مقدار الهول الذي سيسببه لنا..



....

الطابق الأول:

أمجد يقول لسلمى في إنهاك: كنت أقف في غرفتي أعد حقيبتي استعدادًا للرحيل عندما واتتني الضربة من الخلف.. لنرحل من هنا..

يتبادل أحمد وسلمى نظرة صامتة قبل أن يقول: أحدهم.. ولا تسألني من هم.. أحد.. شخص ما.. هشم السيارات وأتلف الإطارات ولا توجد شبكة محمول ولا تسألني كيف.. نحن معزولون تمامًا.. لقد فكرنا في كل الاحتمالات وبحثنا عن سيارة الرجل الذي أراد أن يحذرنا وفكرنا في احتمالية أن نسير تاركين هذا المكان اللعين وكل هذا بلا فائدة.. لا يوجد مخرج..

يشحب وجه أمجد.. تكمل سلمى كلام أحمد: سنجلس معًا ونفكر في كل شيء.. علينا أن نفهم في البداية قبل أن نحل.. لا أعلم إن كان لا يوجد أمامنا سوى التفكير لعجزنا عن التصرف أم هذا هو الطريق الصحيح.. لكني أعلم أنه يجب أن نبحث ونفكر، ولكن في البدء علينا أن نجد محمود..

- ماذا لو كان هو الشيء؟.. أو الدخيل أو أيًّا كان ما تسمونه.



- لماذا؟

- هو غير موجود الآن، وهو يتصرف بشكل مريب منذ فترة.. الفتى حقًّا غريب الأطوار.

- لقد قال لنا إنه رأي شيئًا بشعًا في المستشفى الذي كان يعمل به ووصف لنا ما رآه.. من الطبيعي أن يكون غريب الأطوار بعد رؤية شيء كهذا.

يصر أمجد: أعتقد أن محمود هو الشيء.

....

المشهد الآتي يصوغه عبدالعزيز بطريقه السيناريو:

تنقسم الشاشة لنصفين.. على اليسار نرى أمجد ومحمود في الطابق الثاني، بينما على يمين الشاشة نرى سلمى وأحمد وأمجد..

نتراجع للوراء.. تظلم الشاشة..

الفصل الثامن

فوق رمال الشاطئ تسير سحلية عجوز ببطء بينما أمواج البحر تتنافس لتنال رضاه بجوارها.. القمر المكتمل وسط السحب ينظر برضا لما يحدث في ملكوت الظلام..



المبنى يقبع شامخًا وسط العراء.. تنظر السحلية للمبنى المنعكس على حدقتي عينيها..

في الداخل يجلس محمود مع أمجد يحضران لخطة التخلص من أحمد، بينما سلمى وأحمد وأمجد يبحثون معًا دون أن يفترقوا عن محمود في خبايا الطابق الأول.. بعدما انتهوا يصعد ثلاثتهم للطابق الثاني.. وهم يفعلون هذا يتوقف أمجد فجأة..

في نفس اللحظة كان محمود يفتح باب الغرفة ليخرج بينما أمجد يقف وراءه..

يتوقف أمجد فجأة وهو يصعد السلالم بين أحمد وسلمى ويمد يده ويجذب عنق أحمد ويدفعه بقوة.. أحمد شاب رياضي، وأمجد يبدو ككهل مترهل، ولكن قوة الدفعة وعنصر المفاجأة أفقدا أحمد توازنه.. أو ربما يكون أمجد قد اكتسب فجأة قوة كاسحة.. قوة جعلت أحمد يسقط بقوة ويتدحرج على السلم، وقبل أن تفتح سلمى فمها وجدت أمجد يصفعها بقوة وهو يصرخ بجنون: أيها الملاعين.. سأقتلكم جميعًا...سأقتلكم جميعًا.. أنتم الشيء.. كلكم الشيء.. لن تخدعوني.. أنتم لم تروا جثة أيمن.. أنا رأيتها.. يا للعبث!

يصل محمود وينظر للمشهد في ذهول قبل أن ينظر



وراءه مسرعًا فور رؤية أمجد على السلم ينهال بالضرب على سلمى.. لا يوجد أحد وراءه.. من كان معه في الغرفة إذن ويحاول أن يقنعه بقتل أحمد إذا كان هذا هو أمجد أمامه الآن.. يقشعر بدن محمود قبل أن تعيده صرخات أمجد المجنونة فيندفع نحوه محاولًا دفعه بعيدًا عن سلمى، ولكن أمجد يتلقاه بين ذراعيه ويحتضنه وهو يضحك ويبكي في الآن ذاته ولا يكف عن ترديد: كلكم الشيء.. كلكم الشيء.. قبل أن يقضم أذن محمود بقوة ويبصق جزءًا منها جانبًا وهو يضحك كالمخابيل.. يصرخ محمود ويسقط أرضًا والدماء تقطر من أذنه على رقبته.. يوجه أمجد ركلة عاتية إلى وجهه فور أن يسقط أرضًا فيرتد رأسه للوراء بعنف ويصطدم بحافة السلم.. سلمى تحاول أن تقف فيركلها أمجد في معدتها فتئن الفتاة ألمًا وتحاول ألا تسقط.. تقول لنفسها: كلا.. لن أصرخ.. لن أصرخ بسبب ضربات هذا الوغد.. يركلها أمجد بركبته في وجهها فتسقط أرضًا أخيرًا لتجد الرجل يجذبها من شعرها ويجرها على السلالم وهو يضحك بقوة..

يفتح أحمد عينيه ويعتدل مقاومًا الألم في رأسه وجسده إثر سقوطه على السلم.. ينظر إلى أعلى فيجد أمجد يجر سلمى من شعرها والفتاة ملقاة على السلالم.. يهتف: يا



للهول! رجل الكهف اللعين.. ما الذي تفعله يا مخبول؟

يحاول محمود أن يمد يده ليساعد سلمى في إعياء ولكن الألم يمنعه..

تصرخ سلمى في قوة وهي تشعر بفروة رأسها تكاد تنخلع عن رأسها في يد أمجد..

يردد أمجد: كلكم الشيء.. كلكم الشيء.. سأقتلكم جميعًا..

يتصلب جسده وتتناثر دماؤه وأجزاء من مخه المتطاير إثر الرصاصة التي أطلقها أحمد من مسدسه الذي أحكم تصويبه من موضعه أسفل السلم.. يسقط أمجد كالبالون المثقوب بعدما يكف عن الكلام للأبد.. تتناثر دماؤه على وجه سلمى التي لم تتوقف عن الصراخ.. يتجه أحمد مسرعًا تجاه سلمى بينما ينظر إليهما محمود والدماء تنزف بغزارة من مؤخرة رأسه إثر اصطدامه العنيف بالسلم.. الحقيقة أن حافة السلم قد اخترقت مؤخرة رأسه، وبإمكانك إذا دققت في فروة رأسه أن ترى الثقب المسئول عن التدفق البطيء للدماء المنسالة منه.. لو دققت النظر أكثر سترى عظام جمجمته المهشمة.. يغمغم محمود في إنهاك وهو يشعر أن لسانه ثقيل والتنميل يسري في أطرافه والرؤية تظلم من أمامه: يا للجنون! انظروا لما



فعلنا.. نحن فعلنا هذا وليس الشيء.. يا للجنون! أنا مرهق.. مرهق للغاية..

لم يسمع أحمد وسط صرخات سلمى.. يكرر محمود: أنا مرهق للغاية.. أعتقد أني أموت.. قولوا لزوجتي إني أحبها كثيرًا.. لم أكن أريد أن أرحل وأتركها ولكني كنت بحاجة لأن أكون بمفردي.. قولوا لها إنها كل شيء بالنسبة إليَّ..

ينحني أحمد تجاه سلمى ليهدئها بينما هي لا تزال تصرخ بجوار جثة أمجد ودماء الأخير تزين وجهها..

يكمل محمود: اعتنوا بها.. قولوا لها إني أحبها حقًّا حبًّا كثيرًا.. آه.. لقد نسيت.. أنا غير متزوج..

ثم يغمض عينيه وتهمد حركته.

تدفن سلمى رأسها في كتف أحمد وهي تبكي وتنهنه: كان.. كان سيقتلني.. أنـ.. أنت أنقذتني..

يضع أحمد يده على كتفها مطمْئنًا ويتركها تكمل بكاءها إلى أن تهدأ تمامًا.. يلمح بطرف عينه جثة محمود فيغمض عينيه في ألم..

....

عندما فتحت سلمى عينيها بعد نوم عميق على الأريكة التي أجلسها عليها أحمد بعد الانهيار الذي أصابها وجدت



الأخير يقف قبالة النافذة.. قال دون أن ينظر إليها ولم تتساءل هي كيف عرف أنها استيقظت.. لقد رأى انعكاسها في النافذة وهي تتحرك.. يقول أحمد: أمجد فقد عقله.. أيمن انتحر بسبب العزلة.. الوحدة شيء قوي.. أمجد أصابه جنون الارتياب.. الشك شيء قوي.. محمود مات لأنه لم يقاوم.. أو هو حاول أن يقاوم لكن ضعفه وخذلانه بسبب ما رآه جعلاه يخسر.. الاكتئاب شيء قوي.. والآن لا يتبقى سوى أنا وأنت.. أحدنا هو الشيء والآخر حقيقي.. كيف أعلم أني بشر حقًّا؟.. هل أثق بنفسي أم بك؟ أنا أعلم من أنا.. هل أنتِ الشيء؟ كل الدلائل تشير إليك.. منذ مجيئك إلينا والخراب قد عم.. ولكن أمجد أوسعك ضربًا أمامي.. أم أن هذا كان جزءًا من خطتك؟.. لا أعلم.. التفكير أرهقني.. ماذا كانت خطتنا؟ أن نفهم ما يحدث كي نستطيع النجاة.. لا أعتقد أننا سنفهم.. أعتقد أننا في وضع كابوسي دون سبب واضح.. أحدنا مدعٍ والآخر حقيقي.. كلهم موتى.. وأنا وأنتِ سنموت هنا أيضًا.. أنا ذاهب لغرفتي.. سأنام قليلًا.. ربما أكتب مذكراتي.. لعل أحدهم يقرؤها يومًا ما ويستطيع تفسير ما حدث لنا.. يومًا ما.. أعتقد أن كلينا مرهق؛ ولذا لو أن الشيء واحد منا فعلينا أن نؤجل قتلنا لبعضنا قليلًا.. لننمْ يا صغيرتي..



ينهي أحمد كلامه ويستدير راحلًا بينما سلمى جالسة تنظر إليه في صمت..

وحيدة تجلس سلمى..

ملحوظة من عبدالعزيز السلدان:

بعد الجزء القادم تنتهي مذكرات سلمى الخطاب بعدما وجدوا جثتها في المبنى وقد أفرغ أحد أحشاءها وشنقها بواسطتها.. الجزء القادم أنقله إليكم كما كتبته سلمى:

هأنذا أجلس وحيدة في الغرفة والرياح تعصف بالخارج بينما أمواج البحر تستشيط غضبًا.. أتصبب عرقًا وأحاول ألا أجعل يدي ترتجف وأنا أكتب ما قد يكون آخر شيء أكتبه في حياتي.. أنا أترك هذا الكلام لمن قد يجده بعدي يومًا ما.. الشيء حقيقي.. وقد أثبت لنا جميعًا أن البشر هم المسوخ الحقيقيون.. ما حدث في الأيام السابقة هو الهول بعينه.. أنا لا أعلم من هو ولكني أعلم أنه واحد منا.. أنا أرى ظلًّا يتحرك ورائي على الحائط وهذا الظل ليس ظلي.. أشعر بضلوعي تنقبض داخل صدري وأفشل تلك المرة في أن أجعل يدي تكف عن الارتجاف.. إنه قادم..

أنا وحيدة.. وحيدة تمامًا الآن.. كلهم موتى وأحمد استسلم لقدره ورحل.. علي أن أواجه الشيء لوحدي..



ليتني أعرف ما هو الشيء.. أن أفهم على الأقل ما الذي يحدث من حولي وما الذي يحدث لي.. أتذكر حياتي كلها كأنها فيلم سينمائي يتم عرضه أمامي.. والدتي.. والدي.. زوجي.. كلا.. طليقي.. حتى في تلك اللحظة كبريائي لن يسمح لي بأن أدعوه زوجي.. هل يهم هذا حقًّا؟.. تسير حياتك في نهج واحد نمطي وروتيني ثم يحدث لك شيء ما لا تفهمه لتجد أنك على أعتاب الموت.. هذا أمر غير عادل.. ليتني أفهم.. أجلس وحيدة وأفكر وأتذكر.. أحاول أن أفعل ما اتفقت عليه مع أحمد.. أن نحاول أن نجمع الدلائل ونفهم كي نستطيع حل الكارثة التي نحن بصددها.. أغمض عيني وأعصر عقلي جاهدة.. أسترجع شريط ذكرياتي منذ مجيئي إلى هذا المبنى.. أيمن.. اللوحة.. البحر وراء السيدة في اللوحة والشيء الخارج منه.. رنا وزكي على الشاطئ.. الزاحف على الرمال وتحذيره لنا.. أمجد.. آه.. أنا أفهم الآن.. يا لي من حمقاء! لقد فهمت كل شيء.. الحل بسيط للغاية.. أنا أعلم من هو الشيء.. أعلم من هو قاتلنا.. لقد فهمت كل شيء.. أحمد؛ أين أنت لأدلي إليك بالحقيقة.. سأدون ما فهمته هنا الآن وأذهب لأقول له.. آه انتظروا.. باب الغرفة ينفتح.. أهذا أحمد؟ كلا.. هذا ليس أحمد.. يا إلهي! أغيثوني..



....

تنتهي ناردين من قراءة الكتيب في يدها فيقول لها صلاح: أكملي.. هناك أجزاء من مذكرات أحمد عدنان في الخلف..

تسير عينا ناردين على المذكرات الملصقة في ظهر الكتيب بنعومة وتواصل القراءة:

....

جزء من مذكرات أحمد عدنان:

كلنا مرهقون ولا أحد منا يثق بالآخر.. هناك شيء ما معنا.. لا أحد يفهم شيئًا.. ولا أعتقد أن أحدًا منا سينجو.. أنا فقط أترك هذه الرسالة لمن قد يجدها يومًا ما.. العالم ليس مكانًا آمنًا.. ونحن لسنا لوحدنا.. الوحوش موجودة.. المسوخ والغيلان ليست أساطير.. هم بداخلنا.. طيلة الوقت.. وأحيانًا ينتصرون.. واحد منا أصبح منهم.. وهو معنا الآن.. هأنذا أسمع الخطوات تقترب في قلب الليل بينما الصقيع يداعب عنقي.. علي أن أترك مذكراتي الآن وأذهب لأرى من الطارق.

أتجه ببطء وأفتح الباب.. القادم كان الزاحف على الرمال.. هذا الضيف الغامض الذي جاء لتحذيرنا ومات على رمال الشاطئ.. المد احتضنه فيما يبدو وداعبته



أمواج البحر قبل أن تلفظه إلينا مرة أخرى مثلما حدث مع رنا وزكي.. فأرى أوداجه المنتفخة وعينيه البيضاويتين.. أهو وهم أم حقيقة؟ لعلي فقدت صوابي مثل أمجد.. يدخل الغرفة بهدوء متجاهلًا إياي كأنه مالكها.. على الأقل لقد طرق الباب قبل أن يدخل.. حقيقة أنه ميت.. وحقيقة أنه يقطر من ماء البحر.. صوت القطرات هذا.. تك تك.. أم أنها دماؤه.. يجلس أمامي على حافة السرير وينظر إلي بعينيه البيضاويتين.. أم أنه لا ينظر لي حقًّا.. لا أعلم.. يقول بصوت أجش قادم من الأثير: كلكم موتى.. أنتم لا تعلمون ما أعلم.. ولا ترون ما رأيت.. حاولت تحذيركم.. الشيء هنا..

أنظر إليه وأغمض عينيَّ بقوة قبل أن أفتحهما.. هو غير موجود أمامي الآن.. تبًّا لتلك الهلاوس.. علي أن أستجمع قواي وأن أجد سلمى.. لقد جلست مرة أخرى لأكتب لكم ما قد يكون آخر شيء أخطه بقلمي.. أرى ظله ورائي فجأة على الحائط.. تلك المرة ليست بهلوسة.. أرى الخطاف الحاد يرتفع للوراء استعدادًا كي ينغرز في عنقي.. لن يسعفني الوقت لكتابة أي شيء آخر سوى كلمة واحدة.. الوداع..

....



أغلقت ناردين الكتيب ووضعته جانبًا وقالت: يا إلهي!

علق صلاح: لقد أضاف عبدالعزيز لمسته الفنية في آخر جزء.. لقد وجدوا جثة أحمد وهناك خطاف في عنقه..

كررت ناردين: يا إلهي! سبعة موتى.. وكلهم تحدثوا عن الشيء.. شخص ما معهم لم يكن منهم.. مدعٍ أو محتال.. نحن بحاجة إلى...

ثم قطعت كلامها ونظرت إلى صلاح في رعب: أكملي.. كنتِ ستقولين نحن بحاجة إلى أن نفهم في البداية كي نستطيع أن نحل.. مثلما فعلت سلمى مع أحمد..

نظرت إليه في صمت وارتجفت.. وغمغمت لنفسها: التاريخ يعيد نفسه لأننا لا نتوقع منه أن يفعل ذلك..

ثم نظرت إلى صلاح وقالت: سنعد المزيد من القهوة وتكمل لي.. اسرد لي ما حدث معك أنت بعدما انتهيت من قراءة الكتيب..

بعينين مرهقتين نظر إليها صلاح قبل أن يقوم معها وهي تعد القهوة.. بعدها عاد الاثنان واستلقى صلاح على الأريكة مغمضًا العينين أمام ناردين الجالسة عاقدة ساقيها تستمع إليه كأنهما في لوحة المريض وهو يدلي بأسراره للطبيب النفسي، يرشف صلاح من القهوة ويسأل بهدوء:



مستعدة؟..

- كلي آذان مُصغية..

- أنصتي جيدًا.. أنصتي إلى التفاصيل..

وواصل الحكي..

الفصل التاسع

صلاح يواصل السرد:

انتهيت من قراءة الكتيب وأنا جالس -حرفيًّا- فوق منضدتي العجوز في شقتي الكئيبة.. اعتدلت واقفًا فآلمني ظهري بقوة من الحركة المفاجئة.. تأوهت وأغمضت عيني، أنا أكره الألم الجسدي وألم العظام كثيرًا.. عندما فعلت هذا تخيلت سلمى وأحمد ومحاولاتهما للنجاة في المبنى.. متحديًا الألم في ظهري أجبرت نفسي على السير وذهبت للثلاجة.. جرعت الكثير من الماء قبل أن أذهب وأستلقي بهدوء مرضي للألم في ظهري على الأريكة.. الكتيب لم يقدم لي إجابات.. فقط قدم لي الكثير من الأسئلة.. أين رحاب عبدالعزيز.. فتاة البحيرة؟ لماذا



اختفت؟ ومن أخذها؟ من الذي قتل والدها ومثل بجثته؟ من هو الشيء الذي فتك بالموظفين الستة في مبنى الاتصالات؟ ومن أين جاء الزاحف على الرمال؟ ما الحقيقة المروعة التي اكتشفتها سلمى الخطاب في لحظاتها الأخيرة؟..

عقلي كان يئن دون توقف كمحرك قطار بدائي.. تنهدت وجرعت المزيد من الماء قبل أن أقوم متجاهلًا الألم في ظهري وقفت في النافذة أنظر للقاهرة العجوز التي لا تنام.. كم من حياة تدور وتنهار في الآن ذاته في البنايات المغلقة أمامي! أحلام وطموحات أناس.. هؤلاء الذين يبكون.. يحلمون.. هؤلاء الذين يسيرون في الشوارع ليلًا.. بينما أقف أنا في شرفة شقتي.. أبحث عن فتاة اختفت قرب بحيرة.. والدها يحمل سرًّا غامضًا يتعلق بمذبحة الإسكندرية.. بشكل ما شعرت بالتقرب للشخصيات في مذكرات عبدالعزيز السلدان والد رحاب.. شعرت بالتقرب إلى سلمى وأحمد ومحمود بالأخص.. أيمن يجلس في مكتبه ويفكر في أن الوحدة أمر سيئ.. تُرى فيم كان يفكر قبل أن ينهي حياته بنفسه؟ هذا الرجل الذي ظهر من المجهول وزحف محتضرًا على الرمال ليحذرهم.. تُرى أكانت سلمى تتوقع وهي ذاهبة في



مأمورية عمل للإسكندرية الشابة التي تعدهم بالبهجة أن كل هذا سيحدث؟ يا له من سؤال أخرق! بالتأكيد لم تكن تتوقع.. سلمى تحدثت عن التائه في الغابة المسحورة ذات طريق الهلاك وطريق النجاة والكذاب والصادق والسؤال الواحد الذي سينجيه.. ليعرف من الكاذب ومن الصادق وأين هو طريق النجاة.. وضعتُ كلتا يدي على سور الشرفة وسَرَتْ برودة المعدن في يدي فارتجفت في صمت.. لا أعلم السبب لكني كنت أدرك أني سأتابع تلك القضية للنهاية.. سأجد رحاب.. علي أن أجدها.. نظرت أمامي وقلت محدثًا المدينة غير المبالية: أنتِ بلد غريب يا قاهرة.. مليئة بالمغامرات.. بالحيوات المختلفة.. أنتِ آلة عملاقة لا ترحم ساكنيها.. بكاء وظلام وقسوة.. وحب وجنون في الآن ذاته.. ولكن الإسكندرية تتفوق عليك دومًا بفتنتها وشبابها.. والآن هناك شر ما قادم من الإسكندرية.. جرائم قتل وحشية وفتاة مختفية.. إن الإسكندرية الآن تنافسك أيكما ستكون أقسى من الأخرى.. فقط بوحي لي بأسرارك يا قاهرة.. لو كنت تعرفين من هو الشيء فقط قولي لي..

انتهيت من الكلام ونظرت أمامي منتظرًا إجابة.. بنايات وأنوار وسيارات مسرعة وشوارع كثيرة.. لا



إجابة.. ابتسمت والتفت متجهًا للفراش قبل أن أرتمي عليه محاولًا النوم.

ولكني لم أنم.. ظللت مستلقيًا على الفراش عاقدًا كلتا ذراعيَّ خلف رأسي أحدق في السقف وأفكر في رحاب.. شعرها الأزرق القصير وعيوناتها التي تزيدها جاذبية وفتنة.. لا أعلم إن كان تفكيري المحموم بها وبحثي عنها أم أنها هي السبب، لكني شعرت بمشاعر جمة تجاه تلك الفتاة التي لم أرها من قبل.. لا أعلم متى ولا كيف نمت.. في الحلم كانت رحاب تنتظرني.

كنت أسير ببطء في قصر قديم مطلع على غابة مهجورة.. كنت أسير وراء رحاب ولكني كنت الرجل الخفي.. هي لا تراني.. لا تسمعني.. لا تعلم أني موجود أبحث عنها.. في الحلم وجدت رحاب.. كانت تسير وحيدة وفستانها يتموج وسط الستائر البيضاء في الممر الطويل.. عنقها الطويل يعكس غموض شخصيتها، وعيناها المغلقتان تعدانك بأسرار لا حدود لها.. تسير بنعومة كأن غدًا لن يأتي أبدًا.. تسير بهدوء كأنها تسامحك على كل خطاياك.. لم يكن الأمر سهلًا وهي تقف على حافة النافذة.. الغابة المظلمة أمامها.. تبتسم الفتاة في هدوء والهواء الطلق يجعل بدنها يقشعر.. يا لكل هذا الهدوء! الفراغ.. غدًا لن



يأتي أبدًا.. تقفز سيدة البحيرة.. وفي طريقها لأسفل تراه واقفًا في الغابة يضع كلتا يديه في ردائه الأسود الطويل وينظر إليها بينما الظلال تغطي وجهه.. زائر منتصف الليل.. الشيء.. يبصقه الظلام إليها من قلب الغابة المهجورة، وها هو ذا يقف أمامها الآن.. تراه يسير تجاهها وهي راقدة على الأرض الخضراء تئن في ألم.. يمد يده إليها.. الخفافيش تطير من حوله.. يقف كاشفًا عن نابيه الطويلين وينظر إليها بعينين لا حياة فيهما.. يهمس إليها: لقد حان وقت النوم الأبدي.. يقترب منها أكثر.. أحاول أن أنقذها ولكن حركتي بطيئة للغاية.. فجأة أراها تعدو في الغابة أمامي وهي تبكي.. أحاول اللحاق بها.. أين ذهب زائر الليل؟ لا أعلم.. هو حولنا في مكان ما.. ينتظر.. يراقب دومًا.. تعدو رحاب في الغابة المسحورة.. أراها تقف أمام مارٍّ عجوز معه حمار.. تسأله عن شيء ما.. رحاب يا صغيرتي أنتِ تسألين السؤال الخاطئ.. لن يقودك هذا الرجل لطريق النجاة.. حماره رمز لخديعته.. شعرها الأزرق يتوهج مع ضوء القمر فيختلج قلبي..

أفتح عيني ببطء وأنا أتصبب عرقًا على فراشي في الصباح الباكر.. أجد صورة رحاب في يدي.. لقد نمت وأنا أحملها..



....

قضيت الأيام التالية في مقابلة أصدقاء رحاب وأقاربها والحديث معهم.. نَمَتْ لحيتي وازداد شحوبي.. هوسي بتلك الفتاة يزداد يومًا بعد يوم.. كونت صورة كاملة عن حياتها وعن شخصيتها من كلامهم.. من الغريب أن الصحف لم تذكر مقتل أبيها.. لم يجد أحد جثته فيما يبدو، ولم تسأل عنه أي من طليقاته.. في هذا التوقيت كنت أقع أنا في حب فتاة البحيرة.. بالنسبة إلي هي فتاة البحيرة وليست سيدة البحيرة.. كنت أجلس وحيدًا أتحدث إليها في خيالي.. أنظر إلى صورتها وأمرُّ بيدي على وجهها.. يزداد غضبي وأنا أتساءل: أين هي؟ لا بد أن أجدها.. لا بد..

إلى أن أتى هذا اليوم في نهاية الأسبوع..

الزمان: الثالثة صباحًا..

المكان: شقتي..

ارتديت معطف عبدالعزيز السلدان، واحتضنت صورة رحاب وخلدت للنوم.. لقد وصلت لدرجة غريبة من الهوس بتلك القضية اللعينة.. يتعالى صوت الطرْقات المستمرة على عتبة بابي فأقوم أخيرًا في تكاسل وأتجه للباب مغمض العينين وأنا أطلق السِّباب.. من الذي يأتيني



الآن؟!.. أتذكر خطاب عبدالعزيز ومذكرات سلمى الخطاب فأتناول سكين المطبخ الحاد في طريقي قبل أن أفتح الباب وأضعه في جيب المعطف الداخلي.. أفتح الباب لأجد أمامي رجلًا فارع القامة يرتدي الأسمال السوداء وهناك غطاء رأس ضخم يغطي وجهه.. لوهلة ظننت أني في كابوس آخر.. من الغريب أنه عندما يداهمنا شيء غير متوقع يرفض عقلنا دومًا التصديق.. نتمسك دومًا بواقعنا الضيق، ونرفض التفكير فيما يحدث فعلًا في الحياة من عجائب من حولنا.. وجدت نفسي أطير فجأة مترين للوراء وأسقط أرضًا بقوة وأجاهد كي ألتقط أنفاسي بعدما احتضنني بقوة قبل دفعي بعيدًا هذا الزائر الليلي.. أراه يتحرك بهدوء ونعومة ويدلف للشقة.. صوت قطرات ماء تسقط من ردائه للأرض.. لكنها لا تمطر بالخارج.. هذا ليس ماء.. بل دماء.

يجلس الرجل أمامي على ركبتيه.. ليتني أرى وجهه.. أدرك أنه ينظر إلي ولكني لا أرى عينيه ولا ملامحه بسبب غطاء الرأس اللعين هذا.. يسود الصمت وأنا أنظر إليه في عدم تصديق.. يقول بعد وهلة بصوت هادئ وحاد في الآن ذاته.. صوت به لا مبالاة قوية: لقد حان وقت الموت..



ينهي جملته وأراه يمد يده في جيب ردائه الأسود ويخرج نصلًا حادًّا ملتويًا.. بإمكاني تخيله وهو يغرز النصل في عنقي قبل أن يجرني منه وأنا أبصق دمًا ودمائي ترسم أشكالًا دائرية على أرضية شقتي.. كلا.. على الأقل سأقاوم قليلًا.. لا أعلم من أين واتتني الشجاعة وتحكم الأعصاب.. ربما هو الأدرينالين.. وجدت نفسي أقوم في سرعة لا أتوقعها مقاومًا الرعشة في ساقي وأنا أتوسل إليهم أن يتماسكوا ويحملوني بعيدًا.. أهرع إلى الشرفة وأقفز منها وأنا أرتدي معطف عبدالعزيز السلدان.. من الطابق الثالث بدا كل شيء مختلفًا.. الهواء يحملني في حنان كأنه ينتظرني منذ دهور قبل أن يغدر بي فجأة ويبتسم في قسوة بينما قوة الجذب تشدني للأسفل بشكل مرعب.. أرى القاهرة العجوز تنظر لي وأنا أسقط.. بدا أنها ستجيبني عن سؤالي الذي سألته إياها منذ عدة أيام.. من هو الشيء؟.. قبل أن تأتيني الإجابة وجدت نفسي أرتطم بقوة بالأسفلت الجاف وظهري يصرخ ألمًا.. نوع مختلف من الألم عن هذا الذي داهمني عندما تحركت فجأة من فوق المنضدة.. لكني أجبر نفسي.. هيا ستقوم الآن.. لن يلحق بك، أنت رائع يا صلاح وقد قفزت من الطابق الثالث وكل شيء.. لا تتركه يلحق بك ويذهب كل



هذا الألم هباء.. الألم معناه أنك تقاتل.. أنك ستنجو. يئن ظهري في ألم معترضًا وأنا حاول العدو بعيدًا، لا أنظر ورائي، أسقط، أقوم مرة أخرى، الشوارع والأزقة تنظر لي في عدم فهم وأنا أتخبط بينها، أهلوس وأنا أجري، الشيء قادم، الشيء قادم.. لقد زارني في منتصف الليل.. ها ها.. الشيء قادم، لا بد أني بدوت كالمجاذيب، أضحك وأبكي في الآن ذاته، رحاب يا صغيرتي أين أنت؟.. أواصل العدْو.. أتذكر الكاتبة التي كانت أختي تأخذ معها جلسات علاج نفسي.. أتذكر تشابه قصصها مع ما يحدث لي الآن.. وكأني شخصية في رواية لها.. عندما تفقد الأمل تصبح أي فكرة حلًّا مرغوبًا فيه.. أنا أتذكر عنوان الكاتبة.. السكين في غمدي.. المعطف الثقيل يحيط جسدي.. أتجه إلى منزلك.. لعلك تملكين إجابات.. لعلك تساعدينني..

....

ينتهي صلاح من سرد حكايته وينظر لناردين في صمت...

الفصل العاشر



تنظر ناردين لصلاح في صمت وهو جالس أمامها قبل أن تقول: يا لها من حكاية غريبة!

ثم تكرر الفتاة في شرود: يا لها من حكاية غريبة للغاية!

يغمض صلاح عينيه ويعود برأسه للوراء في إرهاق.. تقطب ناردين جبينها مفكرة.. يسود الصمت في الشقة ويداعب آذانهما.. لقد تحدث صلاح لفترة طويلة، والصمت الذي أعقب حديثه كان من نوع الصمت المهيب الذي يأتيك في حالة إرهاقك بعد يوم حافل بالأحداث..

بعد وهلة تقطع ناردين الصمت وتقول في تفكير: أنت تنتظر مني إجابة.. تفسيرًا منطقيًا لكل ما حدث.. تنتظر مني أن أقدم لك إجابة..

أومأ صلاح برأسه وهو مغمض العينين.. نظرت إليه ناردين طويلًا قبل أن تقول: علينا أن نتخيل.. الخيال هو المفتاح لحل تلك المعضلة.. علينا أن نفكر في كل التفاصيل..

ثم قامت بهدوء وبدأت تسير في هدوء دون اتجاه محدد، وقالت: فتاة شابة تختفي فجأة ووالدها يتم قتله بشكل وحشي.. والدها مات لأنه اكتشف سرًّا ما بسبب



فضوله.. سرًّا ما حدث في مبنى الإسكندرية حيث مات سبعة بطريقة وحشية.. الفتاة أيضًا اختفت بسبب ما اكتشفه والدها.. كل شيء يكمن في المبنى هناك.. الكثير من التفاصيل المتناقضة.. دعنا نفكر معًا..

قالت ناردين الجملة وهي تقفز في خفة لتقف على كرسيها في الصالة كأنها على وشك تقديم عرض مسرحي، وأردفت: ما الذي حدث في المبنى بالضبط؟ رجل يأتي ليحذر قاطني المبنى من خطر سيداهمهم.. بعدها يتساقطون كالذباب واحدًا تلو الآخر.. تمامًا كرواية «ثم لم يوجد أحد» لأجاثا كريستي.. أناس منعزلون في مكان واحد يتم قتلهم واحدًا تلو الآخر والقاتل واحد منهم.. هذا هو التفسير الأول والمنطقي.. القاتل بشري.. أحد الموظفين قتلهم جميعًا.. أو دفعهم للشك بعضهم في بعض ولعب بعقلهم.. بعضهم انتحر والآخرون حاولوا قتل بعض فعلًا بسبب الشك.. ازرع فكرة ما في عقل مجموعة من البشر يحيون معًا وشاهد النتائج.. لتلعب العزلة والوحدة دورهما.. الناتج هو الشك والجنون والاكتئاب والانتحار.. هذا هو التفسير الأول.. نفس القاتل أخذ ابنة عبدالعزيز وقتلها لأنه اكتشف هويته.. وعندما علم أنك تبحث عنه قام بزيارتك محاولًا قتلك.. هذا التفسير سيقول



لنا إن تحذيرات الزاحف على الرمال ورسالة انتحار أيمن وما رآه محمود في المستشفى قبل مجيئه للمبنى ليست إلا هلاوس تضللنا عن الحقيقة..

فتح صلاح عينيه ونظر لناردين وهي واقفة تتحدث في تفكير عميق فوق الكرسي.. سألها بإرهاق: وما التفسير الثاني؟

تأخذ ناردين نفَسًا قبل أن تجيبه: التفسير الثاني يحتاج لقدر أكبر من الخيال والمرونة.. هو لا يفترض المنطق كما يفترضه التفسير الأول.. التفسير الثاني يقول لنا إن الشر يأتي من الخارج وليس الداخل.. إن هناك نوعًا آخر من الشر لا نعرفه.. بخلاف الجشع وحب السلطة واللذة.. التفسير الآخر يقول لنا إن رجل القبيلة في القدم كان محقًّا في تحذيره للصغار من أمنا الغولة وأبو رِجل مسلوخة.. التفسير الثاني سيقول لنا إن كل أساطير القدامى عن المستذئب ودراكولا والغيلان لم تكن من فراغ.. أن هناك شيئًا ما شيطانيًّا زارهم في المبنى.. هذا الشيء يتنكر في صورة بشرية لمن يريد ويمارس الخداع.. يدفعنا للشك في بعضنا البعض.. قتل بعضنا البعض.. يصيبنا بالوهن النفسي والاكتئاب.. يتغذى على مخاوفنا وعدم إيماننا به.. أكبر خدعة ابتكرها الشيطان هي إقناع العالم بأنه ليس



موجودًا.. التفسير الثاني سيقول لنا إن نبوءة الزاحف على الرمال وتحذير أيمن حقيقيان.. إن تحذير تلك المرأة التي قتلت رضيعها أمام عيني محمود في المستشفى حقيقي.. إن هناك شيئًا ما جاء من أعماق البحر.. أو ربما من سفينة ما تهيم في البحر.. هذا الشيء هو شر مطلق.. جاء لينشر الفوضى والخراب.. تسبب في هلاك كل من في المبنى.. وعندما بحث عنه عبدالعزيز قتله وأخذ ابنته.. وعندما بحثت عنه أنت جاء إليك في قلب الليل..

كانت تتحدث والانفعال يتزايد في صوتها مع انطلاق مخيلتها، ولم يملك صلاح إلا أن يبتسم وهو ينظر إليها وهي تتحدث بتلك الدرجة من الجنون..

أخذت ناردين نفسها ونظرت إليه وهي تكمل: لماذا كتب برام ستوكر عن هذا الكائن القديم الذي يحيا وحيدًا ويمص دماء البشر؟ ما الذي زاره في عقله ليلًا ليلهمه بفكرة كائن يعيش منذ قرون ويقول لضيفه عن عواء الذئاب: استمع إليهم.. أبناء الليل.. أي موسيقى عذبة تلك التي يعزفون! لماذا تحدثت ماري شيللي عن العائدين من الموت والجاثوم؟ ولماذا كتب ستيفنسون عن المسخ بداخلنا الذي يستيقظ ليلًا ويتحول لكائن آخر؟ لماذا حكى قدماء العرب عن النداهة.. هذا الغول المتخفي الذي يتنكر



في صورة فتاة حسناء تخطف الرجال وتسحرهم قبل أن تلتهمهم؟ هل ورَّث لنا رجل الكهف في لا وعينا الأهوال التي رآها قديمًا.. المسوخ والغيلان ولهذا لا إراديًّا نكتب عنهم؟ أم أن هذا خيال مطلق فحسب؟ التفسير الأول سيقول إن الشيء بشر يمارس ألاعيب عقلية معنا دون دافع واضح.. التفسير الثاني سيؤكد أن الشيء كائن قديم شيطاني يمارس أيضًا ألاعيب عقلية دون دافع..

- إذن؟

- نحن بحاجة لكي نجد الدافع.. لكي نفهم أكثر..

- كيف؟

كان صلاح يتوقع الجملة القادمة التي ستقولها ناردين..

- علينا أن نذهب إلى المبنى..

يشحب وجه صلاح أكثر قبل أن يقول: لقد فكرت في هذا كثيرًا.. نعود لنقطة البداية.. المبنى.. لكن..

- لكنك خائف.. أنا أيضًا خائفة.. ولكن لو أن كل ما رويته أنت حقيقي.. فأنت تعلم أني سأطالبك بالذهاب للمبنى.. أنت لم تذهب لشخص عملي كي يساعدك.. لقد ذهبت لكاتبة قصص رعب غير منطقية كي تساعدك وأنت تعلم أن علي أن أذهب وأرى ما الذي هناك..



- لأنكِ مغامِرة.

- ماذا؟

- هذا ما يفرق البشر عن بعضهم البعض.. روح المغامَرة.

- ربما.. آه آه.. هناك شيء آخر.

- ماذا؟

- يا لي من حمقاء! كيف أغفلته؟ لقد دونتها في ملحوظة وأنا أقرأ الكتيب كي أعود إليها.. طبعًا هناك شيء آخر.

- ماذا؟

- اللوحة.. لوحة السيدة في المبنى والشيء الأسود يخرج من البحر وراءها.. حسب التفسير الثاني غير المنطقي فتلك اللوحة دليل مهم جدًّا.. ماذا كان اسم الرسام؟ آه شاكر شكري.. علينا أن نبحث عنه.. نقابله لو كان لا يزال على قيد الحياة، أو نقرأ عنه على الأقل.. ما الذي دفعه لرسم تلك اللوحة؟ أعتقد أن هذا الرجل عامل مهم في حكايتك غفل الجميع عن رؤيته.. أعتقد أنك جئت إليَّ لهذا السبب خصيصًا.. قبل أن تسألني عن مقصدي دعني أُجِبْك ولا تكن متسرعًا يا فتى تقاطعني.. فقط اسمعني.. أنا الآن بحاجة إليك أن تنصت وتسمعني.. أنت



جئت إلي لأني سأرى شيئًا لن تراه.. أردت مني أن أستخدم مخيلتي.. أن أرى التفاصيل.. والتفاصيل تقول لنا بوضوح: شاكر شكري ولوحة السيدة المرسومة..

- حسنًا..

- والآن.. آه انظر.. إنه وقت الغسق.. هذا دومًا وقت مناسب.

- وقت مناسب لماذا؟

- للذهاب إلى الإسكندرية طبعًا.. هيا بنا.

- هناك تفسير ثالث لم تذكريه.

- وما هو؟ أني مخبول اخترعت كل شيء من وحي خيالي وأنا الذي أمارس ألاعيب عقلية..

- لقد فكرت في هذا الاحتمال.. لكني لا أعتقد أن شخصًا واحدًا قادر على تأليف كل هذا.. كما أن حالتك مزرية.. ليست حالة قاتل مخادع.

- آه.. شكرًا لكلامك اللطيف.

- العفو.. والآن هيا بنا.. لا أصدق أني سأكون في سيارتي مع مختطفي في طريقه للإسكندرية لحل غموض مقتل العديد من الأفراد والعثور على كائن شيطاني قديم.. من قال إن الحياة مملة.

- - أنتِ مخبولة.



- وأنت كذلك.. ولهذا علينا حل تلك المسألة معًا.

الفصل الحادي عشر

رفع شاكر شكري عينيه ونظر لناردين وصلاح الجالسين أمامه في شقته بستانلي..

المكان: الإسكندرية.

الزمان: الحادية عشرة ظهرًا.

- لا أعلم كيف توصلتما إلي.. لم يتوصل إلي أحد من قبل.. الكثيرون يعتقدون أني ميت..

كان يتكلم بحدة وتركيز وهو ينظر إليهما.. ناردين كانت ترتدي فستانًا قرمزيًّا طويلًا بينما صلاح يرتدي قميصه وسرواله الأسود دون المعطف.. كان يحاول أن يبدو كرجل مهندم لكن إعياءه وثيابه الرثة قالا لشاكر إنه مر بالكثير من الأهوال.. ناردين كانت نشيطة وبها حيوية وتركيز.. تلك فتاة خالية من الاكتئاب في تلك اللحظة لكنها تعاني الكثير منه عندما لا يكون لديها شيء تفعله.. كذا فكر شاكر وهو ينظر إليها.. شاكر في بدايات العقد السابع من عمره يرتدي روبًا قماشيًّا طويلًا.. شعره أشيب



ناحل مصفف للوراء في عناية.. يمتلك لحية ضخمة بيضاء تزيده وقارًا.. قصير القامة نحيف الجسد.. وجهه مستدير وعيناه بهما روح شاب مشاغب.. شقته مطلة على البحر.. تعود لتلك الشقق القديمة في الإسكندرية عندما كان يمتلكها اليونانيون.

أجابته ناردين: لم يكن الأمر سهلًا.. لقد قضينا أربعة أيام نبحث في الجاليريهات وأماكن تجمع الفنانين.. بحثنا في النقابة؛ بل وذهبنا للتجمعات في النوادي في الآن ذاته.. لم يكن الأمر سهلًا لكن دافعنا لم يكن بسيطًا أيضًا.. كان علينا أن نجدك..

- أنا أجده أمرًا مُطري أن تقتفي أثري كاتبة مشهورة وشاب بسبب لوحة رسمتها منذ أربعين عامًا.. لقد رسمتها في عام ١٩٧٨.. لن أنسى أبدًا تاريخ اليوم.. لن أنسى اليوم..

تلمح ناردين التأثر في صوته، تقول له وهي ترتقب ردود أفعاله في تركيز:

- وأعلم أنك لم تكن لتجلس معنا وتسمح لنا بدخول بيتك في العادي، وأنا أقدر هذا..

- في الحقيقة أنا أعرفك من رواياتك يا أستاذة ناردين؛ ولهذا سمحت لكم بالدخول.



قال الجملة وهو يقلب روايتها التي أحضرتها معها من القاهرة استعدادًا لموقف كهذا بين يديه.. كن مستعدًّا دومًا.. هكذا قالت لصلاح وهي تعد حقيبتها وهما لا يزالان في القاهرة عندما سخر منها لإحضارها الرواية معها، وعلقت قائلة: استخدم خيالك.. ماذا لو وجدناه؟.. لو كان يعرفني ككاتبة فهذا سيسهل الأمر.. الرجل رسام بعد كل شيء.. هذا ما قالته ناردين لصلاح منذ عدة أيام وهما في القاهرة في ليلة اقتحامه لشقتها، وفكر صلاح وهو جالس في شقة شاكر أن الفتاة عبقرية.. أو تستخدم خيالها.. نظر صلاح لشاكر ولوهلة فكر في مدى روعة أن الرجل حقيقي وجالس أمامهما الآن.. عندما تضع خطة وتفكر بها كثيرًا ثم تتحول لواقع يكون وقع الأمر غريبًا عليك، كأن هناك جزءًا في عقلك يشعر دومًا أن الخطة لن تتحقق، وأن الواقع سيخونك.

تري أسيكون شعوره مماثلًا لو وجد رحاب.. من الغريب كيف تحولت ثقته من أنه سيجدها إلى ماذا لو وجدها.. عاد صلاح بناظريه لشاكر وكف عن شروده.. كان شاكر يقلب رواية ناردين في نوع من الغيرة لم تفت على صلاح، وغالبًا التقطتها ناردين.. الرسام العجوز الذي لم تحقق لوحاته شيئًا من الشهرة يجلس أمام الكاتبة



الشابة التي حققت رواياتها أعلى المبيعات.

يكمل شاكر كلامه: حكاياتكم ليست غريبة على آذاني.. لم أتوقع فقط أن يدرك أحد ما يحدث.. لم يأتني من قبلكم سوى رجل واحد خلال الأربعين عامًا.. رجل واحد كان يبحث عن الحقيقة.. كان يعمل في الموانئ.. أعتقد أنه كان محتالًا.. قال لي إنه رأى سفينة قديمة تعود لزمن ماض تهيم في البحر وسط الضباب في ليلة كان فيها سكران.. قال لي إنه رأى شيئًا يأتي من تلك السفينة.. وإنه رأى لوحتي.. رأى الشيء يخرج من البحر فيها.. عندئذ أخبرته أنا بالحقيقة.. قال لي إنه يعلم أين سيذهب الشيء وإن عليه تحذير البعض منه..

تبادل صلاح نظرة صامتة مع ناردين التي فكرت.. الزاحف على الرمال.. يكمل شاكر: أعتقد أنه علم وجهة الشيء؛ لأن الرجل رآه في البحر يتجه لوجهة ما.. أعتقد أنه اتبعه بقارب..

فكر صلاح.. لهذا لم تجد سلمى وأحمد سيارته.. لقد أتى بقارب.. علينا أن نتوقع كل شيء ولا نفكر في اتجاه واحد فحسب.

تنهدت ناردين.. كان صلاح يتوقع سؤالها القادم.

- أستاذ شاكر.. احكِ لنا.. احكِ لنا ما حكيته للرجل..



ما الذي رأيته أنت؟

قبل أن تصمت ناردين وهي تنتقي كلماتها، كانت ستقول له: ما الذي رأيته منذ أربعين عامًا، ولكنها قدرت أن السنة نفسها، ١٩٧٨، ستكون صياغتها في السؤال لها تأثير نفسي أقوى على الرجل لأنه بدا متأثرًا للغاية وهو يذكر العام.. تتابع ناردين: في عام ١٩٧٨ ووضعته في لوحتك.. ما هو الشيء.. ولماذا يفعل ما يفعله؟

- منذ أربعين عامًا كنت أجلس قبالة البحر مع محبوبتي.. أرتدي ثيابًا أنيقة ورائحة الخمر تفوح من أنفاسي.. هي كانت ترتدي فستانًا قرمزيًّا مثل الذي ترتدينه الآن يا أستاذة ناردين.. وقد رسمتها بالفستان..

- عقدت ناردين حاجبيها وقاومت ارتجافه صامتة.. قالت لنفسها: قانون الصدفة.. يكمل شاكر:

-.. كنت أقول لها الغزل عندما عم الضباب فجأة.. سمعتها تقول لي مرتجفة: هناك شيء ما في الضباب يا شاكر.. لم أصدقها.. إلى أن اختفت أمام ناظري فجأة.. بعدها وجدت دماءها تتناثر فوق وجهي.. ما زلت أتذكر دماءها الحارة والرطبة وهي تلامس جلدي، كل ليلة أتذكر، وبينما أنا أحتضن جثتها وأبكي وأعول وجدته أمامي.. يرتدي الأسمال السوداء ووجهه تخفيه الظلال..



مبللًا بماء البحر يقطره على الرمال.... ورحل تاركًا إياي أبكي ما فقدته.. لمحت في يده الفأس الطويل ملوثًا بدماء حبيبتي وهو يرحل.. لم يهاجمني.. ولم يقل لي شيئًا.. فقط نظر إليَّ ثم رحل.. اعتقدوا أني مخبول واتهموني بقتلها، وقضيت أعوامًا في مصحة نفسية، وعندما خرجت رسمت لوحة بها حبيبتي لأخلدها.. سيدة البحر.. ورسمت قاتلها اللعين.. هذا الشيء المظلم الذي أتانا من البحر.. بحثت عنه كثيرًا.. كل ما وجدته هو مخطوطات قديمة لقدماء العرب في بعض المراجع القديمة.. تلك المخطوطات تحدثت عن كائن شيطاني ينتحل أشكال البشر وينشر بينهم الضغائن والأهوال.. كأنه الاكتئاب متجسدًا في شكل كينونة ما.. الحزن.. فقدان حبيب.. اللوعة.. الشك.. الغيرة.. الوحدة.. الجنون.. العنف.. هذا هو الشيء.. كل تلك الصفات متجسدة في صورة كائن.. سمِّه الاكتئاب لو أردت.. الاكتئاب في صورة كائن أو رجل.. طيلة تلك الأعوام وأنا أتساءل: لماذا لم يقتلني معها؟ لماذا قتلها هي وتركني على قيد الحياة؟ لأنه ينشر الألم.. الوجع.. هو يحرك الخيوط من بعيد.. يقوم بفعلة ما مثل قتل حبيبتك ثم يشاهد نتائج فعلته عليك أنت، سيد الظلام، لقد بحثت عنه كثيرًا لكني لم أربط قط مذبحة



مبنى الاتصالات به.. كان علي أن أتوقع أن جرائم بتلك البشاعة لا بد أنها من أعماله الشيطانية.. لقد قضيت عمري أبحث عنه، والآن تقولون لي إنه أخذ ابنة عبدالعزيز السلدان كما أخذ حبيبتي.. عليكم أن تفهموا جيدًا، لقد قضيت نصف عمري أبحث عنه.. علينا أن نجده وندمره.. علينا أن نذهب لمبنى الاتصالات معًا.. أنا رجل عجوز نعم لكن بإمكاني مساعدتكم، لدي من المعرفة قدر كبير.. المخطوطات تحدثت عن طرق لقتل الشيء، لو كان ينتحل شخصية تعرفها واكتشفته سيعود لهيئته.. وعندئذ عليك أن تطير رأسه بفأسه.. هناك طريقة أخرى وهي حرقه.. النار.. علينا أن ندمره.. لقد وضعَنا القَدَر في طريق بعضنا البعض لنكمل معلوماتنا ونرى الصورة الكاملة التي لم يرها غيرنا من ضحاياه.. الخير في مواجهة الشر.. هذا الصراع القديم الذي خلده الكثيرون من الرسامين.. ألا ترون اللوحة المرسومة معي؟ الملاك في مواجهة الشيطان.. الرجل في مواجهة المسخ.. لقد حان الوقت كي نضع نهاية للشيء..

انتهى شاكر من كلامه ونظر إليهما في صمت.. نظرت ناردين لصلاح.. قالت الفتاة: غدًا في الصباح الباكر نذهب لمبنى الاتصالات..



صلاح كان يفكر في جملة شاكر.. الخير في مواجهة الشر.. ناردين قالت نفس الجملة، وكل منهم نسب الجملة لأبناء صنعته.. رسامين أو كتابًا.. هؤلاء الفنانين المخابيل.. كذا فكر صلاح.. وأنا أيضًا مخبول.. ولكني سأجدك يا رحاب.

....

في البنسيون الذي اختارته ناردين كان صلاح مستلقيًا فوق فراشه في غرفته يغط في نوم مرهق وكثيف.. أول مرة ينام بتلك الطريقة منذ فترة وكأنما هو يعيد شحن كل طاقته قبل الذهاب للمبنى، أو هو فقط وصل لمرحلة من الإرهاق أدخلته غيبوبة عميقة.. ناردين كانت في غرفتها المجاورة لغرفته غير قادرة على النوم.. عقلها لم يكف عن التفكير للحظة..

من بعيد كانت تتخيل صوت موسيقى ما وكأن أحدهم يعزف.. الموسيقى كانت حالمة وهادئة وفكرتها بلحن ما تعرفه، حاولت عصر ذهنها كي تتوصل إليه دون فائدة، غدًا سيذهبون إلى المبنى.. هي وصلاح وشاكر، يا لها من حياة غريبة! تنهدت ناردين.. لقد كانت نائمة منذ نصف ساعة ولكنها استيقظت وقلبها مقبوض عندما حلمت بأخيها وهو يتلوى ألمًا في فراشه ووالدتها تبكي بجواره.. أخوها



يقيء دمًا.. يصرخ من أجل مخدراته.. والدها يرحل بعيدًا والجدية تبدو على وجهه.. تبًّا لأحلامها تلك!هي كاتبة تجعل الناس يدخلون العوالم التي صنعها عقلها ولكن عندما تحلم هي تحلم بذكرياتها اللعينة بدلًا من العوالم البديلة.. صوت الموسيقى القادم من بعيد هذا، كانت ناردين تحب هذا البنسيون وتأتي إليه وحدها كلما بدأت في كتابة رواية جديدة.. الإسكندرية والبحر من أهم مصادر إلهامها.. تجلس في شرفة غرفتها المطلة على البحر وترشف من قهوتها في الصباح الباكر وتكتب.. هل لو كان لديها حياة عادية وعائلة كانت ستأتي مع صلاح للبحث عن الشيء وتهتم بتلك القضية الغريبة؟.. نعم هي تعتقد ذلك.. الأمر لا علاقة له بحياتها.. هي تمتلك روحًا مغامِرة ولن يتغير هذا أبدًا، عندما خرجت ناردين من حالة اللانوم واللاوعي التي انتابتها أدركت أنها لا تتخيل صوت الموسيقى، وأن أحدهم يعزف فعلًا بالخارج.

ارتدت الفتاة روبًا ثقيلًا وخرجت من غرفتها وسارت بتؤدة في الممر القصير حيث استقر بيانو ضخم عتيق في نهايته جلس قبالته رجل في الخمسين من عمره أسود اللون يرتدي حلة أنيقة ويوليها ظهره، يجلس يعزف في هدوء، لوهلة شعرت ناردين أنها تحلم أو أن آلة زمن ما



قد انتقلت بها للأربعينيات.. اقتربت الفتاة من الرجل بشيء من القلق وهي عاقدة حاجبيها إلى أن جاورته فتوقف عن العزف لثوان والتفت إليها مبتسمًا قبل أن يواصل العزف وقد بدا لها أنه في ملكوت آخر ومستمتع للغاية بعزفه، لم تملك ناردين إلا أن تبتسم وتجلس بجواره وهو يعزف وتصغي إليه لنصف ساعة كامل، وبعد أن انتهى وجدت نفسها تصفق له.. قال لها بصوت أجش ودود: منذ الأربعينيات وهذا البيانو موجود في البنسيون.. صاحبه كان عازفًا إيطاليًّا رحل عن المحروسة إلى ليبيا وتركه هنا.. أسرار الحياة كلها في هذا البيانو..

اختلج قلب ناردين وهي تمد يدها لتحسس البيانو قبل أن تهمس للرجل مكررة: أسرار الحياة كلها؟!

- نعم يا صغيرتي..

- هل تعتقد أن الخير موجود؟

- الخير دومًا موجود.. والشر كذلك.. للظلام قوة عاتية..

- أعلم هذا.

- تبدين لي مهمومة بحمل ثقيل.. أنتِ تفكرين كثيرًا..

- هذا حقيقي.. قل لي.. أي قوى نفسية مظلمة تجتاح عقل امرأة ولدت طفلًا لعالمنا هذا وتجعلها تزهق روح



ابنها؟

صمت الرجل ورفع رأسه مفكرًا قبل أن يقول: لا بد أن تجتمع قوى الظلام كلها في ضربة واحدة لتجعل أمًّا تفعل هذا بابنها..

- هممم.. أنا أتساءل.. ما الذي رأته تلك المرأة لتفقد عقلها وتفعل هذا بابنها؟

- لعلها رأت شيئًا مفزعًا.. ربما يكون ما فعلته ليس أمرًا قاسيًا ولا شريرًا من وجهة نظرها كأم..

- ماذا تقصد؟

- أقصد أنها ربما تكون قد قتلت ابنها لتحميه من هذا العالم لأنها رأت في عقلها شيئًا بشعًا على وشك أن يحدث.

- أو شيئًا بشعًا قادمًا إلينا..

قالت ناردين الجملة في تفكير وهي تتمنى لو أن محمود لا يزال على قيد الحياة لتخبره أن ما رآه أمام عينيه في المستشفى ربما لم يكن تجسيدًا للقسوة بل محاولة من أم أن تحمي رضيعها لأنها فقدت عقله.. تابعت ناردين:

- هل يمكن لقوى الشر أن تواجه آلات البشر؟ هل يمكن أن تتعطل شبكات المحمول وتكف الآلة عن العمل



لوجود شر قديم بيننا.

- أي شيء من الممكن أن يحدث يا صغيرتي.

نظرت ناردين للرجل وهمست: أرجوك.. واصل العزف..

ابتسم الرجل وتعالى صوت موسيقاه..

....

في الصباح الباكر كانت ناردين تدير مقود سيارتها وتضغط المكابح بينما صلاح يجلس بجوارها ينظر من النافذة، وفي المقعد الخلفي يجلس شاكر شكري وقد أحضر معه حقيبته التي تحوي الكثير من السكاكين وفأسًا صغيرًا وقال لهما إن تلك جعبته السحرية لمواجهة الشيء، احتوت الحقيبة أيضًا على المخطوطات القديمة التي تحدثت عن هذا الكائن الذي هم بصدد مواجهته..

تتذكر ناردين الحديث السريع الذي دار بينهم وهم على الكورنيش قبل انطلاقهم بالسيارة.. كانت ناردين تسأل شاكر:

- لماذا تعتقد أن الشيء سيكون هناك.. بالمبنى؟

- هناك بدأ كل شيء بالنسبة إليكم.. وقرب البحر بدأ كل شيء بالنسبة إلي.. هو يحب التلاعب.. أنا أشعر به.. هو غريمي وعدوي اللدود.. أربعون عامًا وأنا أبحث



عنه.. أنا أعلم أنه سيكون هناك في هذا المبنى اللعين.. اعتبروه بيته.. حتى الشيء يحتاج لمأوي..

يقول صلاح وهو يدلف للسيارة: فقط تذكَّرا.. كل ما لدينا نظريات.. الحقائق لم تفرض نفسها علينا بعد.. نحن لا نعلم دافعه ولا منطقه في العمل.

- سنعلم كل شيء قريبًا.

تكررت جملة شاكر في ذهن ناردين وهي تقود سيارتها.. سنعلم كل شيء قريبًا..

الفصل الثاني عشر

المبنى يقف بشموخ مهيب وهو مطل على البحر وبدا لناردين أنه كان ينتظرهم.. ينكمش قلبها بين ضلوعها وهي توقف سيارتها على مقربه منه.. بدا لها أنهم في عالم آخر الآن، وكأن الأرض المحيطة بالمبنى والشاطئ ببحره تنتمي إلى بعد آخر.. حتى الشمس بدا ضوؤها مختلفًا.. عاتمًا وكئيبًا.. الجو كله بدا ثقيلًا ومختلفًا.

غمغم صلاح: يا إلهي! أتشعرون بما أشعر به؟

أومأت ناردين برأسها وقال شاكر: نعم.. هذا هو الوجود



النفسي للشيء.. كل شيء سيكون مختلفًا هنا.. هذا يدل على أنه هنا..

لوهلة أرادت ناردين أن تدير مقود السيارة وتهرب بعيدًا، وانتاب صلاح نفس الشعور فقال شاكر إزاء صمتهما: هو يتغذى على خوفكما.. هكذا الشر دومًا محايل ومخادع.. تذكرا أن الشيء هو الاكتئاب.. عليكما أن تتصرفا بشجاعة.. تصرفا وكأنكما لا يوجد لديكما شيء تخسرانه.. تلك هي طريقة المحاربين.. ونحن بصدد معركة مهولة الآن.. لن أكذب عليكما.. قد يموت أحدنا أو نموت كلنا.. لكننا لو خفنا وتركنا مشاعرنا تضطرب سينتصر هو.. كونا محاربين.. لنقاتل كما يقاتل الفرسان.. نحن لسنا ضحايا.. نحن هنا لنثأر للضحايا.. تذكرا هذا..

كان شاكر يتكلم في عزم وتصميم، وحمدت ناردين الله أنهما وجدا هذا الرجل قبل مجيئهما.. هو يمتلك قوة نفسية ملائمة لمواجهة أي كان الذي سيواجهونه الآن..

ترجل الثلاثة من السيارة وساروا تجاه المبنى.. فكرت ناردين في سلمى وهي تخطو خطواتها الأولى للمبنى.. نظر صلاح للشاطئ الماثل أمامهم في كبرياء وتذكر الزاحف على الرمال وهو يلهث محتضرًا.. نظر شاكر للشمس التي بدت له حمراء بلون الدم وتذكر حبيبته



ومستقبله الذي أخذه الشيء..

قالت ناردين: صلاح؛ أأنت متأكد من أن المبنى خالٍ؟

- نعم.. منذ حدوث المجزرة والشركة المساهمة لم ترسل موظفين هناك.. هم يتجاهلونه إلى لحظتنا هذه أو إلى أن تأتي إدارة جديدة لا تبالي بما حدث وترسل موظفين جددًا إليه..

ارتجفت ناردين.. موظفين جددًا! ضحايا جددًا! عليهم أن يفعلوا شيئًا.. تلك هي فرصتهم.. تذكرت صلاح وهو واقف وراءها في المطبخ وهي تعد المعكرون والهوت دوج.. زائر منتصف الليل الذي حكى لها حكايته الغريبة والآن هي تخوض مغامرته معه بجوار البحر كما يحدث في رواياتها.. الخيال أكثر منطقية من الواقع.. ثلاثتهم يفترضون النظريات ويحاولون مَنطَقة وجود الشيء وأفعاله.. ربما لا يوجد منطق.. ربما الشر يفعل ما يفعله دون سبب..

يتوقف ثلاثتهم أمام الباب.. يدخلون المبنى..

....

كان أول ما رأته ناردين فور دخولها هي لوحة شاكر المرسومة على الحائط.. يقترب شاكر ببطء من اللوحة دامع العينين ويقول محدثًا السيدة في اللوحة: حبيبتي..



سآتي إليك قريبًا.. يا إلهي لشدَّ ما أفتقدك! الحب حقيقي وأنتِ أثبتِّ لي هذا.. سأجده وأقتله.. سأنهي وجود هذا الشر والعبث الذي أخذكِ مني..

الغضب يزداد في صوته وهو يدلي بالجملة الأخيرة.. يجول صلاح بعينيه في المكان.. ناردين تسير بجواره في صمت.. ثم يتوقفان وينتظران شاكر في صمت إلى أن ينهي كلامه مع اللوحة قبل أن ينضم إليهما مرة أخرى وهو يحمل حقيبته.. كان هذا عندما تعالى صوت الطرْق من الطابق الثاني.. كأن أحدهم يدق برجله بقوة على الأرضية.. تبادل الثلاثة نظرات.. قال صلاح لناردين: هذا بالضبط ما حدث مع محمود..

- علينا أن نتبع الصوت..

- ربما يكون شركًا.. يجب ألا نكرر أفعالهم.. علينا أن نتعلم من أخطائهم..

يزداد صوت الطرق.. يتنهد صلاح ويصعد الثلاثة السلم.. ترتجف ناردين بقوة وهي على السلالم.. هنا أصاب الجنون أمجد على تلك السلام، وقتل محمود، وكاد يفتك بسلمى قبل أن تقتله رصاصة أحمد.. كانت تشعر بوجودهم النفسي في المكان وذكرياتهم.. سلمى وأحمد ومحمود وأمجد.. يتوقفون أمام غرفة مغلقه في الطابق



الثاني.. يتعالى صوت الطرق من الغرفة.. يرفع شاكر رأسه وينتفخ صدره في قوة وكبرياء قبل أن يضع حقيبته أرضًا ويخرج منها فأسًا صغيرًا..

- من أين جئت بفأس كهذا يا رجل؟

- محل أثريات..

- لكنك قلت إن علينا قتل الشيء بفأسه هو..

- لا أعتقد أنه علينا المخاطرة بكرم ضيافته الشيء في أن نطلب منه فأسه.. سنحاول بهذا الفأس..

كانت ناردين تنظر للباب في تركيز بينما صلاح يتبادل حديثه مع شاكر.. ترى.. أتلك هي الغرفة التي أتلف الاكتئاب فيها روح أيمن وانتحر.. تتذكر أخاها وهو مقيد على الفراش وتغمض عينيها في ألم.. يمد شاكر يده في قوة ويفتح الباب فيعيدها للواقع.

داخل الغرفة وجدوا رحاب عبدالعزيز مقيدة الأوصال تدق بقدمها بقوة على الأرض ودموعها تنهال على وجهها..

عندما رأت ناردين أمامها فتاة شعرها أزرق قصير نظرت تلقائيًّا في تعاطف لرد فعله.. رفع صلاح حاجبيه واندفع نحو الفتاة في عدم تصديق.. جثا على ركبتيه أمامها إزاء نظراتها الخائفة وظل يتحسسها ليدرك أنها



حقيقية وليست هلوسة من عقله كما هو المعتاد قبل أن يفك قيودها ويحتضنها في قوة وهو لا يكف عن ترديد: رحاب.. رحااب.. لقد بحثت عنك.. لقد بحثت عنك كثيرًا.. يا إلهي! أنا لا أصدق أنك أمامي الآن.. لا أصدق أنك حقيقية.. لقد بحثت كثيرًا في كل مكان.. والآن أشم رائحتك وألمس شعرك وأدرك أنك أمامي.. أنا لست مجنونًا.. أرأيتم.. أنا لست مجنونًا.

نظرت إليه رحاب في رعب في بادئ الأمر قبل أن تدفن رأسها في كتفه وتنهار بالبكاء.. تذكرت ناردين عندما دفنت سلمى رأسها في كتف أحمد وبكت.. غمغمت: كل شيء يتكرر.

....

حول مائدة الطعام يجلس شاكر وصلاح وناردين ورحاب.. ينظر الثلاثة لرحاب التي قالت لهم بصوت متهدج: الجحيم.. هذا ما كنت أنا فيه.. طيلة تلك الشهور وأنا أتساءل: هل سأحيا أم لا؟ أين والدي؟ ترى بم يشعر؟ الألم في جسدي كان بنفس قوة الألم في رأسي.. تدمى ذراعي ورسغي من القيود وتئن عظامي والجروح في جسدي تتزايد وأنا أبكي.. لم أفعل شيئًا سوى البكاء والتوسل في الأسابيع الأولى.. لا أعلم لماذا حدث كل هذا



لي.. كنت أقف أمام البحيرة عندما رأيت انعكاسه على سطح المياه.. يرتدي الأسمال السوداء والظلال تغطي رأسه.. هوى بشيء ما على مؤخرة رأسي فأظلمت الدنيا من حولي وعندما أفقت وجدت نفسي هنا.. مقيدة.. كان يحضر لي الطعام والماء بين حين وآخر.. لا أعلم لماذا أبقاني على قيد الحياة.. لم يمسسني ولم ينطق لي بحرف وهذا أصابني بالجنون.. كلما توسلت إليه أو حاولت التحدث معه كان ينظر لي في صمت ثم يرحل.. صوت ماء يقطر من ردائه دومًا كأنه مبلل.

غمغم شاكر مقاطعًا إياها: كأنه قادم من البحر؟

- نعم.. لا أعلم.. ربما.. كل ما أعرفه أنه كان يستمتع بالخوف والألم والقلق وهي تعتصر قلبي.

- لهذا أبقاك على قيد الحياة.. في حالتك أنت كان يصيبك بنوع مختلف من المشاعر.. ليس الشك والارتياب بل الألم واليأس.. تلك هي طريقته.. يفعل فعلة صغيرة تصيب كلًّا منا بشتى المشاعر المظلمة.. هو يعيش على انهيارنا النفسي ويتغذى على ذكرياتنا المؤلمة..

تتذكر ناردين أخاها.. كلا.. لن تتذكر.. لن تسمح للشيء بأن يتغذى على ذكرياتها.. تتابع رحاب: أرجوكم خذوني من هنا.



وضع صلاح يده على كتفها مطمْئنًا قبل أن يقول: لنرحلْ.

قطَّب شاكر جبينه قبل أن يهتف وقد احتقن وجهه في غضب: نرحل؟ لقد جئنا في مهمة محددة وهي قتل هذا اللعين.. نحن في مهمة تدمير وليس إنقاذ.

- أعلم أنك غاضب.. أنك تريد الانتقام.. ولكن انظر إليها.. بإمكاننا أن نفعل شيئًا آخر غير المعركة الآن.. إنقاذ تلك الفتاة.. ألا تفهم؟ الأمل.. كما في صندوق بندورا في الأسطورة القديمة.. تفتح بندورا الصندوق الذي أهدته إياها الآلة كنوع من الخديعة.. تخرج من الصندوق لأول مرة في عالم البشر كل الأرواح الشريرة.. الحقد والغضب والكراهية والجشع.. وهكذا يتلوث البشر.. تفزع بندورا فتغلق الصندوق قبل أن تخرج آخر روح من الصندوق.. الروح التي ظلت حبيسة بالداخل.. الأمل.

كانت ناردين هي التي تتحدث وهي تنظر لشاكر، وتابع صلاح على كلامها: الآلهة الشريرة أرادت الانتقام من البشر وراهنوا على فضول بندورا في فتح الصندوق.. والشيء يراهن على بقائنا.

- اسمعوني جيدًا.. رحيلنا الآن.. أتعتقدون أن حدوده في هذا المبنى فقط؟ أتعتقدون أنه سيتركنا وحالنا؟ لقد



أثبت التاريخ أن الشيء بإمكانه أن يتواجد في أي مكان.. ألم يزُرك في شقتك بالقاهرة يا رجل؟

- بلى.. ربما تكون محقًّا.. ولكن علي أن أنقذ رحاب.. عليك أن تفهم هذا يا شاكر..

كان صلاح يتكلم بحدة وهو يقوم ويجذب رحاب برفق لتقف مستندة على كتفه.. وقفت ناردين قبل أن تقول: لقد جئنا لمواجهته يا شاكر لكننا وجدنا شيئًا آخر.. فتاة بحاجة لمساعدتنا.. الغضب هو الذي يحركك الآن.. أرجوك فكر.. نحن بحاجة إليك.

تدمع عينا شاكر وهو ينظر إليهم قبل أن يغمغم وهو يرفع عينيه وينظر للوحة حبيبته على الحائط: أربعون عاما وأنا أبحث عنه.. اقتربت منه ناردين ووضعت يدها على كتفه في رفق ثم احتضنته وقالت: رحاب بحاجة إلينا.. بحاجة إليك.. انظر إليها..

نظر شاكر لبنية رحاب الهزيلة ووجهها الشاحب.. تنهد.. ثم قال بصوت حزين: لنرحل إذن.

يتجه الأربعة لباب الخروج من المبنى.. فور خروجهم أدركوا أن الشمس تغيب والظلام يكاد يحل عليهم.. يتجهون لسيارة ناردين.. السيارة المهشمة التي أتلف أحد إطاراتها.. فور رؤية ناردين للسيارة بتلك الحالة



أخرجت هاتفها المحمول في جزع ونظرت إليه قبل أن تقول: لا توجد شبكة.

نظر صلاح في هاتفه وصاح: تبًّا.

التصقت به رحاب في خوف وبدا الرضا على وجه شاكر.. إنه القدر.. قدرهم أن يواجهوا الشيء.. لن يتركهم يرحلون..

نظر الأربعة حولهم للشاطئ والعراء والمجهول قبل أن يعودوا للمبنى في صمت الذي احتواهم في ترحاب وكأنه يتوقع عودتهم..

اتجهوا دون اتفاق لمائدة الطعام الضخمة وجلسوا.

- كل شيء يتكرر.

قالت ناردين الجملة بوجوم.. ثم تابعت: لقد جئنا لمواجهته والآن نعود للخطة الأصلية.. انظروا لحالنا.. نحن في حالة صدمة وخوف.. علينا أن نتماسك..

غمغمت رحاب في شرود إليهم: لا يمكن أن ننجو منه..

- كلا.. قال صلاح الكلمة في تصميم وتابع: سننجو منه.. لنستخدم عقلنا و...

قاطعته ناردين في سخرية مريرة: لا تقلها.. لا تقل إن علينا أن نفكر لنفهم قبل أن نحل..



هز شاكر رأسه وقاطعهم: دعكم من أساليب التفكير الحديثة تلك التي تحاول وضع خطة ومَنطَقة كل شيء.

ولوَّح بالفأس الصغير في يده وبالمخطوطات القديمة في يده الأخرى وصاح: نحن هنا أيها الوغد.. تعال وواجهنا..

رفع صلاح حاجبيه وقال لناردين: ربما تفلح تلك الطريقة..

نظرت ناردين فجأة لصلاح وشاكر ورحاب.. كل شيء يتكرر.. ماذا لو أن الشيء لن يأتي.. ماذا لو أن الشيء واحد منهم بالفعل.. ماذا لو أن أحدهم مدعٍ.. نظر إليها صلاح ثم لشاكر.. انتابته نفس الفكرة.. أدركت ناردين هذا.. تبًّا.. الشك.. العزلة.. لقد بدأ الأمر من جديد..

الفصل الثالث عشر

المكان: مبنى الاتصالات.

الزمان: الواحدة صباحًا.

يعم الصمت داخل المبنى وتتحرك السحلية على رمال الشاطئ الناعمة بينما البحر يهيج بأمواجه خلفها.. يستلقي



القمر بكسل وسط السحب المظلمة التي تحميه من لامبالاة البشر.. تنظر السحلية للمبنى وينعكس الأخير على قدحتي عينيها العسليتين.. بالداخل تستلقي ناردين نصف متمددة على الأريكة في الصالة، أمامها تجلس رحاب ملتصقة بصلاح أمام مائدة الطعام الضخمة وعلى قائمة المنضدة يجلس شاكر، أمامه حقيبة أسلحته الحادة وفي يده فأسه.. تأخذ ناردين نفَسًا عميقًا غاضبًا وهي مستلقية على الأريكة.. لقد ظلوا في مكانهم لساعات طويلة وفي النهاية ساد بينهم الصمت، ولم يعد هناك شيء يقال.. ربما أفضل أنواع الكلام والتواصل هو الكلام الصامت الذي يدور بين مجموعة أفراد مرهقين.. لا يوجد كلام لملء فراغات ولا ادعاء ولا زيف ولا شيء من هذا القبيل.. لم يكن أحد منهم مضطرًّا لقول شيء، فقط صمت ثقيل ساد بينهم قال الكثير، أخذت ناردين نفَسًا آخر عميقًا، ما الذي كانوا ينتوون فعله حقًّا بمجيئهم هنا؟.. أكانوا يتوقعون أن يجدوا الشيء ويقتلوه ويخرجوا جميعًا وقت بزوغ الشمس ويسيروا معًا كأنهم في رواية لسومرست موم أو ستيفنسون، كلا لم يكتب موم عن الوحوش من قبل، إنها تهذي.. تبًّا.. طيلة الوقت هم يعتقدون أنهم يسيرون وفقًا لخطتهم الخاصة، وأنهم مسئولون عن أفعالهم وقراراتهم،



لكنهم كانوا يسيرون في الشرَك الخاص بالشيء دون أن يدروا.. هو يسخر منهم بكل بساطة.. أم أن ما هم فيه الآن ليس شركًا ولا خدعة من الشيء.. ربما تلك خطة دفاعية منه فحسب وليس شركًا.. ربما هم باغتوه والمعركة تدور حقًّا، لو كان هذا حقيقيًّا فلماذا جميعهم جالسون في صمت يائس؟ لا يوجد أمامهم إلا أن يجلسوا معًا دون أن يتفرقوا وينتظروا ظهور الشيء، إلا أنها تعلم أن هذا لن يحدث غالبًا، هو لن يظهر لهم.. هذا ليس أسلوبه.. غالبًا هو واحد منهم بالفعل.. جالت عيناها في الجالسين أمامها.. صلاح، ماذا لو كنت أنت الشيء؟ جئتَ إليَّ متنكرًا لتجرني في ألاعيبك العقلية.. هذا هو أسلوبك أليس كذلك؟ كل شخصية بالنسبة إليك لها مدخل ولها مفتاح.. شاكر عاشق فتأخذ حبيبته منه.. أيمن وحيد فتجعله ينتحر.. سلمى تعاني العزلة فيصيبها الشك.. أمجد ساخر لحد الجنون فتدفعه أنت للحافة، وأنا؟ الكاتبة ذات الخيال الخصب.. فتأتي أنت إليَّ بحكاية خصبة ورائعة تسحر خيالي وتراهن على روح المغامرة بداخلي، هل أنت الشيء يا صلاح؟ هل كل ما قلته لي أكذوبة كبيرة.. أم أنه أنت يا شاكر.. العجوز الذي يقضي عمره في البحث عمن أخذ منه حبيبته.. الرسام الذي خلد فتاته في لوحة.. بعزيمتك في الانتقام وإرادتك



وأسلحتك ومخطوطاتك.. هل أنت الشيء؟ وتكون تلك الخدعة الكبرى.. ينتحل الشيء شخصية قاتله.. أم أنه أنتِ يا صغيرتي ذات الشعر الأزرق القصير.. ترتكز عينا ناردين على رحاب بينما أفكارها تنساب بنعومة في دهاليز عقلها.. هل أنتِ الشيء يا رحاب؟.. الضحية المثالية هي في الحقيقة القاتل؟.. كيف بقيتِ على قيد الحياة طيلة هذا الوقت؟ بجسدك الهزيل وعينيك الشاحبتين ووجهك المصدوم.. هل كل هذا تمثيل؟ أحدكم يمثل.. أنا أعلم أني لست الشيء.. تتنهد ناردين.. كلا، يجب ألا يصيبها الشك، هذا هو سلاحه.. تذكرت أخاها.. الشيء يتغذى على ذكرياتهم.. الذكريات التي تداهمك في ليالي الشتاء القاسية، الذكريات التي تعصر قلبك حزنًا وتثقل حركتك، لن تسمح للشيء بأن يتغذى على ذكرياتها.. نعم أيها الوغد أخي كان مدمنًا.. وتلك هي مشكلته وليست مشكلتي.. نعم والدي رحل وتركنا وهذه فعلته وليست فعلتي أنا.. أنا لست ضحية ولن أشعر بالألم وتأنيب الضمير لأفعال الآخرين.. اذهب عني.. الذكريات سلعه مهمة للغاية.. في خزانة صاحبها فقط أيها الوغد.. اخرج من عقلي.. لن أشك بهم.. تأخذ ناردين نفسًا آخر قويًّا.. ماذا لو كان عليها أن تشك بهم؟ ماذا لو أن أحدهم الشيء فعلًا؟ تجول بعينيها بينهم



مرة أخرى.. صلاح كان ينظر لناردين.. يفكر في هدوء.. ساعات طويلة مرت.. تحدثوا كثيرًا واستقروا في النهاية أن عليهم انتظار الصباح معًا دون أن يتفرقوا.. لن يناموا، سيظلون مستيقظين منتظرين قدومه، ماذا لو كان بينهم بالفعل؟.. صلاح يعلم أن الشيء ليس ناردين؛ لأنه هو الذي ذهب إليها وطلب مساعدتها.. هو يعلم أن احتمالية هوية الشيء تنقسم مناصفة بين رحاب وشاكر.. حقيقة أنهما هما أيضًا من ذهبا وطلبا مساعدة شاكر ولكن الأمر مختلف مع الرسام مرهف الحس؛ فهو كان متورطًا في القضية في بادئ الأمر.. منذ أربعين عامًا في الواقع.. مشاعر صلاح وعاطفته تقولان له إن رحاب هي رحاب وليست الشيء، لكن عقله يقسم الاحتمالية بينها وبين شاكر.. عاد بناظريه لناردين.. هو يعلم ما تفكر فيه الفتاة، وهو يحترم عقلها، غالبًا كانت تحلل احتمالية أن الشيء بينهم، وتتخيل كل واحد منهم في هوية عدوهم.. لا يلومها لو شكت فيه؛ فهو الذي جرها لهذا الكابوس.. لعلها توقعت أنه الشيء، وأن كل ما يحدث لعبة عقلية رائعة هو مدبرها.. وطبعًا توقعت أن رحاب ليست ضحية بل الشيء في أقوى أدواره، وربما توقعت أن شاكر ليس عجوزًا غاضبًا على الإطلاق، الشك قد انساب بينهم بالفعل ولا



مخرج منه الآن، زفرت ناردين، عليهم أن يقاوموا.. لقد جاءوا هنا للقضاء على الشيء، هم ليسوا ضحايا، هم يتوقعون مقاومة منه.. لن ينظر إليهم في دهشة بالتأكيد ويتوسل إليهم أن يُبقوا على حياته فيتلو شاكر تعويذة ويرميه برمح أو بفأس.. غالبًا فأس شاكر، لا يمتلك رمحًا في حقيبة العجائب تلك التي يحملها، شاكر كان يتصبب عرقًا وهو جالس والغضب والتصميم لا يزالان باديين على وجهه ذي التجاعيد، قلبه العجوز يحاول التماسك، سيواصل النبض، كل هذا الانفعال يرهقه لكنه لن يصاب بنوبة قلبية لعينة ويموت الآن، إرادته ستمنعه من هذا، عليه أن يظل حيًّا لساعات محدودة أخرى على الأقل، أربعين عامًا قضاها بحثًا عن الشيء لن تضيع هباء الآن، لن تضيع عبثًا، نظر بطرف عينه إلى لوحة سيدة البحر، إلى لوحة حبيبته، ناردين كانت تنظر إليه، الرغبة في الانتقام والثأر، ثم نظرت لصلاح في تعاطف ورحاب بجواره، الشعور بالمسئولية، صلاح وحيد ومدخل شخصيته بالنسبة للشيء كان هوسه برحاب، رحاب كانت شاردة تتقمص تفكير شخصيتها الحالية، وهي جالسة ملتصقة بصلاح، هي لا تعلم من هو لكنها أدركت بفطرتها أنه أكثرهم اهتمامًا بها، يهتم بها لدرجة الجنون، ومستعد



أن يفعل أي شيء من أجل إنقاذها، لا تعلم لماذا، ولم تسأل عن السبب، على الأقل هناك من يهتم بها وسط كل تلك الفوضى اللامنطقية التي عمت حياتها فجأة، تتذكر رحاب تلك الليلة وهي واقفة أمام البحيرة وحيدة تفكر، شعرها الأزرق ينعكس على سطح المياه ويتموج مع ضوء القمر، تراه واقفًا خلفها وتشعر بأنفاسه على عنقها، ترتجف الفتاة وهي تتذكر أيامها وهي أسيرة الشيء، تشعر أنها مرت بدورتَي حياة وليس دورة حياة واحدة، حياتها مع والدها وأصدقائها ودراستها وتنقلاتها المستمرة من مكان لآخر، وحياتها الأخرى في هذا المبنى وهي أسيرة هذا الرجل ذي الأسمال السوداء، هذا الرجل الذي لم ترَ وجهه قط ويدعوه منقذوها بالشيء... منقذوها؟ هم في حال ليس أقل سوءًا منها الآن، محبوسون معها في نفس المبنى اللعين.. هي لم تفهم كلامهم عن كون هذا الشيء واحدًا منهم.. ولم يجبهم أحد عندما سألتهم عن والدها، أين هو؟ لماذا لم يأتِ معهم؟.. حقيقة أن علاقتها معه لم تكن دومًا مستقرة، خصوصًا مع زواجه المستمر من هؤلاء المدعيات اللاتي كن يحاولن دومًا أن يحللن مكان والدتها التي لم ترها رحاب قط، ولكنها تعلم أنه يهتم بها ويحبها، وبالتأكيد سيبحث عنها، أين هو؟.. التصقت رحاب بصلاح أكثر،



بحدس الأنثى – لو كانت لا تزال تمتلكه بعد ما مرت به – هي تعلم أنه يحبها بطريقته الغريبة تلك، لم تعلم لماذا ولم تهتم.. كانت تشعر معه بالأمان، شاكر كان يتمتم بكلمات غير مفهومة وهو جالس، لاحظته ناردين.. لا بد أنه يكلم حبيبته ويتأسف لها لفشله في إنقاذها.. لا بد أنه فعل هذا كثيرًا في ليالي عانى فيها من الأرق، تنهد صلاح وهو جالس.. يا لكل هذا الصمت! ليت أحدًا يقول أي شيء.. ولكن الصمت أكثر صدقًا من الكلام في حالتهم تلك.. رفعت ناردين رأسها لأعلى وأغمضت عينيها، هل الشيء يراهم الآن؟.. يتلذذ في سخرية بحيرتهم وشكهم؟ لا تعلم، هي تعلم فحسب أن كثرة التفكير دون أي فعل مع كل هذا الصمت ستصيبهم بالجنون..

- تبًّا لكم جميعًا!

جاءت الجملة فجأة لتقطع الصمت الذي استمر لساعات..

- تبًّا لكم جميعًا!

يتبادل الجميع النظرات ثم ينظرون لمصدر الصوت.. لشاكر الذي قام من جلسته وهو يحمل الفأس في يده وكرر للمرة الثالثة.. في المرة الأولى قالها همسًا.. في المرة الثانية تعالى صوته.. الآن كان يصيح في غضب والرذاذ



يتطاير من فمه: تبًّا لكم جميعًا أيها الملاعين! سأقتلكم جميعًا، كلكم الشيء.. من قال إن الشيء يجب أن يكون شخصًا واحدًا؟ كلكم الشيء.. لن تنجحوا في خداعي.. سأقتلكم جميعًا.

في رعب هتفت ناردين: تمامًا مثلما حدث مع أمجد.. يا إلهي الرحيم! تمامًا مثلما حدث مع أمجد.. لقد كان يراهن على من منا سينهار أولًا إثر الضغط العصبي.

انتبه إليها شاكر عند سماع صوتها فاتجه إليها والفأس في يده وهو يكرر: سأقتلكم جميعًا..

اندفع صلاح تجاهه فهوى شاكر بالفأس لينغرز بين عظام كتف الأول الذي صرخ في ألم.. تراجعت رحاب للوراء في ذعر لتتعثر وتسقط أرضًا وهي تبكي.. ضحك شاكر في وحشية وهو ينتزع الفأس من كتف صلاح ويتجه صوب رحاب وهو يصيح: لن تخدعيني أيتها الساقطة.

هرعت ناردين لرحاب وجذبتها من ذراعها بقوة لتقوم الفتاة في نفس اللحظة التي هوى فيها فأس شاكر ليضرب الفراغ على الأرض مكانها.

- من حسن الحظ أنك خفيفة الوزن..

هتفت ناردين بالعبارة وهي تجذب رحاب بعيدًا ثم

نظرت لصلاح الذي تجاهل الألم الساحق في ذراعه ودماءه التي تتساءل في هلع عن سبب خروجها للعالم الخارجي.. تجاهل صلاح كل هذا وانقض على شاكر وهو يصيح في غضب: أيها العجوز المجنون..

التفت إليه شاكر وغرز مُدية حادة - كان يمسكها في قبضة يده الأخرى – في جدار معدة صلاح الذي تأوه في ألم.. في نفس اللحظة كانت ذراع شاكر الأخرى ترتفع لأعلى استعدادًا كي يهوي على عنق صلاح.. « كفي أرجوووووك».. صرخت ناردين بالعبارة وهي تندفع تجاهه لتدفعه بعيدًا بكل قوتها فيسقط شاكر أرضًا، يهوي صلاح أرضًا في الآن ذاته، لا تعلم ناردين أهي قوة الغضب أم الجنون أم قوة الشيء، ولكن شاكر يعتدل واقفًا مرة أخرى وهو يلوح بالفأس في جنون، يصيح صلاح من موضعه لناردين ومشيرًا لرحاب: اهربي.. خذيها واهربي..

تنظر إليه ناردين في تردد بينما شاكر يقترب منها، ثم تلتفت وتأخذ رحاب وتعدوان بعيدًا.. تنعطفان معًا مبتعدتين عن الصالة.. ثم تتوقفان فجأة عن العدْو بعدما ابتعدتا نسبيًّا عن شاكر، تسأل رحاب ناردين في خوف وهي تلهث: لماذا توقفتِ؟



تجيبها ناردين في تصميم وهي تجاهد لالتقاط نفَسها: صلاح.. علينا أن نشتته عن صلاح.. لن نتركه لهذا الوغد..

ثم صاحت: نحن هنا أيها الوغد العجوز.. أنا الشيء وقد قتلت فتاتك.. تعالَ..

- أنتِ مجنونة..

- لا بد أن ننقذ صلاح..

واقفًا أمام صلاح والفأس في يده يرفع شاكر رأسه عندما يسمع صياح ناردين فيزمجر ويلتفت متجهًا لمصدر الصوت.. يئن صلاح في ألم ويرفع رأسه في ألم.. يحاول أن يقول أي شيء لكن الألم يمنعه.. يعود برأسه للوراء ويرخي جسده تمامًا ويغمض عينيه..

يتجه شاكر بسرعة لمصدر الصوت..

تلتصق رحاب بذراع ناردين في خوف وهي تسأل: والآن ماذا سنفعل؟

- ما ولدنا من أجله يا فتاة.. سنقاتل.

الفصل الرابع عشر

عندما وصل شاكر للردهة الجانبية وجدها خالية



فوقف يلهث ويزأر في غضب.. سار ببطء وتوجس وهو يقبض على الفأس الملوث بدماء صلاح بين يديه، أربعين عامًا يبحث عن الشيء، يتذكر حبيبته، إنها لحظة المواجهة، لحظة الحقيقة، يتزايد الانفعال في جسده ويتدفق الأدرينالين أكثر ليزيد من نشاطه، ثم وجد رحاب أمامه، منزوية على نفسها في الركن ترتجف وتحيط وجهها بذراعيها، يبتسم شاكر في تشفٍّ ويتجه إليها واللعاب يسيل من فمه، يغمغم: لن تخدعيني مرة أخرى.. يقترب منها أكثر فتظهر ناردين من خلفه حيثما كانت تختبئ وهي تحمل مطفأة حريق بين ذراعيها.. ترفعها لأعلى بكل قوة.. يلمح شاكر ظل ناردين وراءه وهي تحمل شيئًا ضخمًا وتستعد لتهوي به على رأسه فيرتسم الغضب على وجهه ويلتفت للوراء مسرعًا، تصرخ ناردين وتهوي بمطفأة الحريق على وجهه بكل قوة.. ترتد المطفأة عن وجه شاكر الذي صاح في ألم وظل واقفًا مكانه، تسقط المطفأة أرضًا محدثة صوتًا معدنيًّا غريبًا، ثم يسود الصمت، تظل ناردين واقفة أمام شاكر الذي ثبت في مكانه، ينظر إليها في صمت، في تركيز.. قبل أن تسيل الدماء من فروة رأسه لتغرق وجهه.. تزوغ عيناه ويسقط أرضًا، تنظر رحاب بغير تصديق لما حدث ثم ترفع



رأسها لناردين وتهتف: خطتك نجحت.. تومئ ناردين برأسها في حزن وهي تنظر لشاكر.. هو ضحية جديدة للشيء، ضحية جديدة للشك والانهيار، للاكتئاب اللعين.. تلتفت ناردين لرحاب وتأخذها بين ذراعيها عائدتين لصلاح مسرعتين.. فتح صلاح عينيه.. تبًّا! لن يفقد الوعي الآن.. هو لم يقض كل هذا الوقت في تلك القضية اللعينة يبحث كالمحموم عن سيدة البحيرة وعن الأسرار التي تلاحقها ليفقد وعيه الآن وتفوته المواجهة الأخيرة.. أهي المواجهة الأخيرة حقًّا؟.. حسنًا.. لن يعلم وهو مستلقٍ على الأرض ينزف كالخرفان.. عليه أن يقوم.. هيا يا فتى.. كذا قال لنفسه مفكرًا.. أنت شاب رياضي وكل شيء.. حقيقة أنك تلقيت ضربة لا بأس بها بفأس أثري في لوح كتفك، وغرز عجوز في العقد السابع من عمره مُدية في معدتك.. لكن هذا لا شيء بالنسبة لفتى قوي مثلك.. هيا قاوم بالله عليك.. لنرى إن كنت ستفعل شيئًا حقًّا صعبًا.. مثل الاعتدال من الجلسة اللعينة تلك.. حاول صلاح تحريك ذراعه فصرخ في ألم وهتف: تبًّا.. ثم التقطته ذراع فجأة فنظر أمامه.. رحاب.. رحاب الرائعة بشعرها الأزرق قد عادت إليه.. تلتقط ذراعه وتساعده على الوقوف، أنفاسها تلفح وجهه، يشعر بطاقته تعود



إليه..

تهمس إليه: لا يوجد سواك أثق به.. ناردين هي الشيء..

ينظر صلاح لرحاب مشدوهًا..

في ذات اللحظة كانت ناردين ورحاب تسيران معًا مسرعتين إلى حيث كان صلاح..

وبطريقة عبدالعزيز السلدان السينمائية في عرض السيناريو: تنقسم الشاشة لنصفين.. على يسار الشاشة نرى صلاح يقف مستندًا على ذراع رحاب والأخيرة تقول له إن ناردين هي الشيء، وإنها قد تحولت عندما كانتا معًا، وإنها قتلت شاكر..

على يمين الشاشة نرى رحاب وناردين تصلان لمدخل الصالة وتهمان بدخولها..

....

لوهلة لم تستوعب ناردين ما يحدث عندما رأت صلاح أمامها وبجواره رحاب، اعتقدت أنه الإرهاق أو حقيقة أنها قتلت رجلًا للمرة الأولى في حياتها منذ دقائق، ربما هو الارتباك أو الصدمة، لكن لا تقل لي من فضلك إن رحاب تقف بجوار صلاح في تلك اللحظة؛ لأن رحاب تتأبط ذراعها في تلك الثانية، صلاح استوعب الأمر



بسرعة، ناردين أمامه ورحاب بجوارها، رحاب بجواره.. لا يعتقد أن حبه للفتاة وحماسته لها جعلتها تتجسد أمامه مرتين، ظل يبحث عنها كالمحموم وفي النهاية يجدها اثنتين وليست واحدة، وأليست الحياة رائعة؟ ابتعدت ناردين عن رحاب المجاورة لها في رد فعل تلقائي، وابتعد صلاح عن رحاب المجاورة له في رد فعل تلقائي، صاحت ناردين: الشيء حقيقي.. تلك هي لحظة الحقيقة.. هذا ليس وهمًا.. ونظرت لصلاح وصاحت مكملة: كل المنطق.. كل محاولاتنا للفهم العقلاني هي محاولات أناس خُرْق لا ينظرون سوى أسفل أقدامهم.. الشيء حقيقي.. أتسمعني؟

صلاح كان ينظر لرحاب قبل أن ينظر لرحاب! عليه أن يتبع حدسه، أن يدرك من منهما الحقيقية؟ عليه أن يعرف، لقد قضى ليالي ينظر لصورها ويتخيل حياتها ويشعر بشخصيتها، ما الذي يضحكها وما الذي يبكيها، رائحة شعرها، ابتسامتها، نوبات غضبها مع زوجات والدها، هروبها لأصدقائها.. ظل يتخيل حياتها بأكملها وكل المواقف التي قادتها لهذا اليوم الذي وقفت فيه أمام البحيرة، لن يضيع كل هذا هباء.. لا بد أن يساعده حدسه في تحديد من هي رحاب الحقيقية، تنظر رحاب الواقفة



بجوار ناردين لرحاب الأخرى وتصرخ: يا إلهي!

تجيبها رحاب وعيناها تتسعان رعبًا: يا للهول!

تصرخ رحاب وهي تقترب من صلاح لتحتمي به: أنا رحاب.. اقتلوا هذا المسخ.. اقتلوه..

تنظر رحاب لناردين متوسلة وتهتف: أرجوكِ لا تصدقيها، أنا رحاب..

يزداد الألم في كتف صلاح وينتابه الدوار، هيا يا رجل، احتفظ بوعيك واتبع حدسك، من الحقيقية؟.. عينا ناردين تتقدان بشرارة، عقلها لا يكف عن التفكير، الأبواب المغلقة في عقلها تنطلق في كل صوب كمكابح قطار غاضب، صلاح ينظر لرحاب المجاورة لها، يسترجع في عقله كل التفاصيل، صورها مع والدها وهي تقف مبتسمة، فستانها، شعرها، عيوناتها، يتقرب صلاح من رحاب المجاورة له ويتظاهر باحتضانها في رفق وهو يقول: أعلم أنها أنتِ.. في نفس اللحظة تبكي رحاب الأخرى وتهتف: كلا.. يمد صلاح يده ويضعها على شعر رحاب، لا يرى بين خصلات شعرها سوى اللون الأزرق، لا توجد خصلات سوداء، يرتجف، هذا ليس شعرًا مصبوغًا، تتابعه ناردين في تركيز وتفهم ما يفعله، تنظر بطرف عينها لرحاب الأخرى.. تقترب منها



وتتفحص بعين الأنثى الخبيرة فروة رأسها من على بعد، ترى الخصلات السوداء، هذا شعر مصبوغ، كيف أعرف أني بشر أم تقليد؟ التفاصيل.. التفاصيل هي كل شيء.. نظرت ناردين بعين متسائلة عن رحاب التي بجواره.. ابتهج صلاح لأن ناردين فهمت ما يفعله، هز رأسه لها أنْ لا، همست ناردين لرحاب المجاورة لها في رعب وعيناها تحدقان في رحاب الواقفة بجوار صلاح: لنتراجع.. لنتراجع..

رحاب المجاورة لصلاح كانت تتابعهم قبل أن يتغير تعبير وجهها، تتراجع للخف ليبتلع الظلام وجهها وجسدها، تصرخ ناردين: صلاح لا تتركه يرحل.. يحاول صلاح الاتجاه نحو رحاب فتواتيه صرخة عاتية قبل أن تدفعه يداها من الظلام بقوة عاتية للخلف فيطير الفتى مترين للوراء قبل أن يسقط أرضًا، كل ما رأته ناردين هو عينان حمراوان تتقدان في الظلام، ثم ظهرت لهم رحاب مرة أخرى، إلا أنها لم تعد رحاب، صلاح كان يزحف للوراء وهو يئن محاولًا وقف تدفق الدماء من كتفه، يتراجع مقتربًا من ناردين ورحاب.. أمامهم كانت رحاب الأخرى ترتجف وهي واقفة في مكانها كأن الشياطين بداخلها تتصارع للخروج، يتقشر جلدها ويتساقط عنها



وهي تفتح فمها ليطلق صوتًا عميقًا صادمًا لا يمكنه أن يخرج من فتاة، تمسك ناردين أذنيها في ألم، عينا رحاب أصبحتا مجرد تجويف فارغ، ترتفع ذراع الشيء وهي تشير إليهم، يقول صلاح مشدوهًا: إنه يتحول.. يتساقط الجلد عن الكائن ويزداد طوله، يرون أمامهم كتلة من الدماء كأن أمامهم قردًا عملاقًا سلخه أحد، تصرخ رحاب وتقول ناردين وهي تتذكر كلمات الزاحف على الرمال: الهول بعينه، الآن كان يقف أمامهم رجل فارع القامة عاري الجذع، طويل اللحية والشعر، جسده قوي وشديد الضخامة كأنه أحد الأسلاف، كأنه رجل الكهف، ينظر إليهم في هدوء قبل أن يأتيهم صوته الذي بدا أنه قادم من عالم آخر: أنتم أيها الفانون تعتقدون أن بإمكانكم مواجهتي أنا، أنا هنا منذ أن بدأ كل شيء، طيلة تلك القرون، أفتك بكم واحدًا تلو آخر، بضعفكم وأرواحكم الهشة، وأنتم تعتقدون بغروركم الأحمق أنكم تستطيعون مواجهتي، اليوم أذيقكم الويل بعينه.

تصرخ ناردين في غضب: أنت منبوذ، شيطان وحيد حاقد..

- أنا الذي رأيت ما في بطون الأمهات، وشاهدت الأمم تقوم وتسقط أمام عيني، أنا الذي كنت هناك فيما



تطلقون عليه أنتم التاريخ، تدعونني بالمنبوذ، سأسحقكم جميعًا..

يتراجع الشيء للوراء ويبتلعه الظلام.. لا تطلب ناردين من صلاح أن يلحقه.. تظل مكانها وهي تلهث، لقد تغير كل شيء الآن، وجهة نظرها عن العالم كله قد تغيرت.. صلاح كان يلهث في مكانه على الأرض ورحاب تبكي في صمت..

....

لثوانٍ بدا لناردين أن العالم والمحيطات من حولهم قد تجمدت، الوقت قد وقف والهواء تصلب، يا للهول! لقد واجهوا للتو كائنًا شيطانيًّا عتيقًا انتحل شخصية أحدهم، واجهوا مصدر الاكتئاب وكل الشرور، قلبها كان يقفز كفأر بين أنياب قط، صلاح كان يجاهد لالتقاط أنفاسه.. يجاهد كي يظل حيًّا، رحاب كانت صامتة في حالة صدمة.. ثلاثتهم يشعرون وكأن شيئًا ما قد مس أرواحهم، قطار غاضب ممتلئ بشحم متلوث قد أطاح بما بداخلهم وانتشر شحمه في أعماقهم، توقفت ناردين عن أفكارها.. شحم؟.. كالشحم الذي كان فوق صلاح عندما زارها أول مرة، من أين جاء بالشحم؟.. آه، إن عقلها يكاد ينفجر، وبالرغم من هذا هي تشعر بالهدوء.. هذا الهدوء



المصاحب للإرهاق الذي يصيب روحك بعد يوم حافل بالأحداث، أو بعد مواجهتك لكائن شيطاني، ينشر الألم والبؤس حوله في كل صوب، صلاح يئن ألمًا وهو لا يزال يحاول الاحتفاظ بوعيه، نقترب من رأسه وندلف لعقله لنرى أفكاره.. كلا، علي أن أظل مستيقظًا.. يجب أن أحميهم، تنظر له ناردين في هدوء يائس بينما تبدأ رحاب في النحيب بصمت، تنظر لها ناردين وكأن بكاء رحاب كان علامة لتنبيهها أنها يجب أن تكون قوية، تجفف ناردين دموعها وتحاول أن تقول شيئًا.. أي شيء.. هيا يا فتاة، عليكِ أن تفكري، استخدمي عقلك، جسدك، أي شيء.. لكن لا تجلسي في استسلام كضحية لعينة منتظرة قدومه مرة أخرى، تنظر بطرف عينها إلى الفراغ المظلم حيث اختفى الشيء، أسيعود الآن؟.. لماذا ذهب؟، تبًّا! لن يجلسوا هكذا كالفراخ الحبيسة في مزرعة بانتظار الفلاح البدين كي يأتي إليهم، عليهم أن يفعلوا شيئًا..

- علينا أن نفعل شيئًا..

قالت ناردين العبارة بصوت واهن وخُيل لصلاح أنه سمع شيئًا فحاول أن يقول بينما الرؤية تزوغ من حوله، والدوار يكتنف رأسه: ماذا؟

- علينا أن نفعل شيئًا..



نظرت رحاب لناردين في نوع من الأمل وقالت: ماذا؟

ساد الصمت وأطلقت ناردين سِبابًا.. لا تعرف ما الذي يجب فعله، ولكن السباب أعاد لها جزءًا من طاقتها نوعًا ما، الغضب بداخلها يحاول أن يعبر عن نفسه، أطلقت ناردين سبابًا آخر وشعرت بطاقتها تتزايد، بدأت الفتاة تسب دون توقف، ونظر لها صلاح وقال رغم ألمه: لم أكن أعلم أن لسانك بذيء هكذا..

- لنتحركْ من هنا.. تلك أول خطوة.. لنغيرْ مكاننا.. لنذهب لمكان غير تلك الصالة اللعينة.. في مذكرات سلمى كانت مائدة الطعام هي قاعة اجتماعاتهم وقد فعلنا مثلهم.. لا أعلم إن كان لا وعينا تأثر بهم أم أنه تأثير المبنى اللعين أم ماذا، ولكن علينا أن نتصرف على خلافهم، لنغير مكاننا ولنفعل ما فشلت سلمى وأحمد في فعله.. لنفكر ونفهم قبل أن نحل..

- نفكر في ماذا؟ لقد فهمنا كل شيء..

- لا تزال هناك بعض التفاصيل التي لا أفهمها..

- أترين أن هذا وقت فهم تفاصيل؟ نحن نواجه شيطانًا.. لا يوجد منطق يا ناردين.. لقد جئت إليك بحثًا عن تفسير، وقد وجدنا معًا، ولكن لا يوجد تفسير



والتفاصيل لن تهم الآن..

تتنهد ناردين وتجيب صلاح: ربما تكون محقًّا، ولكني أريد أن أفكر.. لو سأموت الآن على يد هذا الوغد فعلى الأقل سأموت وعقلي لا يشعر بالتناقض، ألا تفهم؟ هناك حقًّا بعض التفاصيل المتناقضة.. أشياء أعتقد أننا لو فكرنا فيها.. لا أعلم.. لا أعلم ما الذي سيحدث، لنغير مكاننا فقط ونفكر..

قالت العبارة بصوت باكٍ وغاضب في نفس الوقت فأومأ لها صلاح موافقًا قبل أن يتكئ على ذراعه السليمة ويصيح في ألم وهو يحاول أن يقوم..

- حاول أن تسب.. فقط حاول أن تسب ولا تسخر مني.. السباب سيساعدك..

- ها؟

- فقط أطلق سبابًا..

أطلق صلاح سيلًا من السباب وهو يقف قبل أن يقول: لم يساعدني على الإطلاق..

- إذن المشكلة فيَّ أنا..

- ماذا تقصدين؟

- لا شيء..

كانت ناردين تلوح بذراعها عندما قاطعها صلاح فجأة



في لوعة: أين رحاب؟

يتلفت الاثنان حولهما.. يصيح كلاهما باسم الفتاة ويبحثان عنها بقدر استطاعتهما.. رحاب لم تعد هناك.. لقد اختفت مرة أخرى.. يهتف صلاح: أيها الوغد اللعيييين..

تضع ناردين يدها على كتفه وتهمس: لنرحلْ..

يسير الاثنان بوهن وصلاح متكئ على ناردين.. يتجهان لباب الخروج من المبنى.. كلاهما يفكر في الشيء ذاته.. هل سيهاجمهم الشيء الآن؟ أم أنه سينتظر ليلعب بأعصابهم أكثر.. يشعران وكأن مؤخرات أعناقهم هي نقطة ضعفهم وكأنه سيهاجمهم من الخلف.. ينتصب الشعر على أذرعهم.. لكنهم لا ينظرون للوراء.. وتخرج ناردين وصلاح من المبنى، يتهاوى صلاح على رمال الشاطئ وتجلس بجواره ناردين.. لا يوجد مفر ولا مكان يذهبان إليه ولكن على الأقل هم أمام البحر.

....

داخل المبنى فتح شاكر عينيه بوهن وهو في مرقده غارق في دمائه بعد أن هجره الجميع، يرى أمامه الرجل ذا الأسمال السوداء فارع القامة، الظلال تغطي وجهه بسبب ردائه الأسود، الكائن، الشيء.. ينحني الشيء ويضع يده على وجه شاكر في رفق ثم يرفع يده الأخرى



ويلتمع بها النصل الحاد، يقرب النصل من عنق شاكر، لوهلة لم يفهم شاكر ما حدث، أراد أن يقول أي شيء، أن يسب الشيء، لكن الألم الحارق الذي تسلل لكتفه في بادئ الأمر وسرى في باقي جسده الذي بدأ في الانتفاض والارتجاف منعه من هذا، يبدأ شاكر في الحشرجة والدماء تنبثق من فمه بينما الشيء ينحر عنقه.

ثم ترك الشيء النصل في عنق شاكر الذي لا يزال يشهق جاحظ العينين وهو يجاهد لالتقاط أنفاسه، ولكن دماء بلعومه التي خانته وهربت للخارج منعته من ذلك، يضع الشيء إصبعيه فوق عيني الشاكر الجاحظتين ويغرزهما ببطء، ينتفض جسد شاكر أكثر إلى أن تخترق أصابع الشيء مخه بعدما مرت بتجويف عينيه فتهمد حركته تمامًا.

....

يتكئ صلاح على كتف ناردين التي جلست بجواره في هدوء وشعرها يتطاير مع رياح البحر فوق رأسه، لثوان شعر صلاح أن هذا يجعله يشعر بالتحسن، تغمغم ناردين وهي تنظر للبحر:

- اسأل رفيقك أين طريق النجاة؟

- ماذا؟



- تلك هي الإجابة للحكاية التي ذكرتها سلمى في مذكراتها، التائه في الغابة المسحورة ذات طريقي الهلاك والنجاة، يسأل سؤالًا واحدًا وأمامه اثنان من قاطني الغابة، أحدهما صادق والآخر كاذب، لكنه لا يعرف من، يسأل عابر السبيل أحدهما عشوائيًّا، لو أنت الصادق قل لي أين طريق النجاة، لو وجَّه السؤال للكذاب فسوف يسأل الصادق قبل أن يغير إجابته والعكس صحيح.. منطق الحكاية ببساطة هو النجاة باستخدام عقلك.. علينا أن نستخدم عقلنا يا صلاح..

- وفيم سيفيد هذا الآن ونحن نواجه هذا الملعون؟

- الأمل..

- لا يوجد أمل..

- إذن فهو انتصر..

- صلاح.. اسمعني..

- كلا اسمعيني أنتِ.. لقد فشل كل من أحمد وسلمى فيما نحاول فعله الآن.. التفكير المنطقي الممنهج لن يفيد في مواجهة الشيء..

- أنا لست سلمى وأنت لست أحمد.. أنا كاتبة وأنت محقق.. لنستخدم مخيلتنا للمرة الأخيرة.. أنت جئت إليَّ كي أساعدك والآن دعني أحاول..



نظر إليها صلاح في تركيز ثم قال فجأة: أنا آسف..

- علام؟

- لأني اقتحمت شقتك في منتصف الليل وقيدتك.. آسف لأني جررتك في تلك المسألة..

- اعتذارك مقبول للجزء الأول.. الجزء الثاني أنا صاحبة قراراتي.. حقيقي أني لم أقرر أن تقيدني في شقتي ولكني قررت المجيء إلى هنا.. كما أن بعض الصداقات لها بدايات غريبة..

- نحن أصدقاء؟

- لا أهتم بشأن التعريف.. أنا بلا أصدقاء تقريبًا مثلك.. ولكن بعد كل ما مررنا به معًا.. أعتقد أننا سنصبح صديقين رائعين.. نخرج معًا ونأكل ونغيب في البشر وكل شيء..

ابتسم صلاح وبادلته ناردين ابتسامة مرهقة قبل أن تقول: ولكن لإنقاذ صداقتنا علينا أن نفعل شيئًا بخصوص مأزقنا الحالي..

أشار لها صلاح بطريقة مسرحية وقال باسمًا رغم ألمه: تفضلي يا فندم..

تعود ناردين بعينيها للبحر وتقول: لنفكر.. للمرة الأخيرة.. سأفكر بنفس الطريقة التي أكتب بها، أطلق



العنان لعقلي وأجلس وأكتب دون خطة محددة وأكتشف ما الذي سيحدث للشخصيات والحكبة معهم.. ها هو ذا البحر أمامي الآن، هناك شيء ما أتى من أعماق البحر، شيء في سفينة تهيم وتنشر لنا الشرور، هذا الشيء ينتحل أشكال البشر ويرتكب الجرائم، يصيبهم بكل المشاعر الشريرة؛ كالشك واليأس والألم، هو يدفعك للانتحار أو قتل غيرك، وأحيانًا يقتل هو بطريقة وحشية، هذا الشيء تجسد لنا أمام أعيننا، ولكنه رحل في الظلام بشكل درامي ومسرحي كأنه ممثل على خشبة مسرح، وعندما كان يتجسد في جسد رحاب تراجع للظلام فلم نره ثم عاد إلينا في صورة شيء، لماذا يحتاج هذا الكائن الأسطوري لألاعيب الظلال تلك، لماذا لم يقتلنا؟ أتعلم من الذي يحتاج لألاعيب الظلال؟ الساحر على خشبة المسرح، والمخرج المسرحي وهو يقدم عرضه لنا، تُظلم شاشة المسرح أو يُغلق الستار ليتم تغيير المشهد قبل أن تتم مواصلة العرض، وكأن الشيء في صورة رحاب عاد للظلام وأتى مساعدو المخرج بسرعة ليغيروا من هيئته قبل أن يطل علينا مرة أخرى، أتعلم ما الذي أفكر فيه أيضًا؟ تأثير الظلال.. لقد تحدث مخرج رعب إيطالي مشهور يدعى داريو أرجينتو عن تأثير الظلال هذا، اترك خيال المشاهد



يعمل مع تأثير الظلام في السينما وسيشعر أن الجالس بجواره مسخ لو لم يرَ وجهه جيدًا، نحن لم نرَ وجه الشيء أبدًا بسبب الظلال الآتية من رداء رأسه، المبنى مظلم ونحن نتخبط فيه يمينًا ويسارًا، نرى اثنين من رحاب في الظلام، أو تحت تأثير الظلال، رحاب حقيقية والأخرى الشيء.. أو..

- أو؟

- أو قناع متقن وباروكة شعر وفستان.. أنت كنت تجاهد كي تحتفظ بوعيك بسبب نزيفك وإصابتك عندما ظهرت لك، واليوم أول يوم تراها حقًّا على أي حال، وبالتالي لم تستطع التمييز، وبالتالي الشيء حقًّا مدعٍ ومنتحل..

- ولكن..

- فقط اسمعني للنهاية وفكر معي.. أنا لم أصل لاستنتاج ولكني أفكر فحسب، دعني ولا تقاطعني، لنفكر أكثر.. تبًّا! ما الذي كنت أقوله؟ تبًّا تبًّا تبًّا قد نسيت، آه آه.. ماذا؟ لماذا قاطعتني يا رجل؟

- آسـ.. آسف..

- حسنًا فقط دعني أغمض عيني وأحاول التذكر.. لا تحاول التحدث على الإطلاق.. تأثير الظلال، نعم هذا ما



كنت أتحدث عنه، تأثير الظلال وما قاله داريو أرجينتو الذي يلقبونه بمايسترو الرعب في إيطاليا عن هذا التأثير.. أم أنه لوشيو فولكي الذي تحدث عن هذا التأثير، لا يهم، الإيطاليون جميعًا مبدعون.. شاهد أفلام سيرجيو ليوني أو استمع لموسيقى انيو موركيوني وستفهم مقصدي.. أتعلم أن فيلم الطيب والشرس والقبيح إيطالي في الأصل وأن كلينت...

- ناردين...

- لا تقاطعني قلت لك.. آه آه.. تلك المرة تقاطعني لتعيدني للموضوع الرئيسي.. ولكني أتحدث عن عباقرة فن يا رجل.. يجب ألا نكف عن الحديث عنهم لمجرد أننا معزولون على شاطئ وعلى وشك الموت بطريقة دموية.. آه آه حسنًا.. لا تنظر إلي هكذا.. قلت لك إني سأفكر بنفس الطريقة التي أكتب بها.. عشوائية مطلقة ومشتتة التفكير.. مثل الحياة.. كنت أحدثك عن تأثير الظلال.. فقط لا تنظر إلي هكذا وتذكر أن ذراعك مصابة.. حسنًا رائع أنت تبتسم ولا بد أنك تعتقد أني مجنونة تمامًا الآن.. ماذا تتوقع من روائية تكتب عن مصاصي الدماء والمذءوبين والضباع التي تتسلق فراشك ليلًا لتتناول أحشاءك وأنت تغط في النوم؟ كنت أحدثك عن تأثير الظلال وسامحني



على الحماسة في صوتي.. الظلال دومًا تغطي وجه الشيء.. يختبئ في الظلال قبل أن يتحول شكله، المبنى مظلم.. هناك احتمالية لا بأس بها أن يكون ما رأيناه زيًّا متقنًا وطلاء وجه وباروكة وليس تجسدًا روحيًّا لرحاب.. تلك فقط احتمالية عقلانية.. من الغريب أننا صدقنا الخرافة ونفترض نظريات للمنطق الآن..

- وماذا عن خصلات الشعر الأسود؟ رحاب شعرها أزرق مصبوغ لأنه لا أحد يولد وشعره أزرق.. رحاب الأخرى لم تمتلك بذورًا سوداء في فروة رأسها..

- لأنها باروكة كما قلت لك..

تقول ناردين الإجابة مبتسمة في انتصار هادئ وهي تنظر لصلاح قبل أن تكمل: ما احتمالية أن يكون القاتل البشري.. أجنبيًّا الآن قبل أن أكمل..

- اثنان في المائة..

- حسنًا.. الآن استمع لما سأقوله وأنصت إليَّ جيدًا.. ركز في التفاصيل يا صلاح.. وتذكر.. هناك قاعدة واحدة: لو قاطعتني سأقتلك..

- تفضلي..

- لو أن القاتل بشري فعلينا فهم شخصيته جيدًا وقدراته التي أهلته لفعل كل هذا.. هو شخص شديد



الموهبة.. ذو خبرة فنية، يجيد ألاعيب السحرة على المسرح؛ التمويه.. التشتيت، أن يشتتك بتفاصيله فترى ما يريد له أن يراك ولا ما يجب حقًّا أن تراه، يتحكم في عقلك ويبهرك بطريقته، تدخل المسرح متشككًا، وتبحث عن الخدعة فلا تجدها فتنبهر وتصفق وتخرج سواء كنت مصدقًا أم لا، فأنت تشعر بشيء ما.. وهذا هو غرض كل فنان؛ أن يجعلك تشعر بشيء، نحن نتحدث عن رجل شديد الذكاء ذي خبرة فنية.. فارع القامة؛ لأن الشيء كان فارع القامة.. كلا ربما تكون تلك خدعه أيضًا، بإمكانه أن يقف على شيء ما، يجب ألا نثق بحدسنا، ويجب ألا نثق بعيوننا، مع الشيء لا يمكننا الوثوق بأنفسنا قبل غيرنا، لو كان رجلًا فهو استطاع التغلغل إلى أرواحنا، والآن.. آه فقط اتركني آخذ نفَسي لقد أرهقت من الكلام....... أين كنت؟.. لو كان رجلًا.. فهو واسع الحيلة ذو خبرة فنية خصب الخيال للغاية، هو فنان، مخرج أو كاتب أو رسام أو شاعر.. هو متقدم في العمر.. أصول الشيء أو أصول الخدعة تعود لأيام شاكر ولوحة السيدة، والأهم.. هو لا يعمل وحيدًا.. لا بد أن يكون لديه شخص أو اثنان يساعدانه وفي تلك الحالة نحن نواجه جماعة قتلة وليس فردًا، دعنا نفكر أكثر.. ما العقبات التي تقف في وجه



نظرية أن الشيء قاتل؟

- تجسد رحاب..

- وقد أجبتك أنه طلاء وجه وقناع وباروكة.. تذكر أنه لو أن القاتل بشري فكل ما مررنا به هو عرض مسرحي من الدرجة الأولى.. قل لي عقبة أخرى..

- لو أن القاتل بشري.. لِمَ يقتل حبيبة شاكر منذ أربعين عامًا ثم يواصل عمله الآن؟

- لا أمتلك إجابة على هذا الجزء الآن.. ولكني سأصر على أنه من الممكن أن يكون بشريًّا متقدمًا في العمر وله أعوان.. ها.. أعطني عقبة أخرى..

- لكونه بشريًّا؟.. حسنًا.. دعيني أفكر.. تعطل شبكة المحمول..

- أي تقني بارع بإمكانه أن يأتي بجهاز يرسل ذبذبات توقف الشبكة.. لقد بحثت عن هذا الأمر من قبل في إحدى رواياتي.. كانت رواية جريمة وغموض وليست رعبًا، وكنت بحاجة لتفسير منطقي في النهاية.. أعطني عقبة أخرى لكونه بشريًّا.. آه قبل أن تفعل هذا.. دعني أسألك.. هل يحتاج كائن أسطوري أن يهشم إطارات السيارات ليمنعنا من الرحيل؟ كائن له القدرة بطريقة سحرية ما أن يوقف شبكات المحمول.. لا بد أن لديه طريقة سحرية



ليجعل السيارة تتوقف عن العمل.. ألا ترى أن إتلاف الإطارات وتهشيم النوافذ.. تصرف.. همممم.. بشري أكثر من اللازم؟

-...

- لا توجد لديك إجابة.. والآن أعطني عقبة أخرى..

- همممممممم.... كيف يستطيع بشري أن ينشر الشك بين مجموعة من البشر ويجعلهم بعضهم يقتل البعض؟ كيف ينجح في إصابتهم بالاكتئاب والحزن والجنون؟

- حسنًا دعني أُجِبْك.. كيف يستطيع مخرج أن يجعلك تنتفض في مقعدك وأنت جالس تشاهد فيلمًا أو تصيح في حماسة للشخصيات الرئيسية أن يفعلوا أي شيء؟ كيف يستطيع كاتب أن يبكيك وأنت تقرأ روايته أو ينجح ملحن في إصابتك بالنشوة من موسيقاه؟ ألم تكن هناك إحصائية من قبل عن تزايد معدلات العنف في أوروبا بسبب أفلام الرعب؟ حقيقة أنها مجرد نظرية لا أتفق معها، ولكنها قدمت من قبل للتاريخ.. بإمكان الفن أن يجعلك تتحرك.. بإمكانه أن يشعرك بمشاعر مختلفة، وأن يغير من وجهه نظرك.. ألم تشاهد فيلمًا أو رواية من قبل جعلتك تفكر.. آه ماذا لو لم يكن النازيون بهذا السوء؟ مثلًا، أو على



افتراض، لو كان الفيلم عن جندي نازي تائه وحيدًا يحب، ألن تتعاطف معه؟

- إذن أنتِ تقولين إن الشيء.. فنان؟

- هو مخرج وكاتب وممثل بارع.. قدم لنا عرضه الأفضل على الإطلاق.. هو وطاقم عمله أو أيًّا كان من هم معاونوه.. أعتقد أننا.. أو أنت بالأخص كنت المشاهد المستهدف لهذا العمل الفني.. لماذا أنت فقط؟ لأني لم أكن في خطتهم.. أنت جئت إلي طلبًا للمساعدة.. ولكن الأمر كله منذ البداية يدور حولك أنت.. أنت الذي وجدت خطاب عبدالعزيز ومذكرات سلمى..

ثم توقفت ناردين وشهقت فجأة فقال صلاح وقد نسي الألم جسده تمامًا: ماذا؟

- خطاب عبدالعزيز ومذكرات سلمى الخطاب.. لقد كانا كرواية تمت قراءتها وحازت إعجاب الكثير فيتم تحويلها إلى فيلم سينمائي بعد هذا.. ألا تفهم؟ في الرواية ينطلق الكاتب بخياله في ملكوته الخاص ليكتب كل التفاصيل.. في عالم الرواية أي شيء ممكن أن يحدث.. بعدها يأتي الفيلم أو المسرحية أو المأخوذ عن الرواية ليعاني المنتج في الميزانية والمخرج في الخدع البصرية والمؤثرات وخلافه.. من قال إن كل ما قرأته في مذكرات سلمى حقيقي؟.. طبعًا



المذكرات والخطاب جزء من العرض.. تقرأ أنت في البداية فيتم تجهيز عقلك ثم تأتي للمبنى فتعيش الأحداث التي قرأتها وأنت مندمج في الأحداث.. لو أخذت ثانيتين فحسب لأدركت أن الرواية قد تحولت لفيلم وأنك المشاهد الوحيد.. قبل أن أكمل.. قل لي.. فقط أجبني.. ما احتمالية أن يكون الشيء بشرًا؟

- سبعون في المائة..

- أما وقد عاد المنطق نوعًا ما.. وبدأنا نقتنع بكون قاتلنا بشرًا.. دعنا نفكر.. من هو؟ وما الدافع؟

كانت ناردين تتحدث في حماسة وانفعال وهي تنظر لصلاح الذي يعطيها كل تركيزه ولم يرَ أحد منهما الرجل فارع القامة ذا الأسمال السوداء وهو يقترب منهم من بعيد والفأس الضخم في يده يلتمع على ضوء القمر.. مثلهما مثل رنا وزكي وهما جالسان على الشاطئ وقاتلهما يقترب..

تكمل ناردين في انفعال: الخيط الوحيد لدينا هو أنت.. أنت المستهدف.. أنت المشاهد.. لو كان الشيء كائنًا شيطانيًّا وأراد أن يفتك بك في شقتك لكان فعل بك هذا.. ولكنه لم يقتلك.. أراد فقط تخويفك.. لكنه كان بحاجة إليك حيًّا.. لماذا؟ والشحم.. من أين جاء الشحم عليك.. أتعلم أن



ممثلي السينما الصامتة قديمًا كانوا يدهنون أجسادهم بالشحم قبل أي دور؟ لا تسألني لماذا.. لقد هاجمك وأعتقد أنك التحمت معه عندما دفعك، ومن هنا جاء الشحم فوقك.. لماذا أنت؟.. عندما تتعقد كل الأمور علينا أن نعود لنقطه البداية.. وما هي نقطة البداية بالنسبة إليك؟

يصمت صلاح وينظر إليها قبل أن يرتجف قائلًا: المأمورية التي وكلتْ إليَّ من قبل مديري في شركة تأمين عن اختفاء رحاب..

يتذكر صلاح جملة مديره..

....

هناك شيء ما في تلك القضية.. أنا أشم رائحة تلاعب واحتيال من أجل مال التأمين..

....

يواصل صلاح كلامه وقد بدأ يستعيد عقلية محقق التأمين: رحاب تختفي.. المال المؤمن به عليها.. ولكن.. آه، عقلي.. لا يوجد منطق.. من المستفيد؟ المستفيد كان والدها وأنا رأيت جثته..

- أنت رأيت ما أراده القاتل لك أن تراه وليس ما يجب أن تراه.. أنت وجدت جثة ممزقة أجزاؤها وأعضاؤها في كل صوب.. هل لمست أيًّا من الأجزاء؟ هل تأكدت من



أنها جثة حقيقية وليست خدعًا ومؤثراتٍ بصريةً رائعة؟

- ولكن..

- لدي صديقة تفعل مثل هذه الأمور بأقل التكاليف وبالكثير من الشغف.. خدع ومؤثرات.. ذراع مقطوعة من الصلصال.. دماء زائفة.. إلخ إلخ.. كما كانوا يفعلون في أفلام الثمانينيات في هوليوود قبل أن تظهر تقليعة مؤثرات الكمبيوتر الخرقاء التي أفسدت روعة المؤثرات اليدوية.. وأعتقد أن هذا ما حدث معك.. أعتقد أنك وجدت جثة زائفة.. أعتقد أنهم درسوا شخصيتك وراهنوا على بحثك حتى داخل جيب المعطف.. لقد أرادوا لك أن تجد الخطاب والمذكرات.. أنت نفسك تساءلت لماذا يرتدي الرجل معطفًا غريب الشكل كهذا؛ ليثير فضولك وتبحث داخل المعطف.

- لماذا؟

- ما الذي قاله عبدالعزيز السلدان في مقدمة خطابه؟ لم يستطع مقاومة غروره البشري.. هيا تذكر ما الذي قاله..

اعتصر صلاح عقله وأغمض عينيه وهو يجاهد كي يتذكر..

....

اسمي عبدالعزيز السلدان.. لقد رأيت الكثير من العجائب



في حياتي.. لقد سافرت للهند وشرق آسيا.. جلست مع قبائل البدو في صحراء العرب وسمعت الكثير من أساطيرهم.. أنا دومًا مغامر ورحالة وإن اعتقد العامة أني مجرد ممثل مزواج يأخذ من الحياة ما يستطيع من متعها.. أنا أحب المغامرة.. كما أحب الفن والتمثيل.. كنت دومًا مولعًا بالإخراج والكتابة وليس التمثيل فحسب

....

يفغر صلاح فاه مشدوهًا وتكمل ناردين: عبدالعزيز السلدان فنان.. ممثل.. وكعادة الممثلين ذوي الخبرة يمتلكون في داخلهم روح المخرج والسيناريست بسبب كثرة احتكاكهم معهم.. كلينت إيستوود وسلفستر استالون بدآ ممثلين وأصبحا بعدها مخرجين وكتاب سينما، بل ايان أوجولوفي الممثل الإنجليزي كتب رواية أيضًا، ألا تفهم؟.. عبدالعزيز السلدان المغامر والرحالة -كما وصف نفسه في غرور- قد سافر وتنقل في بلاد العالم الغريبة ليروي خياله الخصب.. لقد سمع أن أسطورة الشيء غالبًا من قبائل البدو والعرب الذين ذكرهم في خطابه.. ولا بد أنه افتتن بالحكاية.. كان هذا هو مصدر إلهامه.. مثلما كان مصدر إلهام ستيفن كنج عندما سمع عن حادثة قتل على الطريق السريع فكتب روايته الأستاذ مرسيدس، أو مثلما



حدث مع برام ستوكر عندما سمع من الجاسوس المجري عن فلاد الثالث المخوزق فكتب دراكولا.. يسمع عبدالعزيز عن حكاية الشيء، وبدلًا من الكتابة عنها فحسب فهو يقدمها كفيلم.. إلا أنه ليس فيلمًا سينمائيًّا بل فيلم واقعي لعين وأنت بطله، بغرور الفنان لم يستطع أن يقاوم وضع اسمه على عمله؛ ولذا ذكر في خطابه أنه هو الذي أعاد صياغة مذكرات سلمى الخطاب بشكل روائي سردي لعين يناسب المخرج الشاب الذي يبغي تحويل الحكاية لفيلم، وأنا أعتقد أن الجزء الأخير هراء مطلق، هو الذي كتب المذكرات كلها وأراد وضع اسمه عليها..

....

الحقيقة أن عبدالعزيز قد كتب الموضوع بشكل منظم لا بأس به..

....

من الغريب أن الصحف لم تذكر مقتل أبيها.. لم يجد أحد جثته فيما يبدو، ولم تسأل عنه أي من طليقاته..

....

تذكرت مديري وهو يقول: عليك أن تجد ثغرة ما.. لا أعتقد أن الحماسة قد وصلت بعبد العزيز لدرجة تمزيق نفسه كي يحصل على مال التأمين..



....

أنا لا أعلم من أنت أيها الغريب.. أعرف أنك تقرأ خطابي الذي أكتبه في لحظة موتي، ولعل هذا يقرب بيننا بشكل ما.. لعلك أنت أقرب شخص إليَّ رغم أني لم أرك قط؛ لأنك تراني في لحظة ضعف ووهن دون تظاهر.. عكس جماهيري التي رأت دومًا ما أريد أنا أن يروه.. اقرأ الكتيب لعلك تفهم.. وحاول أن تجد ابنتي..

....

.. فقط مسوخ آدمية تتظاهر بأنها بشر

....

- أتقصدين أن شيئًا لم يحدث في المبنى وأن كل ما قرأناه في المذكرات خيال؟

- كلا بالطبع يا صديقي.. مذبحة الإسكندرية حقيقية، والصحف والبلد كلها تحدثت عنها.. أقصد أننا قرأنا ما أراد لنا أن نقرأه وليس ما يجب أن نقرأه أو نعرفه.. أعتقد أن المذكرات حقيقية.. لكن هناك تفصيلة واحدة بسيطة لم يتم ذكرها هي أن عبدالعزيز كان في المبنى.. هو الذي قتلهم.. بعدما مارس نفس ألاعيبه معهم.. أقنعهم أن الشيء حقيقي ونشر الذعر بين قلوبهم.. عزلهم عن العالم الخارجي.. دفع أمجد للجنون.. وأيمن للانتحار.. وقتل



الباقي.. أعتقد أن هذا ما اكتشفته سلمى وتحدثت عنه قبل موتها.. الحقيقة التي اكتشفتها وأرادت إخبار أحمد بها.. أن الشيء بشري..

ناردين تتحدث في انفعال وسرعة، وحديثها لا يستغرق سوى دقائق معدودة...تستمر الفتاة في الحديث بينما من بعيد يقترب منهم الشيء أكثر..

الفصل الخامس عشر

تنظر ناردين لصلاح وتأخذ نفَسًا قبل أن تواصل كلامها: ربما لم تكن مذكرات.. بإمكان الفنان أن يضع نفسه مكانك ويرى كيف تفكر.. خياله يتيح له هذا، وأعتقد أن عبدالعزيز كتب مذكراتهم بنفسه أو بعضًا منها؛ لأنه رآهم جميعًا في لحظات موتهم.. قمة الحميمية بين القاتل والمقتول عندما يرى الأول الأخير في لحظاته الأخيرة، لحظة الحقيقة، بلا أدنى قدر من التظاهر.. أعتقد أن عبدالعزيز أو من يعاونه قتلوا مَن في المبنى، لا أعلم لماذا؟.. لكنهم هم من سببوا مذبحة مبنى الاتصالات في الإسكندرية..



في تردد سأل صلاح وهو يعرف الإجابة: وماذا عن رحاب؟

بحزم قالت ناردين له: طبعًا متواطئة معه؛ ولهذا هي اختفت أو رحلت وتركتنا معًا الآن.. تتظاهر بالاختفاء.. ويحصل أبوها على مال التأمين..

- لكنه لن يحصل على مال التأمين.. لقد مات...ولا أعتقد أن كل تلك الجرائم الشنيعة من أجل مال تأمين..

- أعلم.. المال جزء من الدافع وليس كل الدافع.. أنت قلت إن الرجل كان يعاني من ضائقة مادية بسبب تعدد زوجاته..

- وما هو الدافع كله؟

- صلاح..

- ماذا؟

- الشيء يقترب منا.. أنا أراه بطرف عيني الآن يقترب.. لو كنت محقة سأنادي اسمه.. سأقول له: توقف يا عبدالعزيز نحن نعرف من أنت.. لو كنت محقة سيتوقف وسيزيل غطاء رأسه.. نرى وجهه.. غروره لن يسمح له أن يستمر في التمثيل.. أي سفاح بحاجة لمشاهدين أيضًا.. لهذا كان يراسل «زودياك السفاح» الصحافة.. و«جاك السفاح» أيضًا؛ ولهذا كان يتحرق تيد



باندي شوقًا للتحدث مع الصحافة.. كل السفاحين نرجسيون.. أنا أتحدث كمحللة نفسية الآن ليس ككاتبة.. ثق بي.. لو كان الشيء هو عبدالعزيز فسيتوقف وسيجيب عن الثغرات في نظريتنا.. سيجيب عن كل أسئلتنا.. هو بحاجة لأن يرى الانبهار على وجوهنا..

....

ولم يستطع مقاومة إضافة لمسة درامية من عنده وهو يتحدث عن مصيرهم..

....

- ولو كنتِ مخطئة؟

- إذن سنهلك أنا وأنت بجوار البحر.. هو يقف وراءك الآن وفأسه يرتفع لأعلى.. يا إلهي!

يرتفع الفأس لأعلى.. يتصلب صلاح ويغمض عينيه.. لن ينظر وراءه.. لو كانت ناردين محقة فعبدالعزيز بحاجة لمحقق التأمين كي يدلي بشهادته للشركة أن اختفاء رحاب ليس احتيالًا، وفي تلك الحالة سيداهم الخطر ناردين وليس هو، يفتح عينيه في رعب، احتمالية موتها وبقائه على قيد الحياة ، وهو السبب في موتها، هو الذي أتى بها إلى هنا، الفتاة كانت في مطبخها تعد المعكرون قبل أن يقلب حياتها رأسًا على عقب، احتمالية موتها أثارت جنونه، عليه أن



يفعل شيئًا، لقد كان مقتنعًا بكلامها، ولوهلة صدَّق أن الشيء عبدالعزيز، لكن ماذا لو كان هذا من دائرة الشك المعتادة؟ ماذا لو أن الشيء جعلهم يشكون في رجل ميت تلك المرة على سبيل التغيير وليس في بعضهم البعض؟ هل لأن علاقتهم أو صلتهم الروحية بعضهم ببعض قوية، أو صادقة؟ أيًّا كان الاسم، هل لهذا لم يشك بعضهم ببعض ولهذا هاجمهم الشك والريبة ولكن تلك المرة في عبدالعزيز؟ لا يبدو له أن نظرية ناردين حقيقية الآن، لا يوجد بشر قادر على كل هذا، وبالتأكيد ليس ممثلًا عجوزًا، كلا، هو يشعر بوجود الشيء، يتذكر الرائحة التي داهمت أنفه عندما دخل الغرفة العلوية في الشاليه ووجد أشلاء عبدالعزيز، رائحة الموت، لا يمكن لأحد أن يزيف هذا، ستقول له ناردين إنها رائحة حيوان ميت تركوه في الغرفة أو أي شيء، لكنه لن يصدق، الشيء حقيقي وهو واقف وراءه الآن.

ناردين تنظر للشيء، طيلة حياتها وهي تكتب عن المسوخ، لكن المسوخ تتصرف بطريقة مختلفة، الشيء ليس حقيقيًّا، هو بشر، هو رجل فارع القامة يرتدي الأسمال السوداء المبللة التي تقطر دومًا دمًا أو ماء بحر مالحًا، لماذا يقطر الشيء دومًا؟ تبًّا! لديها الكثير من



الأسئلة ولا تريد الموت قبل أن تجد إجابة لها.

يرتفع الفأس لأعلى أكثر ويوازي ضوء القمر.. تمامًا مثلما حدث مع رنا وزكي في القصة.. كذا تفكر ناردين.. بالنسبة إليها هي قصة الآن وليست مذكرات سلمى.. ينظر الاثنان للشيء في صمت، لعله يتساءل: لماذا لا يقاومان؟ يهوي الشيء بفأسه تجاه أحد منهما.. تصيح ناردين ما قد يكون كلماتها الأخيرة: توقف.. أنا أعلم أنك عبدالعزيز السلدان.. أنا أعلم كل شيء..

الفصل السادس عشر

لم يتوقف الشيء، لم يلقِ فأسه جانبًا، ولم يُزل غطاء رأسه عن وجهه، ولم يُطِر رأس أي منهما بالفأس في الوقت ذاته.. ظل صامتًا لوهلة، قبل أن ينظر لناردين.. لم تتبين ملامح وجهه من خلال الظلام المحيط به، لكنها شعرت بنظراته إليها، من الغريب كيف تشعر بنظرات أحد، ويا له من موقف! هل الذي يقف أمامها رجل أم مسخ؟

- كان علي أن أتوقع أن الوحيد القادر على الفهم..



الوحيد القادر على كشف الحقيقة.. يجب أن يكون مثلي.. أو قريبًا مني على الأقل.. روائيًّا أو حكاءً.. شخصًا يسرد الحكايات، وأنتِ الكاتبة التي لم نضعها في الخطة، أليس كذلك؟.. كيف عرفتِ؟

كان صوته أجش كما هو وهو يتكلم، لم تتغير نبرة الصوت، صلاح كان مذهولًا وغاضبًا، ناردين محقة، الشيء هو عبدالعزيز، لم يعلم لماذا ولكن الأمر آلمه بشدة، حقيقة أن الشيء شر خالص أتى من أعماق البحر خارجة عن إرادته، ولكن كون الشيء عبدالعزيز والأمر قضية احتيال على شركة التأمين جعله يدرك أنه فشل في وظيفته كالأخرق.. تابع الشيء لناردين: كيف عرفتِ؟

في انفعال أجابت ناردين وهي تحدق بالظلام المحيط بوجهه: عندما تكلمت.. عندما تحدثت إلينا في المبنى وقلت إننا فانون، والأهوال التي رأيتها في دورة حياتك الطويلة.. الكلام كان دراميًّا أكثر من اللازم.. والمسوخ لا تتحدث يا عبدالعزيز.. تلك كانت غلطتك.. أردت أن تضع لمسة فنية في الخدعة الخاصة بك، الشر الخالص والمطلق.. المسوخ.. هم لا يتحدثون.. ألم ترَ فيلم هالوبين؟ مايكل مايرز لم ينطق بحرف طيلة الفيلم..

- ولكن هانيبال لكتر تحدث كثيرًا في فيلم صمت



الحملان..

- لأنه كان سفاحًا.. مثلك.. شرًّا خالصًا ومطلقًا في صورة بشرية.. أما مايرز في فيلم هالويين فقد كان قوى خارقة للطبيعة التي نعرفها..

كان صلاح يتابع المحادثة التي تدور بينهما قبل أن يقول: يا للجنون!

تحرك الشيء -أو عبدالعزيز- للأمام.. أزال غطاء رأسه وتزايد غضب صلاح بشكل جنوني، أراد أن يقوم ويقتل الرجل، ما الذي كان حقيقيًّا وما الذي كان خيالًا في المذكرات؟.. سلمى وأحمد وأمجد ومحمود ورنا وزكي.. يا للجنون!

اقترب عبدالعزيز ووضع فأسه قبالة رأس ناردين وقال بعد تفكير: بما أنكما عرفتما من أنا فسوف تأتيان معي.. لدي الكثير وسوف تريانه، سأعطيكما المعرفة.. لا تعتقدا أنكما فهمتما كل شيء.. لا يزال لدي مفاجأة أخيرة لكما..

نظرت ناردين نظرة ذات معنى لصلاح.. قال صلاح لعبدالعزيز: إلى أين؟

- إلى مسرح العرائس..

فور أن أتم عبدالعزيز جملته ظهر ظل آخر وراء



صلاح.. وتبينت ناردين ملامح صاحبة الظل.. رحاب.. في يدها فأس شاكر الصغير، يا لسخرية القدر! الأب معه الفأس الكبير وابنته معها النسخة المصغرة من فأسه، شعر بها صلاح قبل أن يراها وغلت الدماء في عروقه، سيدة البحيرة، إلهة الخداع والألم..

....

رحاب كانت شاردة تتقمص تفكير شخصيتها الحالية.. شخصيتها التي تمثلها وتجيد تقمصها أمامهم.. الممثلة البارعة..

....

الفتاة التي أصابته بالهوس وكاد يجن وهو يبحث عنها، ها هي ذي.. قطبت ناردين جبينها فجأة.. لا يزال هناك الكثير من التفاصيل المتضاربة، أرادت أن تسأل الآن، ولكن الأدرينالين المتدفق في عروقها أفقدها القدرة على الكلام.. وقامت واستند صلاح على كتفها، تسير وراءهما رحاب حاملة فأسها وأمامهم يسير عبدالعزيز، يسير الأربعة بكل تحضر تجاه المبنى، لوهلة فكر صلاح في مهاجمتهم، ولكنه كان يعلم أن طاقته ستحول دون ذلك، وأنهم سينهالون عليهم بالفئوس دون لحظة تفكير، ناردين كانت تفكر في الشيء ذاته.. أو أن تدفعهم بعيدًا



وتهرب، إلا أن فضولها اللعين منعها، عليها أن تعرف الإجابات لباقي أسئلتها.. كما أنها لن تترك صلاح وحيدًا معهم.. يسير الأربعة رويدًا تجاه المبنى إلى أن يبتلعهم الظلام ويختفوا عن ناظرنا..

....

الفصل السابع عشر:
مسرح العرائس

لم تدر متى ولا كيف حدث هذا، لكنها وجدت نفسها تصرخ وتستغيث، كانوا يسيرون بسلام وفجأة بدأ عبدالعزيز يتلو كلمات أغنية ما أدركت أذنا ناردين أنها أغنية لاتينية، غالبًا هي الأغنية اللاتينية القديمة التي كانوا يدعونها باسم أغنية الموت، بدأ صوت عبدالعزيز يتزايد، وفكرت ناردين لثوانٍ أن تسأله عن اسم الأغنية لكنها عدلت عن ذلك، هم ليسوا أصدقاء في نادٍ اجتماعي بعد كل شيء، الرجل يحمل فأسًا ويوشك على قتلها، دعه يترنم بما يريد من كلمات لاتينية، صلاح يسير متألمًا بجوارها، فجأة تبدأ رحاب في ترديد كلمات ذات الأغنية،



رحاب.. ترى أكانت هي هناك عندما قتل والدها رنا وزكي؟.. تختبئ من بعيد وتراقب وتتأهب لتساعده لو حدث شيء ما من الضحايا ضد والدها، وأليس لهذا كانت معهم على الشاطئ دون أن يدروا؛ لتساعد أباها لو احتاج لمساعدتها، يا لها من ابنة بارة! كذا كانت تفكر ناردين عندما انقضت عليها رحاب وأسقطتها أرضًا وبدأت تجرها من شعرها وهي تضحك في جنون، وزيادة على هذا ظلت تبصق على ناردين وتلطمها وتركلها بينما الأخيرة متكورة حول نفسها على الأرض، صلاح الذي هب لمساعدتها وجد عبدالعزيز يركله في قصبة ساقه ليسقط أرضًا ويكبل ذراعيه، من أين أتى العجوز بتلك القوة؟.. قال عبدالعزيز وهو ينظر لابنته مبتسمًا في فخر: دعها تلعب قليلًا..

يتعالى صوت ضحكات رحاب الماجنة وهي تركل ناردين بينما صلاح يصيح فيها غضبًا أن تتوقف...بعد دقائق مرت ببطء على ناردين تنتهي رحاب.. تهمس ناردين باكية لنفسها: مجانين.. مجانين..

يعود تعبير وجه عبدالعزيز للجدية وتتلاشى ابتسامته ويقول: حسنًا انتهى وقت اللعب.. هيا بنا..

....



مقيدين على المقاعد يستقر الاثنان – صلاح ونادرين – متجاورين، مسرح العرائس كما أسماه عبدالعزيز، كان في القبو الخاص بالمبنى، الحقيقة أن أحدًا لم يعرف أن هناك قبوًا في المبنى، ولكن عبدالعزيز اتجه لركن مهمل في غرفة صغيرة مجاورة للصالة، ووجدوا بابًا يقودهم لسلالم مؤدية للقبو الضخم، والقبو كان مسرح العرائس، الإضاءة كانت قوية، كل جزء في القبو كان مضيئًا.. لم يكن هناك جزء لم يصبه النور الأصفر القوي، هناك الكثير من الدمى، دمى صغيرة، دمى كبيرة.. شتى أنواع العرائس المصنوعة ذات العيون الزجاجية تنظر إليهم، تحدق بهم، الجدران ممتلئة بلوح لدانتي، لوح لشياطين تصرخ وأرواح تعذب في الجحيم، لوح لقدماء الإغريق وهم يتصارعون عراة، أحدهم سكب طلاء أحمر فوق لوح الإغريق.. كلا هذا ليس طلاء.. تتسع عينا نادرين في هلع، بقايا الجلد وسط الطلاء جعلتها تدرك أنها دماء، على الأرض قاموا برسم النجمة الخماسية بالطبشور الأزرق، هناك بانيو ضخم لا تعلم نادرين كيف أتوا به هنا، كان يستقر في الركن، وميزت عيناها ما يطفو بداخله، أجزاء بشرية تعوم وسط بركة الدماء، شعر أحدهم يطفو وسط الدماء، يطفو بطريقة متماسكة تجعلك تدرك أن فروة



الرأس لا تزال ملتصقة به، في الركن الأيسر استقرت تماثيل الشمع، تماثيل شمع مصنوعة بإتقان رائع، ميزت عينا صلاح أصحاب تماثيل الشمع؛ لأنه رأى صورهم من قبل، فغر فاه وهو ينظر إلى تماثيل الشمع التي صنعت لسلمى، وأحمد، وأمجد، وأيمن، ومحمود.. وزكي ورنا تمثالان متعانقان يصرخان في ألم، إنه الهول بعينه، هو في غرفة الأهوال كلها، فكرت ناردين وقلبها يختلج بين قلبها وهي تنظر لمحتويات مسرح العرائس، يا إلهي! كابوس متحف الشمع، أمامهم عاري الجذع وقف عبدالعزيز، فخورًا بمملكته الخاصة التي يعرضها عليهم، وراءه وقفت رحاب وهي ترتدي فستانًا وقد عقصت شعرها ضفائر ووضعت الكثير من طلاء الوجه على وجهها، بدأ عبدالعزيز يتحدث في فخر منتفخ الأوداج، كان يتحدث بشكل مسرحي، كأنه ليون تشوني يقدم عرضًا على المسرح، كان يضع طلاء شفاه أحمر، لاحظت ناردين هذا ولم تتعجب، أي شيء ممكن الآن في هذا المكان اللعين.. وراءه على خشبة المسرح الصغير استقرت أريكة صغيرة حمراء ممزقة، فوق الأريكة يجلس تمثال من الشمع للشيء.. لم يكن يرتدي الأسمال السوداء والرداء الأسود الطويل، كان أكثر ضخامة بكثير



من عبدالعزيز، وجهه كان واضحًا، مهترئ الجلد، ديدان تخرج من تجويف عيونه، ديدان حية وليست مصنوعة من الصلصال، شعره متناثر فوق رأسه، شعر غزير طويل، أذنان حادتان، أذنا خيل أو دابة، فكه ضخم وأنيابه الحادة توازي أسنانه، أسنان ذئب، عيونه حمراء بلون الدم، كان يبدو كفأر أو كخفاش شديد الضخامة، إذن هذا هو تخيلهم للشيء.. تتخيلهم ناردين وهم يصنعون هذا التمثال، وهم يتصببون عرقًا ونشوة.. تحفتهم الفنية الأكبر.

- والآن سيداتي وسادتي أقدم لكم العرض الأخير، الآن تعرفون كل شيء.. إن الحقيقة لها مذاق غريب في فمك، والآن سأقدم لكم الحقيقة كاملة.. ولكن في البدء، دعوني أقدم لكم طاقم العمل.. رحاب ابنتي.. أعتقد أن جميعكم تعرفونها، بالأخص أنت يا أستاذ صلاح، أعتقد أنه يمكنني أن أرفع الكلفة، سوف أقتلك بعد كل شيء.. يا صلاح، لقد درسنا شخصيتك جيدًا وتوقعنا أن وحدتك ستجعلك تهيم بها، الحقيقة أننا كنا بحاجة لمال التأمين..

ثم تنهد عبدالعزيز وكأن شيئًا ما قد مس كبرياءه وتابع: الفنان دومًا بحاجة للمال؛ ولهذا استعضنا عن المنتج بمال التأمين..



هنا تحدثت ناردين: ولكن.. أنت تظاهرت بالموت.. ورحاب اختفت.. كيف تحصلان على مال التأمين؟

- قلت لكم إني سأعرفكم على طاقم العمل.. سامحوني.. طبعًا المال سيذهب لابني شقيق رحاب في تلك الحالة.. تعال يا محمود..

من الظلام تحرك تمثال الشمع الخاص بمحمود، إذن هذا لم يكن تمثالًا، محمود الطبيب، كان عاري الجسد الآن متين البنية، محمود هو الطرف الأخير في اللعبة، محمود مع موظفي المبنى، يروي في مذكراته عن الهول الذي رآه في المستشفى.. الكذب، الادعاء، الخدعة الأخيرة، يتظاهر بالموت.. يسخر منهم جميعًا..

....

آه لقد نسيت.. أنا غير متزوج..

....

ينظر صلاح لمحمود وتهتف ناردين: محمود عبدالعزيز السلدان.. عودة الابن الضال.. الجاسوس والخائن..

هز محمود رأسه وقال: أنا ممثل موهوب تظاهرت بدور الطبيب المكتئب ليس أكثر ولا أقل؛ لهذا تركت تسجيلًا صوتيًا بدلًا من مذكرات مكتوبة.. لتظهر العاطفة



في صوتي..

يشير عبدالعزيز لابنه أن يصمت ويتابع الرجل: نحن عائلة من الموهوبين كما ترون.. محمود يجيد صنع تماثيل الشمع، رحاب.. منذ أن خرجت من المصحة النفسية وهي تجيد الخدع الفنية الخاصة بالمؤثرات، هي التي صممت الأجزاء البشرية التي وجدتها في الغرفة يا صلاح..

يهز صلاح رأسه في إرهاق.. قبل أن يضحك.. تبدأ ضحكته هادئة ثم تتصاعد تدريجيًّا: أيها الملاعين.. أنا لا أبالي بشيء.. أنا فقط مرهق.. هيا.. تابعوا، ما علاقة شاكر بالأمر؟.. ولماذا قتلتم كل من في المبنى؟

تتقد عينا ناردين وهي في انتظار الإجابة.. يبتسم عبدالعزيز قبل أن يجيب: بدأ الأمر في أواخر السبعينيات، في تلك الليلة التي خرجت من المسرح في الإسكندرية، كنت أضع الشحم على صدري مثلما كان يفعل ماكس شريك الممثل الألماني الصامت، كنت أتيمن كثيرًا بهذا العبقري، هذا الممثل الألماني العبقري الذي أدى دور نوسفيراتو ببراعة، آه.. يا له من رائع! على أي حال، كنت خارجًا من المسرح أسير في تلك الليلة على شاطئ الإسكندرية وحيدًا، لم أكن ثريًّا حينئذ، مجرد ممثل مسرح



مغمور يقضي لياليه في الحانات وأذهب للريفيرا عندما أجني بعض المال وأنفقه على الحسناوات، كنت أقاطع والدي الإقطاعي الصارم الذي رفض أن يكون ابنه مشخصاتيًّا، أتذكر تلك الليلة وأنا طفل عندما وجدته يجلد والدتي لأنها عصت كلامه، على أي حال.. كنت أسير وحيدًا على الشاطئ عندما رأيت عاشقين يحلمان بمستقبلهما، وأنا ابن التاسعة عشرة كنت لا أزال متأثرًا بشخصية دون جيوفاني التي لعبتها على المسرح، لا أعلم لماذا، لكني أردت أن أختبر شعور القاتل، علماء النفس سيشخصونني على أني سفاح، ولكني فنان ولست سفاحًا، مُديتي في جيبي، اقتربت منهما.. وأنا أرتدي رداء دون جيوفاني، الرداء الأسود الطويل والأسمال.. رداء الموت، قتلت حبيبة شاكر.. ذبحتها ورحلت تاركًا إياه يبكي عليها.. تظاهرت أمامه بالثبات والدراما، أو كنت أشعر بهذا حقًّا، ولكني عندما ابتعدت عنهما وأدركت ما فعلته أصابني الانفعال، عدوت بعيدًا.. عدوت بسرعة وأنا أتخيل حياتي في السجن، أو الجلاد وهو يعدمني، يا إلهي! كانت تلك أول مرة أشعر بالخوف.. ولكني أيضًا كنت أشعر بشعور آخر رائع، شهوة القتل، الشعور بأنك المتحكم وصاحب القرار.. يا له من شعور! وهأنذا أجلس



وحيدًا على الشاطئ أرتجف ما بين شعور البهجة والخوف، يداي ترتعشان.. كان هذا عندما سمعت نداءه.. قادمًا من أعماق البحر، نظرت أمامي.. بعيدًا في قلب الظلام رأيت ضبابًا كثيفًا، وفي الضباب تبينت باخرة تهيم في البحر.. سمعت صوته في عقلي.. صوته يخاطبني من الباخرة، الشيء.. لقد اختارني لأن روحي ملوثة والشر بداخلي، اختارني كي أكون تابعًا له.. رأيت ما رآه.. هذا الكائن القديم الموجود منذ بداية التاريخ، ينشر الظلام بيننا، ذهبت له، كدت أغرق وأنا أسبح إليه، لا أستطيع أن أقول لكم ما وجدته على ظهر السفينة ولا سرها، لكني عدت بقارب صغير منها يحمل التابوت، التابوت حيث يرقد الشيء.. هو معي منذ حينئذ..

وأشار عبدالعزيز لتمثال الشمع الخاص بالشيء وراءه قبل أن يكمل: أنتم تعتقدون أني مخبول وأعبد الشيطان، ولكني أؤكد لكم أنه حقيقي، على أي حال، اقتنع شاكر بحكاية الشيء؛ لأنه وجد المخطوطات التي أردت له أن يجدها، شاكر كان أول تجربة لي، كيف تلعب بالنفس البشرية؟ كيف تقنع أحدًا بشيء ما؟ كيف تُسبب الاختلال النفسي لأحد وتجعله يفعل ما تريده أنت أن يفعل؟ يصيبه الهوس كما أصاب شاكر وأصابك يا صلاح، ينتحر مثل



أيمن، يحاول قتل رفاقه مثل أمجد، نعم كل ما قرأتموه في المذكرات حقيقي بخلاف ما حدث لمحمود فحسب، لقد تظاهر بالموت وترك أحمد وسلمى يمضيان في مسيرتهما القدرية، لماذا ارتكبنا مذبحة الإسكندرية؟ هذا هو سؤالكم التالي أليس كذلك؟

يتبادل صلاح وناردين نظرة صامتة قبل أن تومئ ناردين برأسها.. يسير محمود ويقف بجوار أبيه كأنهما يقومان بأدوارهما على المسرح ويقول: كما قال أبي.. نحن عائلة من الفنانين، والفنانون دومًا مختلفون ولا يفهمهم العامة؛ لذا لن نتوقع منكم الفهم، ربما أنتِ فحسب قد تفهميننا يا ناردين..

نظرت إليه ناردين في تركيز، وتابع محمود: التحفة الفنية الكاملة.. هذا ما أردنا صنعه أو خلقه، لدينا الحبكة، الشخصيات، لدينا الشيء ليقوم بدور البطولة، لدينا الأسلوب السردي.. كل شيء.. ولكننا أردنا أن نخلد عملنا الفني، كتبنا في البداية معًا نحن الثلاثة كرواية، لم تكن التجربة الأولى لفكرة الكتابة الجماعية، ستيفن كنج وابنه ايون كنج كتبا رواية معًا، كتبنا الرواية وأردنا أن نحققها، بحثنا كثيرًا حتى وجدنا الموضع المثالي، مبنى الاتصالات المعزول عن المدينة والمُطل على البحر، لم يكن الأمر



بسيطًا ولكن بالجهد والشغف تستطيع أن تحقق أي شيء، عملي كطبيب ساعدني، وتقدمت والتحقت بالوظيفة هنا معهم، درستهم جميعًا، شخصياتهم، نقاط ضعفهم.. أيمن بوحدته وهجر أبنائه له، أمجد بروح صلاح جاهين الساخرة بداخله، ذكي لحد الجنون، سلمى بشخصيتها العملية وطلاقها من زوجها، وأحمد بروحه الرومانسية وعقدة مساعدة الآخرين.. وهكذا تم الأمر بكل بساطة، الرواية تتحول للفيلم الكامل.. لقد صورنا كل ما حدث معهم.. صورنا كل شيء..

- يا إلهي!

قالت نادين الكلمة ثم صمتت، لقد سئمت كونها مندهشة من كل شيء، طبعًا صوروا جرائمهم.. هؤلاء المرضى الملاعين.. يردف محمود: نعم.. يا إلهك.. صورناهم جميعًا وقمنا بتعديل الفيلم ووضع موسيقى تصويرية أيضًا، الإخراج..

ثم صمت وتنهد في نشوة قبل أن يضيف: أبي أبدع في الإخراج.. استخدم طريقة هتشكوك وكيربك في زوايا الكاميرا..

عقد صلاح حاجبيه في غضب.. رنا يتم ذبحها على الشاطئ بينما في الظلام يجلس محمود أو رحاب وهما



يصوران المشهد بطريقة هتشكوك.. غمغم صلاح: يا أوغاد..

لم يسمعه محمود الذي أكمل: لكننا كنا بحاجة للمال.. لن نكرر غلطة إدجار آلان بو ونموت فقراء وقد بددنا ثروتنا في ميزانية الفيلم.. ولهذا اختفت رحاب وانتظرنا مال التأمين.. لقد درسنا شخصيتك أنت أيضًا يا صلاح عندما قابلك والدي..

بدا عدم الفهم واضحًا على وجه صلاح.. ونظرت إليه ناردين في تساؤل.. متى قابلهم؟.. ثم سرت القشعريرة في بدن صلاح.. الجار العجوز الذي قابله وفتح له باب الشاليه..

....

لقد بدا جلده مشدودًا على وجهه..

....

لقد كان الجار العجوز عبدالعزيز متنكرًا.. تبتسم رحاب وتأخذ عتبة المسرح بجوار والدها وأخيها وتقول مبتسمة: أنت وحيد مهموم وكنت أسهلهم.. لم تتطلب جهدًا..

وقالت في رقة وهي تحييه منحنية كممثلة مسرح تحيي جمهورها: وهكذا وقعت أنت في حبي وأصبحت أنا نقطة



ضعفك..

هتف صلاح: وماذا الآن؟ أنا لم أرسل تقريري بعد.. وأنا أعلم الآن أنكم محتالون ولن تحصلوا على مال التأمين أبدًا..

تبادل عبدالعزيز نظرة مع ابنه وابنته وابتسم ثلاثتهم قبل أن يقول عبدالعزيز: كنا ننتوي تعذيبك أو ترهيبك بتعذيب ناردين فترسل التقرير، ولكننا لم نعد بحاجة إليه، عندما اختفيت أنت ولم تجب على محاولات الشركة الاتصال بك أرسلوا محققًا آخر، وابتلع هو الطُّعم ببساطة وأرسل التقرير.. لقد ذبحناه كخروف العيد بعدها..

ضحكت رحاب وأضافت: طعمه كان جيدًا.. لقد تذوقنا جزءًا منه.. كان وجبة عشاء رائعة..

قاوم صلاح شعور الغثيان قبل أن يسأل في تردد: ماذا كان اسمه؟

- رشدي عبدالعزيز..

أغمض صلاح عينيه في ألم.. هو يعرف رشدي.. الكهل الأربعيني مترهل الجسد حاضر الدعابة، متزوج ولديه طفلتان، الأوغاد ذبحوه، سامحني يا رشدي!

تكلمت ناردين ببطء وحذر موجهة سؤالها لهم: هل قمت بتصويرنا عندما جئنا إلى هنا؟



- نعم، هاها كان هذا هو الجزء الثاني غير المتوقع، الإلهام شيء رائع، لقد انتوينا خديعتك فحسب فترسل التقرير ونحصل على المال، ولكن بسبب تدخل ناردين وعثوركم على شاكر، لم نستطع المقاومة، الجزء الأول قد نجح فقدمنا الجزء الثاني من الفيلم بكل بساطة، مثلما حدث مع الرجل الذي لقبناه بالزاحف على الرمال، كان لمسة فنية رائعة من القدر، السكير الذي رأى نفس الباخرة التي رأيتها أنا على الشاطئ في السبعينيات وأدرك مقدار الشر الكامن عليها، أدرك أهوال الشيء، وعندها ذهب لشاكر لأنه رأى لوحته، في الحقيقة لم نتوقع مجيئه ومحاولته تحذيرهم، لكنه أضاف عاملًا دراميًّا رائعًا إلى حبكتنا، ألا تتفقون معي؟

عقدت ناردين حاجبيها في شك.. الهلاوس لا تتم مشاركتها، كيف يرى الزاحف على الرمال ما رأوه هم؟ أم أنهم عبثوا بعقله أيضًا وتدخلت الخمر في عقله لتقنعه بأنه رأى هذا الهراء الذي يتحدثون عنه؟ لا يوجد تفسير آخر..

سألت ناردين سؤالها الأخير: والرواية والفيلم.. أقصد الفيلمين.. كيف سيراهما العالم وتتخلد أسماؤكم؟ لن يتم عرضهما على العامة أبدًا..



ثم توقفت عندما سمعت سؤالها بأذنيها وعضت لسانها لغبائها.. طبعًا هي تتوقع الإجابة قبل أن تسمعها منهم..

أجابتها رحاب في نعومة ودلال: الإنترنت طبعًا، تلك الآلة الساحرة التي تربط الجميع، سيشاهدنا الجميع من خلالها، سيعرف الجميع اسم الشيء، وينتشر الشك والخراب بينهم.

نظر صلاح لناردين في صمت، لم تعد هناك أسئلة أخرى.. لقد اتضحت الصورة كاملة.. همست له ناردين: الشيء هو الطوطم بالنسبة إليهم، هذا الرمز الذي كان يرقص رجال القبيلة حوله في القدم ويقدمون له القرابين.. هذا هو طوطمهم، وأعتقد أن ما في هذا البانيو بقايا القرابين التي يقدمونها له..

نظر صلاح للبقايا البشرية، هنا في هذا المبنى المهجور الذي تخلى عنه الجميع يقيم مجموعة من عبدة الشيطان، كلا ليس الشيطان، عبَدة الشيء، يأتون بالضحايا ويقدمون له القرابين، يتخيل صلاح صراخ الضحايا وعدم فهمهم، صدمتهم.. يجتاح الغضب جسده أكثر، يا لهم من ملاعين!

صاح عبدالعزيز في سلطة أبوية لرحاب ومحمود وهو مُنتشٍ: نحن.. نحن نأتي ليلًا، والآن قد حان وقت



الموت..

الفصل الثامن عشر

أغمض صلاح عينيه، إنها لحظة ما بعد الحقيقة، للحقيقة دومًا مذاق غريب في فمك، والآن لحظة ما بعد الحقيقة، الموت.. هو فقط يتمنى أن يكون موتهم سريعًا، يغمغم: سامحيني يا ناردين..

ناردين تنظر إليهم وهم يقتربون منهم، رحاب تضحك في نشوة وفي يدها سكين حاد، تبدو كطفلة مدللة وهي تقترب منهم ملطخة بالأصباغ بينما ضفيرتاها تتراقصان خلف عنقها، محمود يضع كلتا يديه خلف ظهره ويقترب من ناردين بينما أخته تقترب من صلاح، والدهما يراقب ما يحدث في رضًا، عقل ناردين ينطلق يمينًا ويسارًا في كل صوب باحثًا بكشافه عن مخرج، تتخيل ما سيفعلونه بهم، القتل، الذبح، دماؤهم وأشلاؤهم في كل صوب.. ترى عبدالعزيز يذهب لركن من الغرفة ويعود بكاميرا تصوير ويبدأ في التصوير، سيسجلون لحظة موتهم، ترى بطرف عينيها على الحائط قريبًا منها أصفادًا حديدية ودماء، هنا



اختطفوا أحدًا وقيدوه أو قيدوها بتلك الأصفاد وعذبوه أمام الكاميرا، والآن سيحدث نفس الشيء معهم، يعقد عقلها حاجبيه في غضب ويستمر في البحث مسلطًا كشافه في كل صوب، تتذكر ناردين كل رواية قرأتها في حياتها وكل فيلم شاهدته، تتذكر الكونت أوف مونت كريستو وهو يلهث من أجل الانتقام، الرجل ذو القناع الحديدي وهو يبكي في سجنه، رابونزيل بشعرها الطويل، وكاريميلا وهي تحتضن حبيب حياتها في القصر الفكتوري العتيق.. تهتف ناردين فجأة: ولكني مثلكم..

يتوقف صلاح وينظر إليها متسائلًا، وتلتفت إليها رحاب في فضول، تكمل ناردين وهي تقتبس من مينا هاركر ما قالته لدراكولا في رواية برام ستوكر: أريد أن أشعر بما شعرتم به.. أرى ما رأيتموه وأكتب عنه، أنتم مثل إيكاروس اقتربتم من الحقيقة والمعرفة، ولكن الشمس لم تحرق أجنحتكم، بالله عليكم، لا تزهقوا روحي قبل أن أختبر هذا الشعور، أريد أن أرى ما رأيتم وأشعر بما شعرتم.. سأكتب رواية عنكم، أنا فنانة مثلكم وأريد أن أكون جزءًا من تحفتكم الفنية، ما تحدثتم عنه، الشغف الذي تحدثتم به.. يا إلهي! لقد اقشعرَّ جسدي، أنتم عباقرة، كيف يتسنى لي أن أرى لوحة لفان كوخ ولا يصيبني



الإلهام كي أكتب؟ وأنا قد رأيت لوحتكم الفنية وأريد أن أكتب عنها، لن يكون الإنترنت وسيلتكم فحسب.. لا أريد أن أموت قبل أن أكتب تلك الرواية.. روايتي الأخيرة عنكم، عادةً لن يفهمني أحد.. ولكن أنتم ستفهمونني، أعلم أنكم ستفهمونني.

تبادل صلاح نظرة مع والده في شك متبادل، عادةً هم يسمعون التوسل والرجاء من ضحاياهم، أول مرة يرون رد فعل كهذا، رحاب نظرت لناردين في عدم فهم ومطَّت لها لسانها، هتفت ناردين إزاء نظرات عبدالعزيز ورحاب: أعلم أنكم تشكُّون في كلامي، دعوني أثبت لكم، دعوني أختبر ما مررتم به وما شعرتم به، دعوني أذبح هذا الرجل العادي..

ونظرت لصلاح في شراسة وهي تكمل كلامها، صلاح كان ينظر إليها ويحاول أن يفهم تعبير وجهها، أهي تحاول خداعهم؟ أم أنها جُنَّت فعلًا؟ أم كل الفنانين مخابيل؟ وجهها كان يتصبب عرقًا وعيناها تتقدان في جنون، بينما اللعاب يتطاير من فمها، لا يستطيع أحد أن يجيد التمثيل كهذا، لقد جنت الفتاة، يتبادل محمود نظرة أخرى مع عبدالعزيز قبل أن يقول الأخير بصوت جهوري: لن تخدعنا الساقطة.. اذبحوها..



- أنا كاتبة ولست ساقطة، أنتم سمعتم عني وربما قرأتم ما كتبت، طيلة حياتي وأنا أحاول أن أجد السبب والمنطق لما يحدث من حولنا، وأنتم أعطيتموني الإجابة، أنتم المنطق، أنا ولدت من أجل أن أكون جزءًا من عالمكم..

كانت تتحدث بحرقة، وتصرخ، فكر محمود: لن يجيد أحد التمثيل كهذا أبدًا..

بصقت رحاب على ناردين وضحكت قبل أن تعود بعينيها استعدادًا لقتله.. هتف عبدالعزيز: انتظري..

تجمدت رحاب مكانها، نظر محمود لوالده، قال الأخير: انتظروا..

ثم التفت إلى تمثال الشيء المصنوع من الشمع من ورائه، اقترب من التمثال الراقد على الكرسي الضخم بهيبة وجثا على ركبتيه، بدا لصلاح أن عبدالعزيز يستشير الوثن الخاص به، يا للهول! يا للجنون! كان يسمع صوت عبدالعزيز وهو يهمس ويتبادل الكلمات بسرعة مع التمثال الصامت أمامه، ثم وقف مرة أخرى والتفت إليهم، الجميع صامتون يترقبون خطوته التالية، يقول عبدالعزيز: حسنًا.. أثبتي ولاءك يا كاتبة..

يتجه إليها محمود فور أن يقول هذا ويفك قيدها، يبدو



الاعتراض على وجه رحاب لكنها لا تخالف رأي أبيها، ينحني محمود ويفك قيد ناردين بهدوء.. تحرك ناردين يديها بصعوبة وتقاوم التنميل في ساعديها، تعود الدماء لتتدفق إلى يديها ببطء، تقف الفتاة وتبتسم في وحشية، تحتضن محمود فور أن تفعل هذا الذي احتفظ بجماد وجهه ولم يظهر أي تعبير، تهرع إلى عبدالعزيز بعدها وتحتضنه قبل أن تنحني وتقبل قدمه، يبتسم عبدالعزيز في رضًا، يغمغم صلاح وهو يقاوم الغثيان في معدته: يا إلهي! حتى ناردين، والآن ستقتله، الكاتبة التي ذهب إليها طلبًا لمساعدتها، إنها النهاية إذن.. هو وحيد ولن يأتي أحد ليساعده.. سيموت على يد ناردين..

كانت ناردين ترقص وتضحك وهي تفرد ذراعيها لأعلى، بدت إليه كفتاة مسها جن أو شيء من الخبل، وجدها تقترب من رحاب، تنظر لها الفتاة ذات الشعر الأزرق، لا أحد سيمثل كل هذا، تضحك رحاب وتبدأ في الرقص مع ناردين، يبتسم كل من عبدالعزيز ومحمود، صلاح يراقبهم في ذعر، منطق المجانين يتحقق أمامه الآن، مسرح العرائس، كلا هو ليس في مسرح العرائس؛ هو في مسرح الجنون، ترفع ناردين دلوًا من الماء المتسخ بالدماء والأشلاء وتسكبه فوق رأسها وترقص وهي



ملطخة بالدماء.. مبتسمًا يقول عبدالعزيز: كفِّي، الآن.. أثبتي ولاءك..

منتشية تأخذ ناردين الفأس من يده بدلال وتسير للأمام تجاه صلاح الذي نظر إليها في إعياء، الآن سيموت، يتمنى أن تقتله بضربة واحدة، لكنه يعلم غالبًا أن قوتها البدنية لن تساعدها وستسدد له ضربة خرقاء تسكب دماءه وتسبب له الكثير من الألم، وغالبًا سينحشر الفأس بين عظامه وتبذل الحمقاء جهدًا كي تستعيده مرة أخرى، أراد أن يقول لها: فقط اجعليها ضربة واحدة أرجوك.. اقتليني بسرعة وأنقذيني من هذا الجحيم..

لكنه لم يقل شيئًا.. ظل ينظر لها في إرهاق وهي تقترب منه، تذكر أول ليلة اقتحم فيها شقتها، تذكر أول مرة رآها، كم كانت خائفة! تذكَّر حماسها وانفعالها وفضولها الذي لا يرتوي وهو يحكي حكايته لها، شغفها بمساعدته، اكتشافها للحقيقة وهي جالسة بجواره أمام البحر.. ونظر إليها الآن في حزن بينما الألم يمزق قلبه، كانت تبتسم في وحشية، وبصقت تجاهه إزاء نظراته لها.. هز صلاح رأسه، إنها النهاية.. يغمض الفتى عينيه في ألم.. يتهاوى الفأس وتتناثر الدماء.

في البدء لم يدرك صلاح ما حدث.. استغرق عقله



ثانيتين ليفهم، ناردين كانت تسير بالفأس تجاهه ومحمود يقف وراءها، الشاب أكثرهم خطرًا، أنهيه أولًا، كذا كانت تفكر ناردين بينما عقلها يومئ لها مبتسمًا وهو يسلط كشافه تجاه وجهها ويهمس لها: حظًّا سعيدًا... تومئ له ناردين برأسها، الآن تعود الفتاة لواقعها، ترفع الفأس عاليًا وتستدير وهي تصرخ في غضب وتسدد به ضربة واحدة، ضربة واحدة وضعت بها كل قوتها وخالفت توقعات صلاح، غضبها عوَّض اهتزاز يدها، عوَّض كونها المرة الأولى التي تضرب فيها أحدهم بفأس، تستدير ناردين وهي تصرخ وتضرب عنق محمود بالفأس، تتطاير دماء محمود كالنافورة في وجه ناردين، ينغرز الفأس كله في عنقه، يستدير الفتى وينظر لوالده ويحاول أن يسير إليه وهو يبصق دمًا، قبل أن يسقط على وجهه جثة هامدة.. تصرخ رحاب في هلع جنوني وتقفز فوق ظهر ناردين لتسقط الاثنتان أرضًا، وتغرز سكينها في جانب معدة الفتاة التي صرخت ألمًا وهي تحاول دفع رحاب بعيدًا عنها، عبدالعزيز يسير في غضب تجاههم بعدما التقط نصلًا حادًّا من ورائه، يصرخ صلاح في غضب جنوني ويندفع تجاهه وهو مقيد في كرسيه حاملًا إياه معه، لم يعلم صلاح كيف فعلها، مع نزفه وإصابته، لكن غضبه حرَّكه،



وجد نفسه ينقض على عبدالعزيز، يرتطم به، فشعر أنه ارتطم بجدار صلب، العجوز كان قويًّا، قال عبدالعزيز: أيها الفاني الأخرق.. أنت مقيد.. كيف ستقتلني.. بالكرسي؟.. ستدفعون ثمن حياة ابني غاليًا..

- كيف سأقتلك؟.. سأرتجل..

يصرخ صلاح بالعبارة ثم يعض عبدالعزيز في عنقه بكل قوة، لوهلة لم يصدق عبدالعزيز ما يحدث، لم يصدق أن صلاح قد عضه في عنقه وانتزع جزءًا من حنجرته وبصقه جانبًا، لم يصدق الألم الحاد الذي داهمه وجسده الذي تصلب، لم يصدق نفسه وهو يسقط على الأرض، يحاول أن يقوم، تتناثر دماؤه في حزن بكل صوب، يسقط مرة أخرى، يحاول أن يقوم، كان يحاول أن يتجه لتمثال الشيء، يقترب منه، يرفع يده تجاهه.. يسقط على وجهه، يحاول أن يقول: ساعدني.. لكن الكلمة تذهب هباء.. يسقط صلاح أرضًا ودماء عبدالعزيز على فمه.. اثنان ماتا، ينظر بجواره، رحاب تتصارع مع ناردين، رحاب تطعن ناردين، يحاول أن يقترب منهما، لكن الإعياء يتمكن منه أخيرًا فيرقد مرهقًا ويهمس: اقتليها يا ناردين.. اقتليها..

ترفع رحاب السكين لأعلى والغضب في عينيها.. ناردين تحاول أن تحمي وجهها بيديها من السكين، كانت



تعلم أنها لن تستطيع التغلب على رحاب، لكنها على الأقل حاولت، لم يكن ما فعلته سهلًا؛ أن تحاول أن تتقمص وجهة النظر العاطفية لشخصية اخترعتها في عقلها كأنها تكتب رواية، شخصية فتاة مجنونة تنضم إليهم، أطلقت العنان لعقلها وأصبحت هي الشخصية، تحول الكاتب لإحدى شخصياته الروائية، كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لإقناعهم، لم تكن ناردين لتستطيع أن تسكب دلوًا من الدماء على نفسها، وأن تحتضن محمود وتقبل قدم عبدالعزيز، ولكن تلك الشخصية استطاعت، وهكذا أصبحت ناردين هي الشخصية، لم تعلم إن كان بإمكانها العودة من تلك الحالة، أن تعود لناردين وتقتل محمود، ولكنها رتبت في عقلها أن تفعل ما يفعله المنوَّم مغناطيسيًّا، تعطي لنفسها إشارة كي تعود، كان عليها أن تتوقع حقيقة واحدة، وتلك الحقيقة كانت نظرة صلاح إليها وهي تقترب، لقد تخيلتها وتوقعتها، وكانت تلك الإشارة التي رتبتها في عقلها كي تعود لشخصيتها الحقيقية وألا تقتله حقًّا، كانت تلك أول مرة في حياتها تجرب شيئًا كهذا، وقد تطلَّب الأمر الكثير من الترتيب الذهني، العصف الذهني في الحقيقة، حقيقة أن رحاب على وشك قتلها الآن، لكنها حاولت، أغمضت ناردين عينيها في



استسلام.. على الأقل ستموت مقاتلة، تشهق رحاب وتتصلب حركتها، تنساب دماؤها فوق وجه ناردين قبل أن تسقط صريعة، وراءها يقف صلاح مترنحًا وفي يده رمح حديدي أخذه من الحائط غرزه في مؤخرة عنق رحاب... نظرت ناردين لصلاح غير مصدقة.. جلس صلاح وراءها مرهقًا ومدد رأسه بجوارها قبل أن يقول: لو كنتِ ستستطيعين خداعهم وتمثيل أنك منهم لإنقاذي فأنا بإمكاني استعادة جزء من طاقتي والقفز للوراء لتهشيم هذا الكرسي اللعين وتحرير نفسي..

ثم ضحك في إرهاق قبل أن يسعل.. سألته ناردين في إرهاق: علام تضحك؟

- لقد قتلناهم جميعًا.. وجميعهم دماؤهم فوقك..

لم تعلم ناردين ما هو المضحك في الأمر، لكنها وجدت نفسها تضحك معه..

لمدة نصف ساعة ظلت ناردين ممددة بجوار صلاح وسط جثث عبدالعزيز ومحمود ورحاب في مسرح العرائس.. بدا لهم أن الدمى تنظر إليهم في صمت بينما الضوء الأصفر الشبيه بضوء الشموع يتخلل أرواحهم، كانوا ممددين فوق النجمة الخماسية على الأرض وسط بركة من الدماء.. نزيف صلاح قد توقف تمامًا، ووجهه



أصبح شديد الشحوب.. اعتدلت ناردين في صعوبة وصمت.. همست: أنا لا أصدق أننا مررنا بكل هذا..

- ولا أنا..

- لا يوجد لدي شيء أقوله..

- ولا أنا..

- أتعتقد أننا سننجو؟

- آه.. أعتقد أننا نجونا بالفعل..

- أقصد سنتعافى من تلك الذكرى..

- أعتقد أننا سنُجنُّ قريبًا..

- علينا أن نتعافى مما حدث يا صلاح..

- أعتقد أن هذا سيكون صعبًا..

- لكننا سنحاول.. لقد رأينا الشر بأعيننا.. لم نرَ الجشع والخداع اليومي والاحتيال فحسب.. لقد رأينا العنف والوحشية والدموية..

- أعتقد أنك كنتِ محقة..

- في ماذا؟ لقد كنت محقة في الكثير من الأشياء..

- يا للتواضع! فيما قلتيه عن أنواع الشر.. لقد واجهنا الشر الداخلي.. الشر البشري الكامن بداخلنا..

- لقد رأينا الجزء الآخر فيهم.. الجزء الآخر الذي يخفيه كل شخص تراه في حياتك اليومية..



- الجزء المظلم..

- آه هه..

ثم صمت الاثنان مرة أخرى قبل أن ينظر كلاهما دون اتفاق لتمثال الشيء الراقد فوق الكرسي، همست ناردين: نعم لقد واجهنا الشر الكامن بداخلنا، لم يكن الشيء حقيقيًّا.. لم يأتِ إلينا من أعماق البحر شر كامن وقديم، لقد واجهنا الشر الخالص في الطبيعة البشرية، أعتقد أن شيئًا ما بداخلنا دومًا كامن ينتظر الخروج، وقد خرج مني ومنك أيضًا، تلك الوحشية التي قتلناهم بها..

- العنف يولد عنفًا.. أليست تلك الجملة؟

- ديكارت قال: ليحذر من يحارب الوحوش أن يتحول لوحش..

- أتعلمين كم أنا مرهق؟ لكن وجودي مع كاتبة مجنونة ملطخة بالدماء ونحن نتبادل حديثًا فلسفيًّا بعد ما واجهناه للتو أمر يدفعني للابتسام في استسلام..

- الفلسفة والسخرية من كل ما حدث هي وسيلتنا الوحيدة كي لا نُجن على ما أعتقد.. ما رأيناه كفيل بالإطاحة بعقل أي أحد..

- آه هه، أكانت تلك هي المغامرة التي تبحثين عنها؟ أرويتِ فضولكِ؟



ابتسمت ناردين ولم تجب قبل أن تعتدل واقفة وهي تقول: علينا أن نذهب بك لمستشفى.. أمَا وقد عرفنا أن الشيء ليس حقيقيًا وأن القاتل بشري فلا بد أنهم يمتلكون سيارة ينتقلون بها، لن يهشموا سيارتنا ويظلوا هنا معنا للأبد..

ثم عقدت حاجبيها مفكرة قبل أن تواصل كلامها: كلا، أعتقد أنهم سيمتلكون قاربًا وليس سيارة.. هذا يناسبهم أكثر.. قارب يتنقلون به لأقرب ميناء أو شاطئ قريب من المدينة.. يجب ألا نفعل مثل سلمى وأحمد ونبحث عن سيارة.. سنبحث عن قارب وسوف نجده.. هيا بنا يا صديقي.. أعلم أنك نزفت قدرًا مروعًا من الدماء، والآن بعدما انتهى تدفق الأدرينالين في جسدك الذي يعترض لكل ما مر به في الساعة الأخيرة فأنت تريد فحسب أن تنام، وغالبًا تشعر أنك لن تحرك ذراعك مرة أخرى، لكني بحاجة إليك أن تتحرك.. هيا وإلا نومتك مغناطيسيًّا كي تتحرك!! لا تنسَ أنني محللة نفسية.

- ومحققة بارعة.. أنتِ ابتلعتِ كل التفاصيل واستنتجي ما حدث.. لولا معرفتك لهويته لكان كلانا الآن ميتًا على الشاطئ ومعتقدين أن قاتلنا شيء خارق للطبيعة..



- أتلك طريقتك كي تقول لي إنك منبهر بأدائي؟

كانت ناردين تهز كتفيها مبتسمة وهي تتحدث فضحك صلاح وهو يستند على ذراعها كي يقوم هو الآخر.. لم يرَ أي منهما الشيء وهو يتحرك وراءهما من رقدته على كرسي، يقف صلاح بجوار ناردين.. يسير الاثنان تجاه باب الخروج من مسرح العرائس، يغمغم صلاح: أهذا غريب؟

- ماذا؟

- إني أشعر بنقاء وتطهير روحي بعد كل ما حدث.. هذا شعور خاطئ؟

- كلا.. مزيج الغضب والإرهاق له هذا التأثير...

وراءهما يعتدل الشيء واقفًا.. لم يكن يرتدي أسماله السوداء.. فقط يقف ينظر إليهما بعينيه الحمراوين، مزيج من خفاش آدمي عملاق وفأر شديد الضخامة يقف وراءهما، ينظر إليهما في صمت.. ثم يسير تجاههما.. لوهلة تشعر ناردين أن الهواء يتغير من حولهما، كأن الهواء أصبح ثقيلًا، وجود ما معهما الآن يجثم على قلب الهواء في الغرفة، أمام أعينهما هما الاثنين تجسد ظل عملاق انعكاسًا لأحد يقف وراءهما، يتصلب الاثنان في صمت، تلتفت ناردين للوراء وهي شبه تحمل صلاح على



ذراعها، أمامهما كان الشيء يقترب منهما رويدًا..

الفصل التاسع عشر

....

شيء ما من أعماق البحر قد أتى إلينا..

....

سفينة تهيم وسط الضباب في أعماق البحر..

....

تأتي منها الشرور..

....

هناك شيء ما في الضباب..

....

لقد أتاني الشيء يا أمي.. أغيثيني يا أمي!

....

علي أن أحذِّرهم..

....

الهول قادم..



....

الشيء بيننا.. ينشر الشك والجنون والارتياب.. هو العزلة والوحدة والاكتئاب..

....

شيء ما.. قادم من مكان بعيد.. ومعه يأتي الموت..

....

التفسير الآخر يقول لنا إن رجل القبيلة في القدم كان محقًّا في تحذيره للصغار من أمنا الغولة وأبو رِجل مسلوخة..

....

المكان: مسرح العرائس بمبنى الاتصالات

الزمان: الثالثة صباحًا

تمسك يد ناردين بيد صلاح تلقائيًّا، ربما تلك كانت أول مرة تعقد يدها بهذا الشكل بيد رجل، أمامهما يقترب الشيء، الاثنان يقفان في صمت وينظران إليه.. لم يتبادلا النظرات ولم ينطق أحدهما حرفًا، هما الآن في مرحلة أخرى من اللعبة، وجود الشيء أمامهما، وشعورهما به في المحيطات من حولهما، كل المشاعر السلبية أحاطت بهما، هما الآن في مملكة الظلام، غمغمت ناردين بصوت غير مسموع: هذا ليس تمثال شمع..



أومأ صلاح برأسه وابتلع ريقه، كان يتمنى أن يكون الشيء حقيقيًّا؛ كي لا يشعر أنه فشل في وظيفته، وأن عبدالعزيز قد نجح في الاحتيال على شركة التأمين، الحقيقة أنه فشل في وظيفته وعبدالعزيز احتال عليهم، وفي الآن ذاته الشيء حقيقي.. عندما تكشف لك الحياة عن أنيابها في توحش، ناردين كانت تنظر للهول الماثل أمامهما، المسوخ لا تتحدث، هو لن يتكلم معهما، سيفتك بهما فحسب، لقد ظل راقدًا وهم يقتل بعضهم البعض، هذا ما يفعله الشيء بالبشر، يحرك الخيوط ويشاهد في صمت، لكنه ينجذب للشر منذ البداية، ربما نحن مسئولون عن أفعالنا بعد كل شيء، لقد أتى الشيء لعبدالعزيز على الشاطئ منذ أربعين عامًا عندما قام عبدالعزيز بذبح حبيبة شاكر، بمفرده فعلها ولم يدفعه أحد إلى تلك الجريمة، بعدها أتى إليه الشيء، عبدالعزيز وجماعته هم من ارتكبوا كل هذه المذابح ولم يحركهم الشيء، تلك كانت جرائمهم، إذن ما هي جرائم الشيء؟.. لقد واجها معًا – هي وصلاح – النوع الحديث من الشر، الشر الدفين بداخلنا، والآن أمامهما الشر العتيق الذي تحدث عنه القدماء، تذكرت ناردين عندما كانت تنظر للقمر المكتمل وتفكر في المسوخ والغيلان، في أمنا الغولة وأبو رِجل



مسلوخة والنداهة والمذءوب ومصاصي الدماء، الشيء يندرج لتلك القائمة من الشر، بينما يندرج عبدالعزيز لقائمة ريا وسكينة وتيد باندي وكل السفاحين، ما احتمالية أن يكون جارك الودود سفاحًا وأنت لا تعلم؟ وما احتمالية أن يأتي شر قديم إلينا من سفينة تهيم في البحر؟ حسنًا.. هم على وشك اكتشاف هذا الآن.

دفع الشيء بيده صلاح فطار للوراء واصطدم رأسه بالجدار ليسقط أرضًا فاقدًا الوعي، واقفةً ترتجف لوحدها أمامه نظرت إليه ناردين، وقف الشيء أمامها وأحاط عنقها بذراعه، ملمس جلده كان لزجًا وممزقًا، رائحته هي رائحة التعفن والموت.. كان يضغط على عنقها ببطء.. بنعومة.. شعرت بنفسها تختنق وبقدميها ترتفعان لأعلى، تذكرت أخاها وهو يعاني من إدمانه، أكانت تلك فعلتك أم الشيء دفعك لهذا؟ كلا كانت هذه فعلته، هو كان مسئولًا عن أفعاله ولن تلقي باللوم على هذا المسخ الذي يوشك على دق عنقها، يتصلب جسد ناردين وتنتفض بينما قدماها تتصارعان كي تلمسا الأرض، يزيد الشيء من ضغطه على عنقها وتجحظ عيناها، صلاح فاقد الوعي على الأرض، أي مسخ هذا الذي يوشك على إنهاء حياتها؟ من أين أتى؟ ما حكايته؟.. أي مجهول هذا الذي أتى بالشيء



لعالمنا؟.. كل تلك الأسئلة لن تعرف ناردين إجابتها أبدًا.

لمحت بطرف عينيها الفأس الصغير الخاص بشاكر معلقًا في فستان رحاب التي استقرت على الأرض..

....

المخطوطات تحدثت عن طريقة قتله.. اقطع رأسه بفأسه هو..

....

لو كان ينتحل شخصية تعرفها واكتشفته فسيعود لهيئته.. وعندئذ عليك أن تطيِّر رأسه بفأسه.. هناك طريقة أخرى وهي حرقه.. النار..

....

هذا ما قاله شاكر لهم، وهي تعتقد أن هذا هراء؛ لأن عبدالعزيز هو من كتب المخطوطات لينشر بينهم أسطورة الشيء، وحتى لو كانت النبوءة في المخطوطات صحيحة، فهي مجرد تكهنات بشر في مواجهة كائن لا يفهمونه، آه.. الألم يزيد في عنقها، ثوان بسيطة باقية من عمرها، تنظر بعينيها إلى حيث كان صلاح.. أين ذهب؟

- كفى.. كفى.. كفى..

كانت تلك صيحات صلاح.. لا تعلم متى ولا كيف قام من مكانه وجاء من ورائهم والتقط نفس الرمح الذي طعن



به رحاب ويطعن به الشيء رويدًا وتكرارًا، ترك الشيء ناردين تسقط أرضًا والتفت وراءه في هدوء وأمسك الرمح من يد صلاح قبل أن يكسره لنصفين ويلقيه جانبًا، والتقط رأس صلاح بين يديه، توقعت ناردين خطوة الشيء التالية، سيدير رأس صلاح في الاتجاه الآخر ويدق عنقه، أمامها ثانية واحدة للتصرف، قفزت ناردين بجنون واحتضنت الشيء من ظهره كأنها طفلة تتعلق بأبيها، لوهلة شعرت ناردين أن الشيء هو والدها وهي تتمسك به كي لا يرحل، لكن الشيء لا يرتدي البدلة الرسمية التي كان يرتديها والدها يوم رحيله ولا تبدو عليه الجدية، في نفس لحظة تعلقها بظهر الشيء انزلق صلاح من بين يدي الأخير اللزجة والتقط سكين محمود من على الأرض وحاول طعن الشيء، لكن الأخير أمسك ذراعه وثناها بقوة شديدة لتصدر عظام ذراع صلاح صوت انكسارها، ويبرز جزء منها من أسفل جلده، يصرخ صلاح في ألم لا يصدق في نفس اللحظة التي أدار فيها الشيء جسده بقوة فانزلقت ناردين من فوقه مع قوة الدفع لتسقط أرضًا بقوة.

نظرت ناردين لصلاح وهو يتلوى ألمًا على الأرض، وقاومت الألم في جسدها، ثم نظرت للشيء، كيف ينتصران عليه؟



هو يعبث بهما كالدمى، ثم داهمتها الفكرة في عقلها فجأة، كل الأساطير القديمة تحدثت عن النار، ربما كان شاكر محقًّا بعد كل شيء، تذكرت حكاية بروميثيوس وهو يهرب بالنار ليقدمها لأحبائه، كلهم تحدثوا عن أن النار هي الوسيلة الأمثل لمواجهة تلك المسوخ القديمة التي تأتي إلينا من الظلام، مبدأ التجريب، لا يوجد أمامها سواه، هي تعلم الآن أنهم لن يفهموا أبدًا ما هو الشيء، وكيف جاء، ولماذا يفعل ما يفعل، هو مسخ، شر خالص، وهذا يكفي، عليهم إنهاؤه فحسب، ولكن من أين تأتي بالنار؟ صلاح يصرخ في ألم وهو يمسك ذراعه.. الشيء يتجه إليه ويرفع قدمه كي يهوي بها ويسحق رأس الفتى تمامًا، تقف ناردين، طيلة حياتها وهي تكتب عن تلك المسوخ وتقاتلهم في رواياتها، حقيقة أن رواياتها تقدم رسالة أن البشر غالبًا أسوأ من المسوخ، لكنها الآن أمام هذا الغول، هذا الشيء.. وعليها أن تواجهه مثلما يفعل أبطال قصصها، وجدت نفسها تندفع تجاهه وتتسلق ظهره برشاقة واتتها فجأة، تتعلق بالسقف، وتمسك المصباح الكبير الذي يشع بالنور الأصفر في المكان، تنتزعه من السقف وتهوي به على جسد الشيء، وفور أن فعلت هذا اندفعت جانبًا واتجهت لباب الخروج، لقد استفزته، وغالبًا سيترك صلاح



ويطاردها، ستهرب منه، ومثل برومثيوس ستبحث عن النار.

....

اجري يا فتاة، اجري لأن الشيطان يطاردك، لا تنظري وراءك.. الهثي، فقط لا تسقطي؛ لأنه سيلحق بك، لا تنظري وراءك، سينتابك الهلع من مرأى هذا الشيء يطاردك في الظلام، وسيتوقف قلبك عن العمل، واصلي العدْو يا فتاة، في ممرات المبنى وردهاته، تتذكرين كل الجرائم التي حدثت في المبنى، ترى سلمى وهي تدلف هنا للمرة الأولى، أيمن يبكي في غرفته، قبل أن يصعد على كرسيه ويشنق نفسه.. أمجد يهاجم زملاءه، زكي يفكر في رنا ومستقبله، تبًّا لخيالك العنان هذا! توقفي عن هلاوسك وواصلي العدْو، اجري كما لم تجري من قبل في حياتك.. ترين ظله الضخم وهو يتجسد وراءك، إنه يقترب منك.. زيدي من سرعتك بالله عليكِ.. تريدين الالتفات وراءك لتري كم هو قريب؟ قلت لك ألا تفعلي هذا.. تنظرين وراءك لأنك عنيدة، تتسع عيناك في رعب وتنظرين أمامك.. تجرين بقوة بينما دموعك تنهمر على وجهك، أين صلاح؟.. أنتِ وحدك الآن.

تخرج ناردين من المبنى عدْوًا.. أمامها الشاطئ



الخالي بلا مكان للاختباء، تجول عيناها في كل صوب بجنون، سيارتها المعطلة، البحر ينظر لها بلامبالاة، ذكرها للحظة بالقطط، لو لم تهتم بهم وتدللهم فلن يهتموا بك، إلا أن تلك مقولة خاطئة، كانت تمتلك قطًّا يومًا ما وكان يهتم بها دومًا دون أن تدلِّله، كفي عن تشتت الأفكار هذا، واصلي العدْو، تعدو ناردين تجاه السيارة دون تفكير وتنسل أسفلها، وراءها يسير الشيء ببطء متجهًا إليها.. تتزايد أنفاس ناردين وهي أسفل السيارة، تحاول ألا تشهق.. تحاول أن تنظم أفكارها.

ترى قدمَي الشيء الحافيتين ومخالبهما، ترى قدميه تقتربان من بعيد، تحاول التحكم في ارتجافة جسدها وتنظيم أنفاسها وهي تفتح حامل الوقود الخاص بالسيارة، تبًّا! إنه لا يفتح، هي لا تعرف كيف تفتحه ولم تجرب من قبل، لكنها ستحاول، أقدام الكائن تقترب أكثر، ينفتح الخزان وينسكب الوقود فوقها ليغرقها بغزارة، تشهق ناردين وينسكب الوقود داخل فمها فتسعل وتكاد تختنق، تغمض عينيها، تبًّا! تتمنى ألا تصاب بالعمى.. تمد يدها في جيبها وتخرج قداحة الحظ؛ القداحة التي تشعل بها الشمعة لنفسها احتفالًا بانتهائها من كل رواية جديدة، ترتجف الفتاة وهي تقبض على القداحة في يدها بينما



الوقود ينسكب في كل صوب ويبدأ في الزحف خارجًا من أسفل السيارة، ترى ساقي الشيء وهو يقف قبالة السيارة، تراه ينحني، هل سينسلُّ بجوارها أسفل السيارة؟ سينام بجوارها ويضع رأسه على كتفها طلبًا للأمان لأنه وحيد قبل أن يفتك بها؟! كلا.. المسوخ لا تفعل هذا.. تلك المسوخ الرومانسية اللعينة توجد في الأفلام فحسب، وجدت السيارة ترتج.. تهتز.. قبل أن تنقلب جانبًا وتجد نفسها مواجهة للقمر المكتمل والسحب المظلمة، تتعالى أمواج البحر في حماسة وهي تراقب ما يحدث، لقد قلب الوغد السيارة جانبًا كأنها لعبة صغيرة، لقد كان حقًّا يعبث بهم في مسرح العرائس، هو يمتلك قوة عاتية لا قبل لها ولا لصلاح بمواجهتها.. لكنها ترى الوقود فوقه، لقد انسكب الوقود المندفع من الخزان تجاهه وهو يقلب السيارة، استطاعت سيارتها العزيزة البصق على الشيء بوقودها قبل أن تنقلب، بجنون تشعل ناردين القداحة وترميها فوقه.. لا يمكن أن تخطئ التصويب، لا يمكن.. لن تخطئ التصويب الآن، لثوانٍ لا يحدث شيء، ثم تشتعل النيران في جسد الشيء، هي تعلم أنها ستحترق معه، ولكن مرأى النيران تشتعل في هذا الشيء جعل قلبها يرقص فرحًا، صرخت ناردين في انتصار: لقد فعلتُها..



يدوِّي صدى صوت صرختها في الشاطئ الخالي، تشتعل النيران في كل صوب وتمتد لسيارتها، يسري اللهب كالهشيم، ترى ناردين خط اللهب يقترب منها، يا للألم الذي سيصيبها الآن! لكنه يحترق، الشيء يحترق أمامها الآن في صمت.. لم يصرخ، لم يتلوَّ، فقط ظل واقفًا والنيران تزين جسده، تشم رائحة جلده المحترق، هو من جلد ولحم بعد كل شيء، هو كائن، يتنفس، يحيا، هو فقط مختلف عنهم؛ ولذا هم لا يفهمونه؛ لذا هو بالنسبة إليهم خارق للطبيعة، وفي صمت أيضًا يتهاوى الشيء بعدما تحول لكتلة من النيران.. النيران تقترب من ناردين، تستدير الفتاة وتعدو تجاه الشاطئ، تعدو بقوة تجاه البحر.. منك أنت أتى الشيء، من تلك الباخرة أو السفينة التي تهيم بين ضبابك، ولكنك ستنقذني، أنت لست مصدر الشر والظلام فحسب، أنت ألهمتني من قبل كثيرًا وأنا أكتب، وأنا جالسة أمامك، والآن ستنقذني.. تزيد ناردين من عَدْوها.. لا تعلم إن كانت النيران تلاحقها أم لا، البحر في مواجهة اللهب، هي في مواجهة الشيء، الخير في مواجهة الشر، هذا الصراع التقليدي القديم.. تذكرت كلماتها تلك لصلاح بينما ماء البحر يستقبل جسدها استقبالًا رحبًا، غطست برأسها وهي تسبح للأمام في قوة،



انتابها ذات الشعور الذي ينتابها كل مرة عندما تسبح في البحر، هي الآن في عالم آخر، كانت تعوم كسمكة الآن مغمضة العينين وقد أخفاها البحر عن العالم، لا تسمع شيئًا سوى صوته – البحر – ولا ترى سوى العالم الذي يخفيه عنا.

أغمضت ناردين عينيها في بهجة وأرادت أن تظل هنا للأبد، فتحت عينيها وخرجت برأسها من البحر، نظرت وراءها للنيران المشتعلة والمبنى من خلفها، نظرت للشاطئ.. كانت تشعر بالهدوء الآن، وكأنما ماء البحر قد عالج كل شيء.. كل شيء على ما يرام الآن، لقد احتضنها البحر في رفق وطمأنها من الأهوال التي رأتها، هي لا تزال على قيد الحياة، هي نجت.. نظرت ناردين للقمر وسط السحب وهي في قلب البحر.. صاحت مرة أخرى: لقد فعلتهاااااااااا.

أول مرة تشعر بتلك الحرية، بدأت الفتاة تسبح ببطء عائدة للشاطئ.. القمر ينظر إليها فخورًا، والبحر يحملها بهدوء، هكذا كانت تشعر ناردين.. إنها جزء من الطبيعة ذاتها الآن.

نراها تخرج من البحر مبللة، تعدو داخل المبنى.. تختفي لوهلة في الداخل.. تخرج وهي تجر صلاح الفاقد



الوعي.. نقترب منها ونسمعها تقول: أنت فاقد الوعي فحسب، لم تمت، أليس كذلك؟.. قل لي إنك لم تمتْ.. ليس بعد كل ما مررنا به معًا، أفِقْ يا رجل.. أريد أن أقصَّ عليك ما حدث، أنا التي سأحكي لك الآن وليس أنت.. لقد طاردني الشيء.. واستطعت حرقه، واختبأت في البحر.. أفقْ يا سخيف لأحكي لك.. لقد كنتَ سخيفًا للغاية بالمناسبة وأنت تقول لي قواعدك عندما اقتحمتَ شقتي، لو تحدثتِ سأقطع لسانك.. وكل هذا الهراء.. يا لكَ من أحمق سخيف.. لم تكن مخيفًا بالمناسبة.. ثم تهدج صوتها وهي تكمل: كنتَ خائفًا.. كنتَ خائفًا ومرهقًا وتائهًا.. ودافعتَ عني في شجاعة، هيا أفقْ.. صداقتنا لم تنتهِ بعدُ يا سخيف..

كانت تجرُّه وهي تتحدث وتبحث بطرف عينيها عن القارب.. وراءها من بين دخان النار الكثيف نرى الشيء يعتدل بهدوء من رقدته والنيران مشتعلة في جسده.. يقف وينظر لناردين المُولِية إياه ظهرها.

- سنجد القارب يا صلاح.. لا تقلق.. سنبحر معًا، وإجابة عن سؤالك.. نعم.. بعد ما حدث.. تلك هي المغامرة التي كنت أبحث عنها.. هناك أسئلة بلا إجابة.. مثل: من أين أتى الشيء؟ نحن لا نعلم إلا القليل.. التفكير



المنطقي العقلاني في مواجهة الخيال والمخاطرة.. الخيال والمخاطرة أدّيا بنا إلى أن نرى ما لا يراه أغلب العمليين.. أتيا بنا إلى هنا، بحثنا عن الحقيقة، جعلانا نوقف مجموعة من السفاحين.. ونوقف كائنًا.. لا أعلم بم أصفه، ولا أعلم حكاية السفينة التي تهيم وسط البحر ناشرةً شرورها إلينا، ولكننا سنعلم معًا، أليس كذلك؟.. عندما تفيق.. لا يزال أمامنا مغامرات أخرى.

يتحرك الشيء تجاه ناردين والنيران مشتعلة في جسده.

تقف ناردين.. تلك المرة هي تشعر به.. تلتفت وراءها، مسخ محترق بالنيران يقترب منها، نظرت إليه مشدوهة.. لو ظلت حية ستكتب مشهدًا كهذا في رواية لها.. هذا المشهد سيخلد في ذاكرتها للأبد.. وللأبد سيكون الآن فيما يبدو.

تتراجع ناردين للوراء والشيء يقترب منها ببطء.. تحاول أن تجره للبحر، النيران لم تفلح معه، ستحاول إغراقه، لا يوجد أمامها حل آخر، تحاول أن تقاوم الخوف والفزع بداخلها.. الشيء يقترب أكثر.. تتراجع الفتاة، فجأة تجده أمامها، أنفاسه الكريهة تلفح وجهها، احتضنها بقوة، النيران تحرق جلدها، إنه يحرقها، تغمض ناردين عينيها



في ألم.. هي عاجزة الآن.. النيران تعبث في جلدها ببطء.. تبدأ ملابسها في التقاط النيران، الألم بدأ خفيفًا ثم أصبح عاتيًا، تبكي ناردين.. ماء البحر على جسدها يخفف ببطء من تأثير النيران، تنظر ناردين بعين دامعة تجاه صلاح.. تتوسل إليه: أفق.. أفق أرجوك.. لا أريد أن أموت محترقة.. الصداقة أيضًا شيء غامض يأتي من المجهول ليس الشيء فحسب، هناك رابط بيننا جعلك تأتي إليَّ في تلك الليلة، وجعلني أصغي إليك وآتي معك إلى هنا.. أفق أرجوك.. عد إليَّ..

يضغط الشيء بذراعيه المحيطين بظهرها أكثر فتئن الفتاة ألمًا، تحاول أن تستجمع أنفاسها، ستصرخ صرخة واحدة، بكل قوتها، صرختها الأخيرة، أملها الأخير.. والدها رحل وتركها، أخوها في مصحة الإدمان، والدتها تبكي ليلًا في غرفتها، ناردين تسمعها كل ليلة وهي صغيرة ويزداد شعورها بالخوف والعجز، ليالي الأرق التي قضتها في مراهقتها، تغمض ناردين عينيها قبل أن تصرخ بكل ما أوتيت من قوة: أَفِقْ يا صلاااااااااااااح أرجوووووك..



الفصل العشرون

- أفق يا صلاح أرجوك.

من بين الظلام شعر صلاح بشيء ما يدفعه، طاقة ما لا تزال بداخله تتشبث بالحياة، فتح عينيه.. أمامه الشيء يحتضن ناردين كأنه وجد حبيبته التي يبحث عنها طيلة عمره، شيء واحد بسيط أفسد رومانسية المشهد، النيران المشتعلة في جسد الشيء والتي تحرق ناردين ببطء مؤلم.. ناردين تنظر إليه – صلاح – في أمل يحتضر، استوعب صلاح محيطاته بسرعة؛ هم خارج المبنى.. هناك نيران بجواره، الكثير منها والكثير من الدخان.. يسعل الفتى بقوة.. الألم في ذراعه المكسورة يعاوده بقوة، ينافسه الألم في كتفه التي هشمها فأس شاكر، لشدَّ ما يكره ألم العظام! كيف سيساعدها؟ ما الذي سيفعله؟ طيلة عمره يحيا وحيدًا، يحقق في حياة الآخرين ويقرر من المحتال ومن الحقيقي، لم يحب وهو في الكلية مثل أصدقائه، والده ووالدته يقطنان في محافظة أخرى ولا يعتبرانه أحد أفراد العائلة الذين يجلبون الفخر لهم.. نادرًا ما يتحدثون، طيلة عمره وهو وحيد، أخته فحسب كانت صديقته.. يحيا اليوم بيومه، شيء ما بداخله كان لا يعمل.. لا يؤدي وظيفته



جيدًا.. لأنه كان دومًا بلا دافع، بلا سبب.. والآن في تلك اللحظة على الشاطئ كان هناك سبب قوي لصلاح أن يتحرك، أن يفعل شيئًا.. وهذا السبب هو ناردين، لن يتركها تموت محترقة بين أحضان الشيء، لن يكون السبب أنه يشعر بألم يجعله عاجزًا، لا يعلم كيف ولا متى، لكنه وجد نفسه يتحرك، لم يكن محركه الغضب فحسب تلك المرة، تلك المرة لديه دافع وسبب، سينقذها.. حملته قدماه متعجبتين من قدرته على التحرك لتلك اللحظة، انتابه دوار شديد عندما وقف وكاد يسقط، لكنه لم يفعل هذا.. لم يكن لديه وقت لدخول المبنى وإحضار الفأس، يعدو مترنحًا للسيارة المحترقة، يقبض بيديه الاثنتين على المعدن المحترق الملتوي لصمام السيارة الذي سقط عنها، يصرخ ألمًا وهو يمسك المعدن المحترق بين يديه، لكنه لا يفلته، يعض لسانه ألمًا، يهلوس، لكنه لم يفلته.. يلتفت الشيء لناردين كأنه يرقص بها تجاه صلاح إزاء صرخته، ليجد صلاح أمامه والجنون بادٍ على وجهه، ورغمًا عن ألم كتفه يرفع صلاح بذراعه السليمة الإطار المعدني ويهوي بطرفه الحاد على عنق الشيء وهو يصرخ: ناردين؛ احني رأسك..

جزء من شعر ناردين كان قد بدأ في الاحتراق،



وعيها بدأ يتخلى عنها إزاء الألم في جسدها، لكنها حركت رأسها، أو حاولت تحريكه، لم تكن متأكدة من ردود أفعالها، جسدها أدخلها في حالة صدمة ليحاول أن يقيها نفسيًّا -على الأقل- من النيران، يهوي المعدن المحترق على عنق الشيء الذي أفلت ناردين لتسقط أرضًا وقبض على المعدن بيديه، ولكن قبل أن يفعل شيئًا، وفور أن هوى المعدن على عنق الشيء، تحرك صلاح بقوة وسرعة لم يستوعب من أين جاء بهما وهو يصرخ من ألم النيران في يديه.. ونحر عنق الشيء بشكل دائري وهو يعدو بطرف الإطار بشكل دائري حول الشيء، تطايرت دماء الشيء خارجة من عنقه، دماء سوداء لزجة تناثرت من عنقه بهدوء ووقار، دماء شخص ميت بالفعل، ظل صلاح يدور بالإطار حول الشيء وهو يجز عنقه، ولوهلة خُيِّل لصلاح أنه يرقص، خُيِّل إليه أنه يستمع لموسيقى في تلك اللحظة الجنونية والبحر من حوله ودماء الشيء تصيب جزءًا من وجهه، فور أن انتهى صلاح سقط أرضًا وهو يشعر بالدوار، جلد يديه قد احترق تمامًا.. نظر لناردين، الفتاة فقدت الوعي.. نظر للشيء.. متصلب في مكانه، دماؤه كفت عن التناثر، قبل أن يسقط رأسه عن جسده ويتدحرج بعيدًا ويسقط جسده بهدوء، فور أن حدث



هذا يزحف صلاح تجاه ناردين.. يحتضنها في رفق ويهتف: لقد قتلته.. لقد قتلته..

ثم يرى النيران معلقة في ملابسها تحرق جسدها وشعرها فيهب واقفًا وهو يقاوم شعوره بالدوار والغثيان.. رؤيته تزوغ لكنه يصارع الكون كي يحتفظ بوعيه، يجر ناردين تجاه البحر ويبطئ هذا من حركته، يتوقف وهو يلهث قبل أن ينحني ويحملها.. يبكي ألمًا وهو يفعل هذا إزاء الألم في كتفه وذراعه المكسورة، تسقط منه الفتاة أرضًا، ينحني ويحملها مرة أخرى على كتفه السليمة متكئًا بذراعه التي لا تزال تعمل ويتجاهل المكسورة، يبكي مرة أخرى إزاء الألم في جسده، يسير بها مترنحًا وهو يكاد يعدو.. يظل يقول لها وهو يقترب من البحر: لا تموتي.. البحر القريب.. سنطفئ النيران، لن تموتي.. ستُفيقين.. فقط تماسكي وقاتلي.. ستفيقين وسوف أحكي لكِ كيف قتلتُ الشيء، وسنجد القارب معًا، ستكتبين رواية رائعة عن كل هذا الذي مررنا به، وسأحضر حفلة توقيعك، ستتحدثين معهم عن الأدب والكُتَّاب والمخرجين المولعة أنتِ بهم وصدعتِ رأسي كلامًا عنهم.. لكنك تتحدثين عنهم بشغف كبير، لن تموتي يا ناردين..

يصطدم الموج بقدمه وفور أن يحدث هذا يسقط



صلاح بناردين في ماء البحر المالح.. فور أن تلتحم الأمواج بوجه ناردين تفتح عينيها وتشهق.. تشهق في قوة.. وألم، يطفئ البحر نيرانها، وبعد أن تشهق ناردين تصرخ بقوة بعدما يستوعب جسدها آلام الحرق، يحتضنها صلاح ويهتف: لا بأس، هذا لا بأس به.. اصرخي.. مادمتِ تصرخين إذن أنتِ لا تزالين حية وتقاومين..

تنظر إليه ناردين وتبكي قبل أن يحتضن كلاهما الآخر..

* * *

من ورائهما نرى ظل الشيء وهو يتحرك.. نراه يقترب منهم مسرعًا..

تدفن ناردين رأسها في الرمال بينما الأمواج تصدم جسدها، ثم ترفع رأسها وتقول لصلاح: لنرحل عن هنا.. أرجوك..

الشيء يقترب منهما أكثر..

يقف الاثنان وينظران للبحر.. يقول صلاح ببطء: عـ... علينا أن نجد القارب..

- يا إلهي الرحيم! إنه قادم من ورائك.. لماذا لا يموت؟

يلتفت صلاح ومعه ناردين وينظران للشيء وهو



قادم.. لقد غيَّر من هيئته وشكله تمامًا.. الأسطورة كانت حقيقية في كل شيء.. الشيء كان قادمًا إليهما في هيئة صلاح..

يهتف صلاح وهو يحتضن ناردين: مستحيل.. لقد قطعت رأسه..

قبل أن تجيبه ناردين كان الشيء ينقض على صلاح ويأخذه بعيدًا عن ناردين.. يسقط الشيء وصلاح على الأرض ملتحمين فتتراجع ناردين وقد فهمت ما الذي سيحدث.. يدفع صلاح نسخته بعيدًا عنه ويقف الاثنان وينظر كلاهما لناردين.. صلاح الأول كان يقف في ماء البحر والأمواج تصطدم بقدمه، صلاح الآخر كان يقف بجواره يلهث.. كلاهما يرتدي نفس الملابس.. نفس نزْف الدماء، لوهلة تتساءل ناردين: من أين يأتي بقدرته الشيطانية على تقليد ملابس أحد؟ تقليد الجسد أمر تحدثت عنه الكتب القديمة، ولكن الملابس؟ كيف؟.. التفاصيل.. الإجابة تكمن دومًا في التفاصيل، هيا، استخدمي عقلك.. يشير صلاح الأول للثاني ويهتف: هذا هو الشيء..

تنظر إليهما ناردين مرتعبة.. صلاح الآخر كان يجاهد كي يلتقط وعيه ولم يرد، فقط انتحى جانبًا وأفرغ ما في جوفه قبل أن يسقط أرضًا ويحاول الزحف بعيدًا



عن صلاح الواقف.. تدير ناردين عينيها بينهما، الشيء ضعيف الآن؛ ولهذا انتحل شخصية صلاح؛ ليحاول أن ينشر بينهما الشك، تلك هي لعبته، عليها أن تفكر، الملابس.. الشيء التحم بصلاح، ربما هذا يعطيه القدرة على امتصاص خلاياه أو أيًّا كان التفسير الذي يتيح له تقليد شكله، ولكن ملابسه، عقلها رفض تصديق فكرة استنساخ الملابس، هذا لا يبدو منطقيًّا، حتى في عالم اللامنطق، هيا فكري يا فتاة، كانت تقف تلهث وتنظر إليهما.. تتذكر رواية كلب آل باسكرفيل، في الرواية يقول شيرلوك هولمز لواطسن إزاء اللغز الذي يواجههما: عندما تستبعد المستحيلات، أيًّا كان المتبقي مهما كان مستبعدًا فهو الحقيقة يا عزيزي واطسون... عليها أن تفكر مثل شيرلوك الآن، استبعدي المستحيلات، حقيقة أن مفهوم شيرلوك هولمز عن المستحيلات سوف يتغير لو رأى ما تراه هي الآن، ولكن في منطقها من المستحيل استنساخ الملابس، ما هو المتبقي إذن؟ الشيء عاري الجسد، الشيء يوهمهما، هو لم يغير من شكله، لم يقلد أحدًا، هو يغير من وجهة نظرهما هما، الشيء يمتلك قوة نفسية هائلة، تلك حقيقة، والدليل التغير في حالة الجو داخل الغرفة عندما كان معهم، تلك كانت طاقته، طاقته تلك تغير



من وجهة نظرهما، يوهمهما أنه غيَّر من شكله، تلك هي نظريتها، الشيء يقف أمامهما بشكله الحقيقي، بجلده المحترق، وربما يكون دون رأس.. ولكن كيف؟.. هذا غير منطقي أيضًا، حسنًا ستتجاهل نقطة الرأس تلك، لن يشتتها، هو يقف أمامها ويوهمها أنه صلاح، المسوخ لا تتحدث، صلاح تحدث، الآخر أفرغ ما في جوفه، لا توجد قاعدة تقول إن المسوخ لا تفرغ ما في جوفها، صلاح الزاحف على الرمال هو الشيء، صلاح الواقف هو الحقيقي.. هذا هو استنتاجها، وفور أن وصلت إليه هتفت لصلاح: لنغرقه.. أومأ لها صلاح برأسه واتجه الاثنان ناحية صلاح الراقد على الأرض، ولكن موجة عاتية أتت فأسقطت كليهما أرضًا.. وعندها لم يجدا أحدًا على الرمال، تبادلا النظرات متسائلين، قبل أن يتلفتا حولهما في فزع، بعدها قطبت ناردين جبينها: لدي استنتاج أخير...

ثم أخذت صلاح من يده وسارا معًا تجاه بقايا السيارة المحترقة، وقفا أمامها ونظرا إلى جثة الشيء وإلى رأسه المقطوع المتدحرج بجوارها، غمغم صلاح: لكني لا أفهم..

- الأمر بسيط، أنت قتلته فعلًا، هو لم يهاجمك على



الشاطئ.. ليس جسديًا على الأقل، تلك كانت طاقته النفسية كامنة بداخله، هالته السوداء -أو سمِّها كما تشاء- محاولة أخيرة أو انتفاضة أخيرة منه لتدميرنا، أنت رأيت أحدًا ينقض عليك فسقطت أرضًا لكنه لم يصارعك وابتعد عنك ووقفتما أمامي أنتما الاثنان، لماذا؟ لو كان بحالته العادية لحاول قتلنا بيده، لقد كان يحاول نشر الشك بيننا أو دفعنا لقتل بعضنا البعض، أعتقد أن الشيء كان بلا روح، انظر لدمائه، دماء سوداء لزجة متعفنة، دماء شخص ميت، أعتقد أن الشيء كان يمتلك طاقة نفسية هائلة بدلًا من الروح، طاقة شر خالصة -لو كان هناك اسم كهذا، تلك الطاقة خرجت منه عندما قتلته، وهاجمتنا في غضب في لحظتها الأخيرة، لا أعتقد أننا سنفهم أبدًا ماهية الشيء وكيف كان يعمل، لكني أعتقد أننا أنهيناه حقًّا تلك المرة.

كان صلاح ينظر إليها وهي تتحدث، إلى شعرها المحترق، ملابسها المحترقة، الإرهاق والألم والدماء، ورغمًا عن هذا تتحدث بحزم كمقاتلة عتيدة، أراد أن يبتسم لكن ألمه منعه.. قال لها: أنا أشعر كطالب ظل مستيقظًا يومين قبل الامتحان يستذكر وينتظر لحظة النوم، بعدما أنهى الامتحان أخيرًا وجاءت اللحظة التي ينتظرها، وجد أنه لا يستطيع النوم بسبب كثرة استيقاظه.



* * *

- صلاح..

- نعم..

- لنجد القارب ونرحل من هذا المكان المشئوم..

وتلك كانت الخطة التي لم ينفذاها، لقد استلقى الاثنان وناما معًا بجوار الشيء غير مباليين بسبب إرهاقهما، ليحدث ما سيحدث الآن، ناما لمدة ساعة ونصف واستيقظا وقت الغسق، الشمس تتثاءب باستحياء استعدادًا ليوم جديد، ومع الضوء المنساب من السماء أصبحت عملية البحث عن القارب أسهل، استيقظت ناردين أولًا ونظرت في بادئ الأمر لصلاح في خوف، قبل أن تهزه في تردد، كلا لم يمت، أفاق الآخر وسار الاثنان أو كانا شبه سائرين، القارب لم يكن بعيدًا عن المبنى، كان وسط كومة من الشجر الميت الذي غطاه به عبدالعزيز السلدان، أخذا القارب ولم يسأل أي منهما الآخر إن كانا يجيدان الإبحار، يستلقي صلاح في القارب بينما ناردين تجذِّف في بطء، بعد وهلة أغمضت عينيها وابتسمت مع مجيء ضوء الصباح، صلاح مغمض العينين أمامها، كانت تعلم أن احتمالية موته قريبة، لكنها أقنعت نفسها أنها ستصل للمستشفى أولًا، ولوهلة، فقط لوهلة بسيطة.. خُيِّل إليها



وهي تجذِّف أنها رأت ضبابًا كثيفًا، وفي الضباب الكثيف كانت هناك سفينة قديمة تبحر في صمت.

....

بعد عام:

المكان: معرض الكتاب..

الزمان: الواحدة ظهرًا..

الحدث: حفل توقيع رواية: إنهم يأتون ليلًا للكاتبة ناردين الصباغ

يسير القراء بهدوء في القاعة ويأخذون كراسيَّهم، كانت هناك طفلة صغيرة تسير مع والدتها وهي تمسك يدها، في يد الطفلة استقر مجلد لـ «ميكي» ومجلد لـ «تان تان»، تجلس الطفلة بجوار والدتها على أحد الكراسي، بجوار الوالدة يجلس رجل فارع القامة نحيف يرتدي حلة أنيقة وشعره الأسود مصفف للوراء، كان يشبه كرستوفر لي ممثل أفلام الرعب القديمة في فترة الستينيات، بجوار الرجل النحيف ذي الحلة يجلس رجل بدين أصلع يتصبب عرقًا، وبجوارهما جلست فتاة شابة شديدة النحافة ترتدي فستانًا وطلاء أسود وتعقص شعرها للوراء، في منتصف القاعة جلست ناردين مبتسمة، شعرها القصير يكاد يلامس كتفيها – اضطرت أن تجعله قصيرًا في البدء بعد



احتراقه، وقررت بعد ذلك أن هذا كان أفضل قرار اتخذته، شعرها أصبح قصيرًا ورائعًا، وجعلها هذا تشعر بحرية غريبة – وكانت ترتدي فستانًا رماديًّا طويلًا يغطي الحروق على ذراعها؛ الندبات التي احتفظت بها الفتاة بعد صراعها مع الشيء، بجوارها جلس المتحدث في حفلة التوقيع، يرتدي قميصًا أبيض أنيقًا وسروالًا أسود، أمام ناردين استقر عدد ضخم من نسخ الرواية، وفي الحضور كان صلاح يجلس مبتسمًا وهو ينظر إليها، وقد تعافت ذراعه، ولكن كتفه الإصابة فيها أصبحت دائمة، يرتدي قفازين ليداري الحروق التي أصابت يديه عندما قبض بهما على المعدن المحترق، تكلم أحد الحاضرين بعدما أنهى المتحدث مقدمته عن الكاتبة والرواية وسأل ناردين:

- آنسه ناردين.. دعيني في البدء أهنئك على الرواية، لم يتسنَّ لي الوقت لقراءتها ولكني سأفعل هذا بالتأكيد، ولكن جميعنا يعلم حقيقة القضية المأخوذة عن الرواية وكونها مقتبسة عن أحداث حقيقية تعرضتِ لها.. وسؤالي هو: كم من الرواية حقيقي؟

- الحقيقة أن جزءًا كبيرًا منها واقعي..

ثم تنهدت ناردين ونظرت لصلاح قبل أن تجيب الرجل: لم أضع الحقيقة بأكملها في الرواية؛ لأني لست



صحفية، ولأني أعلم أن الحقيقة أحيانًا تكون أكثر غرابة من المنطق، الحقيقة لها مذاق غريب في فمك، لو تعلم ما أقصده، كما أني لم أحب قط جملة «مستوحاة من أحداث حقيقية» عن الروايات والأفلام، أنا أقرأ وأشاهد كي أهرب من الواقع، لا كي أجده أمامي ينتظرني، تخيل رجلًا كل حياته العمل في مكتب والصراع مع زوجته وعندما يدلف للسينما أو يقتني رواية يجدها تتحدث بشكل واقعي عن رجل يتشاجر مع زوجته، هذا النوع من «حدث واقعي في عالم واقعي» لا يثير اهتمامي، أنا أفضّل دومًا الحديث غير الواقعي في عالم واقعي، ولكن لأن أحداث تلك الرواية، أو الأحداث الحقيقية خلفها، كانت غريبة للغاية، وما تعرضت له أنا كان أمرًا قويًّا، وجدت أنه من الأفضل أن أكتب عنه، ولو تلاحظ أنا لم أضع جملة «مستوحاة من أحداث حقيقية» على الرواية..

- نعم، ولكن تفجر قضية مذبحة مبنى الإسكندرية مع الرأي العام، وظهورك مع الأستاذ صلاح الشريف، وأعتقد أنه أحد الحاضرين اليوم، في وسائل الإعلام والصحافة واستجوابات الشرطة، حتَّم علينا جميعًا أن ندرك أن أحداث الرواية منها جزء حقيقي.. كما أن الشرطة والصحافة لم يفسرا قط وجود تلك الجثة المحترقة



دون رأس أمام المبنى، فقط قالوا إن تشريحها جعلهم يتكهنون أنها تعود لشيء محنط قديم، كأنهم يشرحون رجل الكهف، تكوين صاحب الجثة كان مختلفًا.

- أفهم ما تريد قوله، على أي حال، دعني أؤكد لك أن الحقيقة بأكملها ليست في الرواية، جزء منها فحسب، الباقي هي لمستي الخاصة؛ لو أردت تسميتها كهذا..

تتواصل الأسئلة من الحاضرين وناردين تجيبهم، قبل أن تسألها الأم التي تمسك بيد ابنتها، الجالسة بجوار الرجل ذي الحلة السوداء: أستاذة ناردين.. من أين تأتين بأفكارك؟

يلتفت صلاح تجاه المرأة وهي تسأل السؤال قبل أن يعود بناظريه تجاه ناردين، تجيب الأخيرة: أرى أن ابنتك معها مجلد ميكي وتان تان، أنا أحب قراءة تلك المجلدات، الأفكار تأتينا عشوائيًّا يا سيدتي، ابنتك مثلًا أعطتني فكرة أن أكتب قصة أطفال..

وغمزت ناردين للطفلة وهي تجيب مبتسمة فضحكت الأخيرة.. سألها الرجل البدين الجالس بجوار الرجل ذي الحلة السوداء: أنا قرأت الرواية ودعيني أهنئك عليها، هي ثالث أفضل عمل لك بعد رواية «الجحيم» ورواية «الذئاب»، وسؤالي هو.. أنتِ ذكرتِ أسطورة الشيء



ولكن يتضح لنا أن القاتل بشري في النهاية وأن الشيء غير حقيقي، أليس المعتاد منك أن تخالفي الواقع وتجعليه غير الحقيقي والعكس كما هي عادتك؟

خيل لناردين أن شبح ابتسامة يتلاحى على شفتي الرجل ذي الحلة السوداء الجالس بجوار الرجل البدين، لثوانٍ خُيِّل إليها أن عينيه قد اصطبغتا أحمر بلون الدم، لكنها نظرت إليه، عيناه سوداوان، هذا خيالها غالبًا، نظرت للرجل البدين واستعادت تركيزها قبل أن تبتسم مجيبة: توقع مني التغيير في كل رواية..

تعالت ضحكات الجالسين، وبدأ القراء يتجهون إليها ليوقعوا نُسخهم من الرواية، بعدما انتهي اليوم كانت ناردين تسير بجوار صلاح في خيم المعرض وسط الكتب.. قال لها صلاح: لا بد أنك تشعرين بأنك في بيتك وسط كل تلك الكتب..

كانت واجمة وهي تسير بجواره ولم ترد، فالتفت إليها متسائلًا قبل أن يقول: ما بك؟

- الرجل ذو الحلة السوداء، لوهلة خُيل إليَّ أنه الشيء..

- لقد قتلنا الشيء معًا يا ناردين.. جثته تم تشريحها، لقد انتهى الشيء..



- لكننا لا نزال نخاف منه، لماذا تعتقد أني قلت إنه وهْم في الرواية؟ لقد خفت أن أذكر أنه حقيقي في الرواية وفي عقول من يقرؤها فتعود إليه قوته، لو عرفوا بوجوده، ماذا لو استمد قوته من هذا فعاد لينشر بينهم الخراب؟

يهز صلاح رأسه قبل أن يقول لها: ناردين..

- نعم..

- لقد نجونا، وتعافينا، لقد انتصرنا.. لقد واجهنا نوعي الشر اللذين ذكرتيهما: الشر الكامن القديم، الخارجي، الشر الخالص والشر البشري وانتصرنا، لا يزال هناك أمل.. أعلم أنك تمقتين أن تتحدثي عن تجربة عشتيها للعامة، وأن فكرة كتابتك لما حدث كرواية كان أمرًا ثقيلًا عليك لكن لا تدعي هذا يؤثر بك..

- حسنًا.. لقد انتصرنا يا صديقي، آه وأنت محق.. أنا أكره هؤلاء الذين يستغلون قصصهم للتسويق لأنفسهم، لقد مررت بهذا وبهذا، وسأغني أغنية عن معاناتي أو أكتب كتابًا، أتمنى ألا أكون قد فعلت مثلهم.

ضحك صلاح ولم يجبها، يسير الاثنان معًا..

بعدما وجدت ناردين ميناء وهي تجذِّف بالقارب وصلاح فاقد الوعي أمامها، هُرعت لطلب المساعدة



وعادت مع بعض الصيادين وذهبوا بصلاح للمشفى، وبعدما أتت الشرطة وذهبت إلى المبنى ووجدوا أفلام عبدالعزيز السلدان، أصبحت القضية قضية رأي عام لفترة طويلة، ظهرت ناردين ومعها صلاح في الكثير من البرامج الإعلامية، لم تكن تحب أن تفعل هذا لكنها أرادت أن تتحدث عن جرائم عبدالعزيز، أرادت أن تقول رسالة لمن هم مثله: هناك نهاية لأمثالك، لن تنجو دومًا كما تعتقد.. لم تعلم بينها وبين نفسها هل هذا حقيقي أم لا.. لكنها أرادت أن تقاتل من هم على شاكلة عبدالعزيز السلدان، بالنسبة إليها عبدالعزيز ورحاب ومحمود هم القتلة وفعلوا ما فعلوا بأنفسهم دون توجيهات الشيء، لقد انجذب إليهم الكائن بسبب قوى الشر الكامنة بداخلهم، هم المسوخ الحقيقية، بعدها وجدت نفسها تكتب عما حدث، صلاح عاد لعمله في الشركة لفترة قبل أن يستقيل، جاء لناردين ذات يوم مقطب الوجه، قال لها إنه ظل يفكر طيلة الليل ولم ينم وسيعرض عليها فكرته..

- لنفتح مكتب تحريات خاصًّا معًا..

- صلاح؛ نحن في مصر.. لا يوجد مكتب تحريات خاص.. لن نحصل على تصريح بهذا أبدًا..

- مكتب استشارات إذن، الجميع يعرفنا في الإعلام



والناس سيفهمون مقصدنا، مكتب استشارات نفسية، أنتِ محللة نفسية وسنحصل على تصريح لهذا، وسأساهم معك في المكتب، وأضيف: استشارات أمنية، سيكون الأمر مرهقًا، ولكننا واجهنا الشيء وقتلناه، أعتقد أن هناك أملًا لنحصل على تصريح مناسب لهذا..

- هاها.. أعتقد أنك متفائل أكثر من اللازم.. حسنًا، وبعد؟

- مكتب استشارات نفسية وأمنية، أنتِ محللة نفسية وأنا محقق تأمينات متقاعد، وبنوع القضية التي حللناها، ستأتينا قضايا مماثلة على ما أعتقد.

- وأنت تريد قضايا مماثلة؟

- ليس هذا ما أقصده، أقصد لن يأتينا رجل يبحث عن كلبه التائه مثلًا.. كما أني أعلم أن المغامرة بداخلك لا تزال موجودة..

- لا أعتقد أني أريد المرور بما مررنا به من قبل أبدًا..

- ولا أنا..

- إذن؟

- شئتِ أم أبيتِ، أنتِ تحبين مساعدة الآخرين يا ناردين، لنجرب فكرة المكتب.. لن نخسر شيئًا.. انظري



إلينا، الحروق في جسدينا والندوب في روحَينا ستذكِّرنا دومًا أن علينا أن نقاتل.. لنجرب، لن نخسر شيئًا..

تنظر له ناردين وتردد مبتسمة: لن نخسر شيئًا.

ثم تقول مفكرة: لا أعتقد أن الرجل ذا البدلة السوداء هو الشيء، لقد قتلنا الشيء، ولكني أعلم أن هناك كائنات مثله، تأتي إلينا من تلك الباخرة التي تهيم في البحر كما قالت النبوءة..

ثم تتنهد وتضيف مغمغمة: لن نعرف أبدًا.

تعود ناردين بأفكارها لصلاح الذي يسير بجوارها في المعرض قبل أن تقول له: لا أصدق أن صديقي المقرب كان مقتحمًا ليليًّا لشقتي وهددني بالقتل، آه ليس بالقتل فحسب، بقطع لساني..

- لا أصدق أنكِ ستظلين تذكرين هذا لي مرارًا وتكرارًا دون سبب، كم مرة يجب أن يعتذر الرجل قبل أن تغفروا له؟! يا للنساء!

ضحكت ناردين وسار الاثنان وسط الزحام.

....

وراءهما كان يقف الرجل ذو الحلة السوداء ينظر إليهما وهما يسيران معًا قبل أن يلتفت ويسير في الاتجاه الآخر، نراه يسير وسط الزحام، وسط المارة، يسير



وحيدًا، بإمكانه أن يكون أي أحد منهم.. جارك.. صديقك.. حبيبتك، يسير ببطء، ومن بعيد نسمع كلمات أغنية قديمة تدعى «عندما يأتي الرجل»، شاب ما كان يسير ويستمع للأغنية على مكبر صوته، تتردد كلمات الأغنية بينما الرجل ذو الحلة السوداء يختفي وسط الزحام:

وقد سمعت.. من خلال صوت الرعد.. أحد الوحوش يقول: تعال وانظر.. وقد رأيت وشاهدت..

هناك رجل يسير بيننا.. وهو يقرر من يلوم ومن يحرر..

عندما يأتي الرجل.. سيقف الشعر على ساعدك.. بسبب الفزع الذي يصيبك..

سوف تختفي بين التراب، عندما يأتي الرجل..

النهاية